



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية.

قسم التاريخ: جامعة تلمسان .

**المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف
الزعامات القبالية والدينية من الإستعمار الفرنسي.**

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

تحت إشراف

من إعداد الطالب

أ- د- ودان بوغفالة

بوعناني العربي

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا.	جامعة تلمسان	د. مصطفى حجازي
مشرفا ومقررا	جامعة معسكر	أ. د. ودان بوغفالة
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أ. د. محمد بوشنافي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	د. سعاد شبوط يمينة
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	د. سنوسي سيدي محمد الغوثي
عضوا مناقشا	جامعة سيد بلعباس	د. شقرون جيلالي

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ/ 2018-2019م

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية.

قسم التاريخ: جامعة تلمسان .

**المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908
ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الإستعمار الفرنسي**

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

تحت إشراف
أ- د- ودان بوغفالة

من إعداد الطالب
بوعناني العربي

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا.	جامعة تلمسان	د. مصطفى حجازي
مشرفا ومقررا	جامعة معسكر	أ. د. ودان بوغفالة
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أ. د. محمد بوشنافي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	د. سعاد شبوط يمينة
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	د. سنوسي سيدي محمد الغوثي
عضوا مناقشا	جامعة سيد بلعباس	د. شقرون جيلالي

إِهْدَاء

إلى كل من علق أمامه شعار "الحياة كفاح والعلم سلاح".

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي العزيزة التي لازالت على قيد الحياة راجيا من الله العلي القدير أن يمدّها بالعمو والعافية، كما أهديه لأبي طيب

الله ثراه وأسأل الله أن يتغمده برحمته الواسعة.

وإلى كل من تربطني بهم صلة الرحم ورافقوني في العمل.

شكراً واحترافاً للسيد المشرف الدكتور وغان بوغفالة

الحمد لله الذي ألهمني الصبر وأنار دربي ووفقني في إنجاز هذا العمل.

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان والتقدير إلى السيد المشرف الدكتور وغان بوغفالة

الذي لم يبخل علينا بتقديم النصائح والتوجيهات البناءة التي كان لها بالغ الأثر في

إنجاز هذا البحث، كما نحي فيه روح التواضع والمعاملة الحسنة، فجزاه الله عنا

كل خير.

كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام، إلى كل من قدم لنا يد العون

في إتمام هذا البحث، أخص بالذكر القائمين على مكتبة البلدية بوهران "متحف زبانة"

وكذا مركز أرشيف ماوراء البحار بفرنسا، وأوجه شكري لزميلي الأستاذ حمو محمود.

إلى كل من علمني حرفاً في جميع مراحل وأطوار الدراسة.

دليل المختصرات باللغة العربية:

جزء	ج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق	تع
تعريب	تعرب
تقديم	تق
بدون تاريخ	د. ت.
بدون طبعة	د. ط
من الصفحة... إلى الصفحة	ص ص
مجلد	مج
مراجعة	مر

دليل المختصرات باللغة الفرنسية

Signe	Signification
.A. N. O. M	Archives nationald'outre –Mer
B. O. G. G. A	Bulletin officiel du gouvernement Général de l'Algérie
.B. S. G. A. O	Bulletin de la société de géographie et d'archéologie .d'Oran
.G. G. A	GouvernementGénéral de l'Algérie.
PP	.Pages
R,A	Revue Africaine
R. AL	Revue Algérienne
.R. T	.Revue Tunisienne
S,D	Sansdate
S. H. D	Service Historique de la défense Paris
T	Tome
Vol	Volume

حَقِّقْ حَقِّقْ

تهدف هذه الدراسة التاريخية إلى إحياء تاريخنا المحلي، حتى لانصاب بفقدان الذاكرة، ولهذا قال شوبنهاور: " التاريخ للأمم بمثابة العقل للأفراد. " فالأمة التي تنسى تاريخها أمة مجنونة كالغرد المجنون، الذي فقد ذاكرته، ولذلك يجب أن نزيل الغبار عن الجوانب المضيئة من تاريخنا المحلي، وعن إسهامات أولئك الذين شاركوا في صنعه، وأن نتذكر بطولاتهم ونضالاتهم حتى لا يطالها النسيان بفعل بتعاقب الزمان، فإحياء النفس يترتب عليه كذا من الثواب والأجر، فكيف بمن أحياء أمة؟ فالتاريخ إحياء أمة وهو الإسمت الروحي لحياتها.

فالدراسات التاريخية الحديثة تتجه اليوم أكثر من أي وقت مضى نحو إعطاء الأولوية القسوة بالبحث والتنقيب في التاريخ المحلي، والغوص في تفاصيله وترتيب أحداثه بهدف الكشف عن ما تختزنه المنطقة من أسرار وأحداث، وإبراز معالم ونضالات رجالها الذين قدموا أنفسهم وأرواحهم فداء للوطن، وبذلك يشكل التاريخ المحلي الركيزة الأساسية والتي من خلالها يتم صناعة التاريخ الوطني بكل تجلياته، فحتى الدول التي لم تتعرض لعملية الفسخ والمسح وإنكار لوجودها، تحرص اليوم على إبراز تاريخها وغرس أجيالها فيه ليعتزوا بالوطن ويسهروا على قيمه، ويدافعون عنه.

إن البحث في تاريخ المنطقة ، خلال الحقبة الاستعمارية يستوجب منا إبراز أهم الأحداث التي مرت بها المنطقة، والتعريف بمكوناتها القبلية، ومساهمات الزعامات القبلية والدينية فيها، في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، على غرار ما قامت به الزعامات الأخرى في مناطق مختلفة من التراب الوطني، لذا يجب نفض الغبار عن التقارير الرسمية والعسكرية، المكدسة في أرشيف ما وراء البحار، والتي تتوفر على مادة علمية هامة، يمكن الاستفادة منها في كتابة التاريخ المحلي والوطني على حد سواء، وتأتي جهودنا في هذا المضمار، بالرغم من عدم توفر المادة العلمية المحلية، وتجنب كثير من الأقسام الجزائرية الخوض في هذه المواضيع التي تتطلب المزيد من الصبر والبحث.

ولمعالجة الموضوع بشكل علمي ، انطلقنا من طرح الإشكالية التالية:

◀ ما مدى مساهمة الزعامات القبلية والدينية في مقاومة التوسع الاستعماري الفرنسي

في المنطقة المراد دراستها ؟

وتنبثق عن هذا السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي على النحو

التالي:

◀ ما مدى إستجابة الزعامات القبلية لدعوات الأمير عبد القادر الرامية إلى مقاومة

الاستعمار؟

◀ كيف كانت ردة فعل الزعامات المحلية على التوسع الاستعماري الذي حاول

إخضاع منطقتهم بالقوة؟

◀ هل كانت عملية إخضاع السكان بالقوة من طرف فرنسا مجدبة في عزل القبائل عن

قياداتها ؟

◀ ما هي استراتيجية الاستعمار في القضاء على المقاومة بعد تجربة الأمير عبد

القادر وثورة أولاد سيدي الشيخ ؟

◀ ما هو الدور الذي لعبته الزعامات المحلية؟ وكيف كانت مواقفها من المقاومة؟

كان اختيارنا لهذا الموضوع، الذي اقترحه علينا الأستاذ الدكتور بوغفالة، محاولة منا

للتعريف بجزء من تاريخ منطقة تيارت، والذي لم يتم تناوله بالدراسة من قبل في حدود

علمنا، وجاء هذا البحث ليسد الفراغ في هذا الميدان، ويسهل على الطلبة الدارسين المزيد من

البحث في التاريخ المحلي للمنطقة، وهذا ما شجعنا على خوض غماره.

وفيما يتعلق بالإطار الزمني والمكاني لهذه الدراسة (1830- 1908م) وقد وقع

أختيارنا على السنة الأولى بإعتبارها بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ورد فعل المقاومة

أما سنة 1908م باعتبارها معلم يحدد نهاية مقاومة بوعمامة .وانضمام معظم قبائل تيارت

إليها. أما الإطار المكاني فقد حددناه بمنطقة تيارت نظرا لموقعها الجغرافي ،الذي يعتبر

همزة وصل بين التل والصجراء . مما جعلها فضاءا مهما استقطب التوسع الإستعماري من

جهة ،ومن جهة أخرى اتحذه الأمير عبد القادر كقاعدة عسكرية لمواجهة القبائل المتعاونة مع جيش الاحتلال ومحارب الغزاة .

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة سابقا قمنا بإنجاز خطة مكونة من مقدمة و فصل تمهيدي مرفوق بثلاثة فصول ،وخاتمة ذيلناها بمجموعة من الملاحق ،وفهارس للأعلام والقبائل والأماكن، بالإضافة إلى القائمة البيبليوغرافية وفهرس الموضوعات .

وبناء على الموضوع والإشكالية المطروحة، قسمنا البحث إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول، مع مقدمة وخاتمة، وقائمة للملاحق التي ستزيد موضوع البحث قيمة وتوضيحا.

تعرضنا في الفصل التمهيدي تحت عنوان تيارت منذ ما قبل التاريخ إلى نهاية الوجود التركي بالجزائر، ويتضمن دراسة طبيعية للمنطقة، ثم لمحة تاريخية عن تواجد الإنسان منذ القدم في إقليم تيارت، والمعالم التاريخية والمواقع الأثرية المتنوعة في الإقليم، ثم الفتح الإسلامي لتيارت وتحولها إلى عاصمة للدولة الرستمية التي لم تعمر طويلا، فاسحة المجال أمام تبعيتها لعدة دول انتهاء بسقوط الدولة الموحدية ثم الدولة الزيانية، واختتمت هذا الفصل بمجيء العثمانيين.

أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان تيارت في ظل الوجود الاستعماري (1830-1847)، وقد عالجننا فيه مشاركة قبائل تيارت في مبايعة الأمير عبد القادر، ووقوف بعض الزعامات المحلية في دعمه ضد أعدائه، ثم أبرزت تحركات الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال لاموريسيار لضم المنطقة وردود فعل مقاومة الأهالي، التي ازدادت انتشارا مع ظهور ثورة المرابط بومعزة 1845 وكانت غالبا ما تنتهي بالاستسلام.

وتناولنا في الفصل الثالث موضوع احتضان قبائل تيارت لثورة أولاد سيدي الشيخ 1864 وفيه كشفت عن مشاركة قبيلة الأحرار بزعامة الحاج قدور بن صحراري في معركة عوينات بوبكر، التي توجت بمقتل العقيد بوبراتر، وثورة لزرق بلحاج، التي وصل صداها إلى إقليم تيارت، مبرزنا الأعمال الانتقامية التي قام بها جيش الاحتلال ضد الأهالي العزل كما تطرقنا إلى العمليات العسكرية التي نفذها سكان المنطقة تضامنا مع حركة المقاومة في كل

من سيدي عبد الرحمن والوسخ والغوصني، والهجوم على فرنده، وما نتج عن ذلك من ارتكاب العدو لمجزرة رهيبة في حق قبيلة أولاد سيدي منصور.

وتعرضنا بالدراسة في الفصل الرابع والأخير إلى تيارت في أواخر القرن التاسع عشر مبرزين الاستراتيجية الفرنسية الرامية إلى إضعاف المقاومة، من خلال إعادة رسم خريطة توزيع القبائل وتوسيع مناطق الحكم المدني التي كانت سببا في تفجير ثورة بوعمامة داخل تراب تيارت، موضحا دور الزعامات القبلية فيها، ومحاولة فرنسا إجراء تحقيقات قد يكون من شأنها تحميل مسؤولية انفجار الثورة إلى الزعامات المحلية، وأنهينا هذا الفصل بالمقاومة السياسية، التي ترجمها سي أحمد ولد قاضي في شكل عرائض وما تضمنه كتابه "الرحلة الغادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية".

وختمنا هذه الدراسة بخاتمة جاءت كخلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها. والتي حددنا من خلالها أسباب عدم ظهور قيادات عسكرية مؤثرة تزعمت المقاومة في المنطقة .

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، خاصة فيما يتعلق بالجوانب التاريخية، التي تتناول قضية الاحتلال وردود فعل المقاومة، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل الوقائع التاريخية من خلال قراءة الوثائق والمراسلات، ومقابلتها بوثائق أخرى وتمحيصها بدقة لاستخلاص الحقائق التاريخية، التي تفيد موضوع الدراسة كما ساعدني هذا المنهج على فهم وتفسير نتائج الإحصاءات الرسمية حول عدد القتلى والجرحى والتي تكون عادة متضاربة أحيانا ضمن وثائق الأرشيف الفرنسي، نهيك عن ما كتبه قادة الجيش الفرنسي، مما يستوجب توخي الحذر، ومقارنة الأرقام الواردة في الوثائق المتوفرة لدينا لكشف زيف الادعاءات الفرنسية، وتكتمها في كثير من الأحيان الإعلان عن الحقائق والسكوت على كل ما من شأنه أن يضر بمصالحها. وحاولنا الابتعاد عن الذاتية والأحكام المسبقة لكي ينال موضوع الدراسة، حقه من الموضوعية وعدم التحيز.

وللإحاطة بجميع جوانب الموضوع وحيثياته اعتمدنا على مجموعة من المصادر الرئيسية التي نجحت في الحصول عليها وبتوفيق من الله، منها الوثائق الرسمية للحكومة العامة

بمدينة أيكس أون بروفانس Aix -en-Provence - بفرنسا، الذي اعتمدنا عليه كثيرا في جمع الوثائق المتعلقة بموضوع الدراسة، والتي غطت معظم جوانب موضوع البحث، من حملات عسكرية، وردود فعل المقاومة.

أما فيما يتعلق بالوثائق الرسمية للحكومة العامة بالجزائر، والعلبة 10H53 فقد أفادتني في التعرف على المكون القبلي لمنطقة تيارت، مع تقديم لمحة موجزة عن تاريخ القبائل، وأهم مواقعها في التاريخ الحديث والمعاصر، وتحديد الموقع الجغرافي لها، كما يقدم معطيات إحصائية حول أنواع الملكية العقارية وعدد السكان وتوزيعهم وحول ممتلكاتهم الزراعية والحيوانية.

واعتمدنا على أرشيف أكس منها العلب (11H12) و(30H78) التي تتضمن مجموعة من البرقيات الموجهة إلى القادة الميدانيين العسكريين، تحثهم فيها على تكثيف الحملات العسكرية في تيارت لإجهاض مقاومة أولاد سيدي الشيخ، التي لقت دعما من مختلف القبائل وعلى رأسها قبيلة الأحرار الشراقة، والقبائل المتعاونة مع سي لزرق بلحاج التي وصلت إلى منطقة الرحوية، ومعاينة القبائل المتمردة بعد مقتل العقيد بوبراتر (Beaupretre)، أما أرشيف فانسان بباريس أخص بالذكر العلب (GR1H230BIS) الذي تتضمن هي الأخرى معلومات قيمة حول تحرك القوات الفرنسية في جهات مختلفة من تراب تيارت للقضاء على المقاومة.

أما بالنسبة للمصادر المطبوعة فهي متعددة ومتنوعة لكنها لا تتعرض بالدراسة الكافية لمنطقة تيارت، وهذا ربما يعود إلى قلة الأحداث والمعارك التي دارت في إقليم تيارت وجاءت في معظمها باللغة الفرنسية، باستثناء مقاومة الأمير عبد القادر، والتي نالت قسطا مهما من الدراسة وساهمت في تغطية معظم أحداثها أقلام وطنية وأخرى أجنبية ترجم معظمها إلى اللغة العربية، فمن الكتب العربية كتاب:

- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،

ج1، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش با96. الإسكندرية، 1903،

والذي أفادنا في ذكر القبائل التي جاءت من تيارت للمشاركة في مبايعة الأمير عبد القادر، ودور هذا الأخير في إصلاح ذات البين بين القبائل المتخاصمة ودعوته إلى رص الصفوف لمواجهة العدو المحتل.

أما الكتب الأجنبية فنخص بالذكر منها ثلاثة كتب مهمة في نظرنا وهي:

- شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.

- اسكوت (الكلونيل): مذكرة الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح ألبون، أخرج أحاديث الطبعة، عبد المجيد بيرم، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، ط7، 2010

تميزت كتابات كل من هنري تشرشل (Henri Cherche) والكلونيل سكوت، (Colonel Scott) بالنزاهة العلمية، لأنهما من بريطانيا. حيث رصدت لنا تحركات الأمير عبد القادر وخطته ومناوراته العسكرية، وحنكته السياسية في التعامل مع القبائل المترددة، منها قبيلة الأحرار، واختياره لتقدمت لتكون عاصمته المقاومة الوطنية.

أما باقي الكتب الأخرى، فهي عبارة عن مذكرات لبعض القادة العسكريين والتي تتوفر على بعض المعلومات حول مشاركة بعض القبائل في المقاومة الشعبية المسلحة، ثم تعرضها لعملية الملاحقة من طرف الجيش الفرنسي، الذي انتقم منها بطرق وحشية كقبيلة أولاد بوزيري في فرندة¹، وقبيلة بني مدين التي قامت بقتل الملازم لاكوت.

وبالرغم من أنها دراسة أنجزت بأقلام فرنسية، إلا أنها تحمل في طياتها جوانب مهمة من الموضوعية، وهي تسرد لنا الوقائع والأحداث التي صاحبت عمليات التوسع الفرنسي في المنطقة ورد فعل المقاومة.

¹-E. Pellissier de Reynaud, « Annales Algerienne », T 3 ,Paris ,1854

كما اعتمدنا على بعض المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية (Revue Africaine) لتروملي (Trumlet) وفيرو (Féraud) حول المقاومة البطولية لقبائل شرق تيارت، وعزم القوات الفرنسية على إنهاء المقاومة باستخدام كل وسائل التدمير والإبادة الجماعية ضد قبيلة أولاد سيدي منصور².

أما المراجع فهي كثيرة نذكر منها كتابات أبو القاسم سعد الله ، ويحي بوعزيز ، مياسي إبراهيم، الذين تناولوا موضوع المقاومة العسكرية طيلة القرن التاسع عشر ،مما سمح لنا بالإحاطة بالموضوع وفهم مجريات الأحداث. كما ساعدنا كتاب جيلالي صاري (انتفاضة بوعمامة) وعبد الحميد زوزو (ثورة بوعمامة) علي تبيان ظروف إندلاع ثورة بوعمامة وإستراتيجيته العسكرية في مواجهة جيش الاحتلال .كما أفادنا الورخ الفرنسي شرل أندري جوليان بكثير من المعلومات التي تتعلق بموضوع الدراسة وهي تعبر في كثير من الأحيان عن وجهة النظر الكاتب مما يستدعي التعامل معها بحذر.

إلى جانب بعض الرسائل الجامعية والأطروحات، التي أفادتني في جوانب متفرقة من موضوع البحث.

وكأي بحث جاد لا يخلو من بعض الصعوبات والتي ارتأيت أن أقسمها إلى مستويين:

1. صعوبات على المستوى المحلي:

تطلب منا البحث إلى التنقل إلى مراكز الأرشيف منها أرشيف ولاية وهران، حيث لم يسمح لنا بالاطلاع على الأرشيف، بحجة أنه يمس عائلات وزعامات وقد ينال من مصداقيتها، بالرغم من أن ما طلبناه يعود إلى القرن التاسع عشر، أما في مركز أرشيف بئر خادم، سمحوا لنا فقط بالاطلاع على بعض الدفاتر الموجودة في قاعة المطالعة، ولم يسمحوا لنا لا بالتصوير ولا بالاستنساخ، مما جعل الاعتماد على الأرشيف المودع بأرض الوطن عملية شبه مستحيلة.

²- August Ducat, « la guerre en Afrique », Paris,1846

2. على المستوى الخارجي:

تطلبت منا عملية البحث في الخارج، القيام بعدة رحلات إلى فرنسا الأولى كانت باتجاه مدينة آكس أون بروفانس (Aix-en-Provence)، وقضينا أسبوعين في البحث في أرشيف آكس، والتي تتوفر على كم هائل من الوثائق يصعب على الباحث أن يحصل على ما يريد في مدة وجيزة، وينبغي التأكيد هنا على العكس مما يتوهمه البعض من البحث في الأرشيف يمثل نوعا من الترف (العلمي) بأنه من غير الممكن إنجاز بحث جدي في موضوع من موضوعات الحقبة التاريخية، دون الرجوع إلى هذه المنابع الحيوية.

وبعد الحصول على المادة العلمية المتمثلة في الأرشيف، واجهتني مشكلة تصنيف الأرشيف وتنظيمه وترتيبه، فهرسته . والملاحظ أن هذه الوثائق مكتوبة بخط اليد، مما يجعل عملية قراءة معظمها صعبة للغاية، كما تعرض جزء منها إلى التلف من كثرة الاستعمال، في حين نجد بعضها الآخر ممزقا أو بترت أجزاء منه، هذا فضلا عن رداءة الخط أحيانا أخرى، مما يصعب من عملية الاستفادة منها بشكل يليق بموضوع البحث.

وإلى جانب مشكلة الوثائق، واجهتني مشكلة أخرى تمثلت في عدم اهتمام الأقسام الوطنية بالتاريخ المحلي لمنطقة تيارت، مما دفعني إلى الاعتماد على وثائق الأرشيف الفرنسي الذي عبر في كثير من الأحيان عن جهة نظر الفرنسيين فيما يتعلق بعملية الاحتلال التي ستعيد الجزائر إلى محيطها الطبيعي بإحياء أمجاد روما ، ولذا رأوا في مقاومة الجزائريين لهم ما يعرقل هذا المشروع الرامي إلى وضع الجزائر على عتبة التحضر حسب زعمهم.

الفصل الأول

التعهيدي

الفصل الأول التمهيدى

تيارت منذ ما قبل التاريخ إلى نهاية الوجود العثماني.

أولا الإطار: الجغرافي لمنطقة تيارت.

1. الموقع الجغرافي.
2. مظاهر السطح.
3. المناخ.
4. المجاري المائية.
5. الإمكانيات الزراعية.
- 5-1- الزراعة.
- 5-2- الثروة الحيوانية.

ثانيا: ظهور الإنسان

1. إنسان نياندرتال.
2. الإنسان العاقل.
3. الإنسان الأول بالجزائر.
4. المواقع الأثرية في الجزائر.
5. المعالم التاريخية والمواقع الأثرية في تيارت.
- 5-1- آثار ما قبل التاريخ.
- 5-2- مواقع الآثار القديمة.

ثالثا: تيارت في العهد الإسلامى.

1. حملة عقبة ابن نافع الثانية وفتح تيهرت.

2. تيهرت الرستمية.

2-1- السياق التاريخي لبناء مدينة تيهرت.

2-2- الموقع أهميته لتيهت الرستمية.

2-3- أصل تسمية تيهرت.

2-4- حدود الدولة الرستمية.

2-5- الحياة الفكرية.

3. تيهرت في عهد الدولة الفاطمية.

4. تيهرت في عهد الموحيين.

رابعاً: تيارت في عهد الأتراك.

1. علاقة الأتراك بالزعامات القبلية والدينية.

2. ثورة درقاوة في بايليك الغرب الجزئري.

تعد منطقة تيارت من الأقاليم الهامة في الجزائر، حيث كانت البيئة التيارتية متميزة بطبيعة تضاريسها المتنوعة، وغطائها النباتي واعتدال مناخها، وتنوع مصادر المياه فيها، فأصبحت بذلك توفر عنصر جذب للإنسان الذي قصدتها منذ ما قبل التاريخ، ليتخذ منها موطناً يلجأ إليه لما تتوفر عليه من أسباب العيش والاستقرار، فهي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، حيث ظلت تمثل محطة تستهوي الوافدين إليها، ويتجلى ذلك في التوسع الاستعماري القديم الذي ضمها إلى ممتلكاته بعد حروب استنزافاً طويلة، فأقام على أطرافها خطوط دفاعية لمواجهة القبائل النائرة، وشيد فيها الحصون والقلاع لازالت مآثرها وشواهدا المادية باقية إلى اليوم.

وفي العهد الإسلامي اتخذها عبد الرحمن بن رستم عاصمة لدولته الناشئة، التي لم تعمر طويلاً، ثم تحولت إلى منطقة صراع بحكم موقعها الجغرافي الذي يمثل حلقة وصل بين الغرب والشرق ودور مكونها القبلي في نصرة أحداً لأطراف المتنازعة، والتي ظلت تمثل شوكة في عنق كل محتل غازي، دفاعاً عن مصالح سكانها، واستتباب الأمن والاستقرار فيها.

ومع مطلع القرن السابع عشر أخذ الحكم العثماني يقترب من المنطقة، فعزم حكام الأتراك على توثيق صلتهم بالمنطقة، فتقربوا من الزعامات المحلية قصد إلحاق المنطقة بنفوذ التركي عن طريق إلزام القبائل فيها بتقديم الضرائب، ولما ازدادت قسوة الحكام ضد سكان المنطقة، ثارت معظم القبائل في وجه السلطة التركية، ثم تحولت إلى معارك طاحنة بين الطرفين أنهكت الجميع، وبات الحكم التركي يشكل عبئاً على كامل القطر الجزائري الذي وقع في الاستعمار الفرنسي.

وحاولنا من خلال هذه الدراسة أن نخصص لها حيزاً مهماً، أظهرنا فيه الإمكانيات الطبيعية للمنطقة التي وفرت بدورها مناخاً ملائماً لاستقرار الإنسان، ثم تحولها إلى منطقة جذب لعناصر أجنبية قوبلت بالرفض من جانب سكانها طوال تاريخها القديم والحديث.

أولاً- الإطار الجغرافي لمنطقة تيارت.

1. الموقع الجغرافي:

تقع تيارت في شمال غرب الجزائر، ضمن نطاق الهضاب العليا الغربية، يحدها شمالاً ولايتي تيسمسيلت وغيليزان ومن الغرب ولايتي معسكر وسعيدة ومن الجنوب ولايتي البيض والأغواط ومن الشرق الجلفة، تقدر مساحتها بـ 20673 كم¹، وهي بذلك تحتل موقعا يتوسط التل والصحراء، وحقق لها ذلك السيادة على جزء هام من المنطقة السهبية الشاسعة، ثم هي تشرف من موقعا هذا على الطريق المار من منطقة التلول إلى أسفل وادي شلف المؤدي الى البحر، وتنتفتح من الناحية الجنوبية على الصحراء.

2. مظاهر السطح:

تنقسم منطقة تيارت من حيث مظاهر السطح الى قسمين:

المنطقة الجبلية في الشمال والشمال الغربي والتي تضم سلسلة جبلية متعرجة قليلة الارتفاع منها جبل سيد العابد، وكذلك سلسلة جبال الناظور التي يصل ارتفاعها الى 1530م في قمة رأس فرطاس، المنطقة التي احتفى بها الأمير عبد القادر عند فقدانه لعاصمته الزمالة² وفي الناحية الغربية تسود الجبال الهضبية التي تشرف على السهول العليا، وقد كانت جزء منها ثم تعرضت للانكسارات والالتواءات خفيفة أدت الى الزيادة في ارتفاعها كما هو الحال بالنسبة لجبال فرنده التي بلغ ارتفاعها حوالي 1332م.

ومن الناحية الجنوبية تمتد السهول والأحواض الداخلية من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي حسب اتجاه التضاريس وهي محصورة بين السلسلة الداخلية شمالاً والسهول العليا جنوباً ويتراوح ارتفاعها بين 400 و500م³، وإلى الجنوب من جبال الونشريس يوجد سهل السرسو الذي يعد امتداداً للسهول والأحواض الداخلية وهو يشكل جزءاً من السهول

¹- Marc André Fabre: « Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret –Aflou ». B. S. G. A. de la Province d'Oran. T. 22,1902. P261.

²- Aguila Clément: « Tiaret de ma jeunesse ». Nice, édition. Jacque Gandini, 2002, P35.

³- Ibid, P 35.

العليا تقع بين جبال الناظور جنوبا، وكتلة الونشريس شمالا¹، يحده جنوبا جبال كوجيلا والشلالة، ويمتد من الشرق إلى الغرب من بوغار إلى تيارت².

ويتصل من الجهة الشرقية بقرية الشهبونية، ومن الجنوب الغربي بالشط الشرقي، وهو يغطي مساحة تقدر بـ 2121 كم، ويمتد على طول يصل الى 100 كم وعرض يتراوح ما بين 35 كم شرقا و 20 كم غربا³، والى الجنوب من السهول الداخلية تقع الهضاب العليا، التي يتخللها طيات مقعرة وأخرى محدبة وهي تعد امتدادا لجبال الأطلس الصحراوي التي تفصلها عن الصحراء من جهة الجنوب. وأدى هذا التقطع في سطح هذه السهول الى عدم وصول مياهها الى البحر مما أدى الى ركودها وتكوين الشطوط مثل الشط الشرقي.

3. المناخ:

يميل مناخ منطقة تيارت الى الجفاف أكثر منه الى الرطوبة، باستثناء منطقة السهول والأحواض الداخلية، وتعتبر هذه المنطقة من أكثر مناطق الإقليم مطرا حيث يتراوح معدل التساقط السنوي بها ما بين 400 ملم و 667 ملم⁴، وهذه الظروف المناخية مكنت من وغازات دائمة الاخضرار على مرتفعات المنطقة.

أما في منطقة الهضاب العليا فمناخها يتميز بارتفاع الحرارة صيفا وشدة البرودة شتاء، ويبلغ متوسط التساقط السنوي في هذا الإقليم ما بين 200 ملم و 250 ملم وتتمو في هذه السهل حشائش الإستبس.

4. المجاري المائية:

ويمكن التمييز بين نوعين من الأودية أودية مغلقة حصرتها الجبال والتقطع في سطح السهول مما نتج عنه عدم وصول مياهها إلى البحر، وتجمعها وركودها وتكوين الشطوط مثل الشط الشرقي، وأودية دائمة الجريان وتتصل بوادي شلف الذي ينبع من جبال عمور

¹ - Perrin-René: « le Sersou ,étude de géographie Humaine ». In Méditerranée, 1^{ère}année. N°2-3,1960. P63.

² - Jules Oget. «Une expédition Algérienne. Episode de l'insurrection de 1864. » 1871. P28.

³ - Perrin,R. Op ,cit. P63

⁴ - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة للإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص 28. وينظر.

ويبلغ طوله 700 كلم ويصب في البحر بالقرب من مدينة مستغانم. ومن أهمها نهر واصل عند قرية الشهبونية وينبع هذا النهر بالقرب من تيهرت الرستمية أو تيارت الحديثة ومن منابعه سبعين عينا وهي من الفروع الرئيسية لنهر الشلف، ويصل طوله الى 170 كلم¹.
وادي مينا: وينبع بالقرب من مدينة مديسة، ويبلغ طوله 195 كلم²، فيعبر مدينة غليزان ويصب شمالها في الشلف، ويتفرع عنه واد العبد قرب تخمرت كذلك ويسير نحو الشمال فيلتقي بوادي مينا عند قربه من فرطاسة³.

5. الإمكانيات الزراعية والحيوانية للمنطقة

5-1- (الزراعية):

تقدر المساحة المستغلة في الزراعة حوالي 14700 هـ⁴، تسود منطقة سهل التات وسهل السرسو الذي يتميز بخصوبة تربته⁵، مما أهله لأن يكون مستودعا لزراعة الحبوب ويأتي في مقدمتها القمح الذي نال شهرة ولقي رواجاً في الأسواق العالمية. ويكفينا في هذا المجال قول هيرودوت: "... سكان إفريقيا يقصد بهم سكان المغرب القديم - مزارعين ومستهلكين للقمح"⁶. وعن أهميته قال بلينوس الكبير (plini L'ancien): "كان القمح الإفريقي من بين أهم حبوب العالم"، ثم يضيف قائلاً: "أن القمح الإفريقي كان يحتل المرتبة الثالثة من بين الأنواع المعروفة وأنه كان أفضلها إنتاجاً لسميد"⁷. وهذا ما أكده القنصلا لأمريكي وليام شالر أيضاً بقوله: "... وهذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية ويفضله

¹ - Jules Oget. Op,Cit. 1871. P31.

وينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 22.

- Clément Aguila. Op ,cit,P 3

² - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 22. وينظر أيضاً:

O-Niel: « Géographie de L'Algérie ». T. 1. Bone,1876. P85.

³ - المرجع نفسه، ص 22.

⁴ - Fabre. Op, cit. P270

⁵ - Jacqueton, Augustin Bernard et Stéphane Gzell: « Collection des Guide-Joanne, Algérie et Tunisie ». Paris ,Librairie Hachette ,1909,P167.

⁶ - محمد بن عبد المؤمن، " قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسة"، مجلة كان التاريخية"، العدد العاشر، 1431/2010 هـ، ص39.

⁷ - المرجع نفسه، ص 39.

التجار على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته لصنع المقارونة وغير ذلك من أنواع العجائن"¹. وهذا ربما ما يفسر اعتماد سكان الجزائر على إستهلاك الكسكسي طوال أيام السنة. فأضحت الجزائر خصوصا تسمى في العصور القديمة بمطمور روما²، وإلى جانب القمح حظيت زراعة الشعير باهتمام كبير، فهو لا يحتاج إلى كمية كبيرة من المياه، كما أنه ينضج في وقت مبكر ويتم حصاده في شهر ماي في السهول المنخفضة كما هو الحال في سهل التات غرب فرندة، أما في السهول العليا فإن عملية الحصاد تتم في شهر جوان من كل سنة. ويوفر الشعير غذاء للإنسان والحيوان لذلك نجد إنتاجه مرتفعا بسبب تزايد الطلب عليه خاصة في سنوات الجفاف وهذا ما يمكن أن نستخلصه من تقرير بوتان لسنة 1808، "إن مردود الأرض الزراعية من الحبوب بأنواعها يتراوح بين ثمانية وستة عشر قنطار في الهكتار الواحد في الناحية الغربية في عهد محمد بن عثمان الباي الأول لوهران حتى أشيع عنه أنه يزرع لحسابه الخاص"³.

5-2- الثروة الحيوانية:

كما تزخر المنطقة بثروة حيوانية هامة، وفي مقدمتها الأغنام حيث بلغ عددها حوالي 45840 رأس، الماعز 39920 رأس، الأبقار 9390 رأس، الجمال 15830 رأس، الحمير 5078 رأس والخيول 2838 رأس⁴، حيث كانت تلقى رعاية خاصة، وهي من السلالات الجيدة وهذا ما قصده حمدان بن عثمان خوجة عندما قال: "... هؤلاء السكان يحبون الخيل حبا جنونيا، ولا يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها، وهم يفرقون بين أنواعها ويحفظونها بعناية وتستعمل السلالات الوضيعة للحصول على البغال، وهناك سلالات تختص بالحرث، ولكن

¹ - وليام شالر، مذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر، (1816-1824)، تعريب وتقديم وتعليق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1882، ص 30.

² - محمد بوشنافي: صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد 10 ديسمبر 2015، ص 42.

³ - Mrozet: « Voyage dans la régence d'Alger ,ou description de pays occupé par l'armée Francaise ». T. 3. Paris, 1830. P. 292. -

⁴ - Fabre. Op,cit,P. 26

أحسن الأنواع، أي الجياد، فإنها للسباق والحرب"¹. ولقد أشاد الجنرال دوماس بالحصان الجزائري حيث قال عنه: "... إنه رفيق السلاح"²، والأحصنة الإفريقية يركبها الضباط وقيادة الأركان³، وهذا ما يؤكد على أهمية مكانتها في الحرب.

ونستخلص مما تقدم أن منطقة تيارت بما تتميز به من تنوع في مظاهر السطح واتساع سهل السرسو، والتباين في درجات الحرارة، والاختلاف في كمية التساقط، وتنوع مصادر المياه، وكثافة الغطاء النباتي، شكلت كل هذه العناصر بيئة طبيعية ملائمة قصدها الإنسان الأول ليتخذ منها مسرحاً لمزاولة نشاطاته، وإقامة المستوطنات والتجمعات السكنية والاستقرار فيها.

ثانياً - ظهور الإنسان:

لقد مرت الأرض بمراحل عديدة منذ نشأتها حوالي 5، 4 مليار سنة بتغيرات طبيعية بطيئة امتدت لملايين السنين، مهدت لظهور الحياة المختلفة على سطحها، فكان ظهور الإنسان من أبرز المخلوقات التي عرفتها أشكال الحياة المتنوعة على وجه الأرض. ويقسم علماء الجيولوجيا العصور التي مرت بها الكرة الأرضية إلى أربعة أزمنة جيولوجية وهي⁴:

- الزمن الجيولوجي الأول استمر كما يقدر العلماء حوالي 500 مليون سنة.
- الزمن الجيولوجي الثاني وعمره الزمني حوالي 160 مليون سنة.
- الزمن الجيولوجي الثالث استغرق حوالي 65 مليون سنة.
- الزمن الجيولوجي الرابع وبدأ هذا الزمن الأخير منذ حوالي 5، 1 مليون سنة.

¹ - حميد آيت حبوش ، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1519 - 1830 على ضوء المصادر الأوربية ، ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، نوقشت بتاريخ 2008 - 2009 ، بقسم التاريخ ، بلعباس ، ص 154 .

² - O-Niel. Op,cit. P. 18.

³ - Ibid. 187.

⁴ - أ: نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، ط1، ج1، دارالأمير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1415 هـ_ 1995 م، ص، ص، 48 - 49.

ويشتمل كل عصر على عدة أقسام، نخص بالذكر قسمين لما لهما من علاقه بموضوع الدراسة وهما:

◀ **البليستوسين:** من مليون سنة إلى عشرة آلاف سنة ق. م.

◀ **الهيلوسين:** من عشرة آلاف سنة إلى وقتنا الحالي من الزمن الرابع الجيولوجي الذي يعرف بعصر الإنسان الحديث.

بالرغم من الاختلافات والتضارب في تقديرا لأزمة الجيولوجية، من طرف العلماء والمختصين حيث تشير الدراسات الحديثة، واعتمادا على الحفريات المكتشفة في مناطق مختلفة على أن زمن ظهور وتطور الإنسان يعود إلى عصر البليستوسين أي زمن الرابع الجيولوجي¹، ولقد دلت البقايا المادية المكتشفة حديثا من هياكل عظمية وأدوات حجرية في مواقع كثيرة من المعمورة على أن الإنسان الماهر من أقدم الهياكل الشبيهة بالإنسان حيث أن أوائل البشر لم يكونوا على صورة الإنسان الحالي².

وهذا ما أكده شارل داروين مؤخرا في كتابه أصل الأنواع حيث قال أنه شبيه بالإنسان وأن هناك فصيلة من القرده بلغت درجة كبيرة من التطور التي ولا بد وأن تكون السلف الأول للإنسان، ولقد أطلقت تسمية الأنثروبويد (Anthropoid)، على ذلك النوع الذي توصل العلماء للكشف عن مظاهر حياته وعن الأسس البيولوجية التي صاغت عملية تحوله وارتقائه من خلال الصراع من أجل البقاء والوجود عبر قانون الانتقاء الطبيعي³، غير أن مذهب النشوء والتطور، يظل مجرد نظرية قوبل في حينها بالرفض من قبل الكثير من العلماء، ولا تتوفر على أدلة دامغة تثبت صحة هذه النظرية، ويتفق الكثير على أن النشوء والارتقاء يكون في النوع الواحد أما الارتقاء من نوع إلى آخر فهذا ما لا يقبله عقل سليم.

¹ - رشيد الناضوري. تاريخ المغرب الكبير العصور القديمة. دار العربية بيروت. 1981. ص 54.

² - تشارل داروين. أصل الأنواع نظرية النشوء والارتقاء. ترجمة إسماعيل مظهر. دار الطباعة والنشر والتوزيع بيروت. 2008. ص 32.

³ - أسامة أنور عبد الرحمن النور. مجتمعات الاشتراكية الطبيعية دراسة تحليلية لتطور التقنية والاقتصاد والثقافة في مراحل ما قبل التاريخ. أورينتال للنشر والطباعة والتوزيع. مدريد. الطبعة الثانية. 1956. ص 78.

وتأكيدا على ذلك ما قاله جمال الدين الأفغانى فى كتابه الرد على الدهريين " : إن رأس البرغوٲ تشبه رأس الفيل فهل يمكن بالتطور أن ينقلب البرغوٲ فيلا ؟ ¹.
ويبدو من خلال أعمال التنقيب الأثري، التي أنجزت فى عام 1960 بأن أقدم إنسان هو إنسان شرق إفريقيا، المعروف باسم الإنسان الماهر (Homo Habilis)، وقد تم الكشف عن حفريات هذا الإنسان فى شعاب أولدواي بتنزانيا²، والتي تعود إلى مليونين وستمئة ألف عام. ثم تمكن العلماء الصينيون، من العثور على بقايا إنسان بكين فى قرية تشوكوكوديان والتي تقع فى غربى بكين³، كما دلت أبحاث التنقيب عن بقايا عظمية فى جزيرة جاوة بأندونيسيا يعتقد أنها تمثل مرحلة إنتقالية من القردة الشبيهة بالإنسان إلى الإنسان.

(1) إنسان نياندرتال:

لاشك أن إنسان نياندرتال كان يقف من حيث العديد من خواصه، فى مرحلة أعلى بكثير من إنسان بكين السابق له. ولقد تواجد فى سجل الحفريات منذ حوالي 130000 ألف سنة إلى 28000 ألف سنة⁴. ولقد عثر على أعداد من عظامهم أكثر من أى مجموعة أخرى، وقد تم الكشف عن هذا الإنسان لأول مرة فى عام 1956، فى وادي نياندر بالقرب من مدينة دوسلدروف بألمانيا⁵، وبالرغم من الاختلافات بين أنواع هذا الإنسان، إلا أن نوع إنسان نياندرتال، بشكل عام له من المميزات المشابهة مما جعل العلماء يجمعونه بمختلف أنواعه الإقليمية، فى مجموعة إقليمية أساسية واحدة⁶. وكان نياندرتال يمتلك مخا لم يكن أصغر من مخ الإنسان المعاصر مما أهله على صناعة الأدوات الحجرية، التي تشير إلى الرقى الذي يتناسب مع البيئة السائدة فى العصر الحجري القديم الأوسط، ومما لا ريب فيه

¹ - تشارل داروين. المرجع السابق. ص 58.

² - أسامة أنور عبد الرحمن النور. المرجع السابق. ص. 87.

³ - أسامة أنور المرجع السابق، ص 90.

⁴ - سينثيا ستوكس براون. ترجمة وتقديم أيمن توفيق، تاريخ الأحداث الكبرى من الإنفجار الكبير إلى الزمن الحاضر. شارع بالأوبرا الجزيرة القاهرة، الطبعة الأولى. 2010. ص86.

⁵ - أسامة عبد الرحمن النور. المرجع السابق. ص95.

⁶ - المرجع نفسه. ص 95.

أن النياندرتال كانوا يستخدمون النار، وكانوا يكشطون الجلود للملابس ولصناعة المأوى، وكانوا يدفنون موتاهم وهم أول البشر يفعلون ذلك، وكانوا يدفنون الأدوات مع موتاهم. ونستنتج مما سبقت الإشارة إليه أن إنسان نياندرتال يشكل مرحلة إنتقالية بين القرد والإنسان لكنه لم يرق في صفاته إلى مرتبة الإنسان المعاصر.

(2) الإنسان العاقل:

يرجع الكثير من العلماء أن في العصر الحجري القديم الأعلى، بدأ إنسان نياندرتال في الاختفاء ليحل محله الإنسان العاقل، أي الإنسان الذي يفكر (Homo sapiens) وباستغلال أمخاخهم الأكبر وقدراتهم العقلية الأكثر تميزاً، نجح الإنسان العاقل في التفوق على الأنواع الأخرى مشكلين بذلك أول تجمع بشري. ومباشرة الحياة الاجتماعية الأكثر تعقيداً وأصبحت الطريق ممهدة أمامهم للمزيد من عمليات الخلق والابتكار والتي لم تكن ممكنة بالنسبة لسلفهم السابق. وسمحت لهم الظروف المناخية المعتدلة بالخروج من أواسط إفريقيا متجهين نحوى غرب آسيا، والتي استقروا فيها مدة ليست بالقصيرة، حيث اضطرتهم البيئة الجديدة إلى التأقلم على مناخ أشد برودة مما عهدوه في مناطق إفريقيا الدافئة. فأخذوا يتعلمون التقنيات في تجهيز الملابس من جلود الحيوانات ومن الفراء¹، للإحتماء من البرد ثم إستغلوا فرصة الأجواء الدافئة، وذلك منذ 50000 - 40000 ألف سنة لينتقلوا إلى جنوب أوربا²، وكان حينها الجليد لايزال يغطي معظم أجزاء أوربا الشمالية، وأخذوا في التأقلم مع محيطهم الجديد والذين يعرفون اليوم بإنسان **كرومانيون** (Cromagnon) الذي وجدت بقاياها المتحجرة في جنوب فرنسا، متمثلة بهيكل عظمي كامل لإنسان، طويل القامة، دقيق البناء، كبير المخ³، مما جعل الطريق ممهدة لمزيد من الخلق والإبداع التي لم تكن ممكنة بالنسبة لإنسان العصورالسابقة والجدير بالذكر أنه تم العثور في نفس الفترة، على هياكل عظمية في

¹ - سينثيا ستوكس براون. نفس المرجع. ص ص 87، 88.

² - المرجع نفسه. ص 88.

³ - موسوعة الآثار التاريخية، "حضارة شعوب، مدن، عصور، حرف ولغات"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان. 2008. ص 104.

كهف غريمالدي، تحمل صفات زنجية مما يشير على أن هناك هجرة زنجية انطلقت من إفريقيا عن طريق المغرب الأقصى¹.

يمثل ظهور الإنسان العاقل لحظة فارقة في مسيرة التطور، حيث أخذ يتحرر كليا من القوانين التي كانت تسيطر على قطعان الحيوان. وبدأ في تنفيذ هذا التطور وفق ترسانة من القوانين الاجتماعية، لم يعدها في عالم الحيوان ومميزة فقط للمجتمع الإنساني ولا شك في أن مسيرة التطور التي مربها الإنسان، أفضت إلى تشكل الأجناس البشرية، وقد تأثرت عملية تكون السلالات البشرية، بالظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان منذ مراحل زمنية طويلة. ولاشك أن وحدة البشرية كنوع بيولوجي لا تتعارض بأية حال مع حقيقة نشوء أنواع محلية في المراحل البدائية.

وقد اختلفت تلك الأنواع المحلية بعضها عن الآخر، من حيث بعض السمات والمظاهر الثانوية غير الأساسية كاللون البشرة الشعر، وبروز الأنف وإلخ. ويعتمد علماء الأنثروبولوجيا على هذه الاختلافات التي تعتبر الحجر الأساس في التقسيم الحالي للإنسان المعاصر إلى سلالات حسب التصنيف الأنثروبولوجي. وتقسم البشرية حاليا إلى ثلاث سلالات كبرى يرجع تاريخ تكوينها إلى العصر الحجري القديم الأعلى²:

(أ) السلالات الزنجية - الأسترالية التي ينتمي إليها الزنج الآفارقة وسكان أستراليا.

(ب) السلالة الأوربية - الآسيوية والتي تضم سكان أوربا، شمال إفريقيا، وشمال الهند، وآسيا الصغرى.

(ج) السلالة المغولية والتي ينتمي إليها لسكان الصين، وأواسط وشمال آسيا، وجنوب شرق آسيا والسكان الأصليون لأمريكا.

إن الاختلافات بين السلالات البشرية لا تعدو كونها شكلية، ولا يمكن لها أن ترقى إلى حد التشكيك في حقيقة الوحدة البيولوجية للجنس البشري. كما أن هذه الاختلافات لا

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي، البشير سلامة، مؤسسة تاولت الثقافية، 2011، 35.

² - أسامة أنور، المرجع السابق، ص100.

تؤثر في أنماط التطور الحضاري. وهكذا يوظف أصحاب النزعة التطورية، التي ترتبط بالنزعة العرقية¹، وهي نزعة تعلي من شأن الاختلافات بين العروق البشرية، وتبالغ في دور الوراثة، والاصطفاء الطبيعي وتنقلها إلى مجال الاجتماع حيث ترى أن السلالات المختلفة لا تتساوى من حيث المقدرات على الإبداع، والخلق الحضاري، فهناك عروق لا تقوى على إنتاج الحضارة، وهي عاجزة عن الخلق وإلى الأبد²، وهذا ما يفسر سيادة بعض الأعراق وتبعية الأخرى. مثل هذه الأطروحات ليست سوى أوهام ترفضها كل الوقائع التاريخية، المتوفرة في ترسانة العلم التاريخية. ومما لا يرب فيه أن السلالات البشرية، قد اختلطت وتمازجت عبر التاريخ، ولا توجد سلالة بشرية قد حافظت على نقاء دمها عبر التاريخ.

(3) الإنسان الأول بالجزائر:

لا يرب في أن العوامل التي ساعدت الإنسان المغربي القديم، على الاستقرار هي التغيرات التي طرأت على أحوال المناخ، الذي أخذ يميل نحو الاعتدال نسبياً، حيث كان يمر بمرحلة مطيرة في شمال إفريقيا، يقابلها زحف جليدي في شمال أوربا³. وكانت البيئة الجزائرية ولا زالت غنية بتنوع تضاريسها وغطائها النباتي، مما شجع الإنسان على اتخاذ الكهوف والمغارات مأوى له، في حين اتخذ من البحيرات والأودية الواحات مكاناً للاستقرار لمزاولة نشاطه، ولقد كان للظروف الجوية تأثير هام على نوعية المساكن التي لجأ إليها الإنسان، ففي العصر المطير لجأ الإنسان إلى الكهوف والمغارات ليقى نفسه من الظروف الجوية القاسية ثم بانتهاء هذه المراحل يخرج إلى فضاء أوسع لجمع الثمار وصيد الحيوان. وقد تطلبت هذه الحياة صنع أدوات حجرية تساعده على تأمين حاجياته المختلفة وتحقيق

¹ محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2000، ص27.

² المرجع نفسه، ص26.

³ رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالث ق. م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص81.

أغراضه السلمية والدفاعية. فكانت محاولته الأولى هي الوصول إلى صناعة آلات حجرية والتي بواسطتها يستطيع تحقيق أغراضه السالفة الذكر.

ولاشك في أن تعامله مع الطبيعة كان محفوفاً بالمصاعب والمشاق، الناجمة عن الضعف الذي ميز الإنسان في مراحل البدائية، في عملية الصراع المستمرة ضد قوى الطبيعة. والجدير بالذكر أن مستلزمات الحياة وما تتطلبه من تقنيات وأدوات، جعلته يفكر لا في صنعها، بل في كيفية تطويرها وتحسين أدائها.

إن البقايا الحجرية التي خلفها الإنسان المغربي القديم والتي عثر عليها في مواقع مختلفة، تعتبر من أبرز الشواهد المادية على أقدم إنتاج حضاري لتلك الفترة الموعلة في التاريخ حيث بدأت محاولته في صنع أدوات حجرية شذبها في بداية الأمر في اتجاه واحد أو عدة اتجاهات دون أن يتحكم في صناعتها وإخضاعها لما يريد¹. ولم يأت ما قام به الإنسان اعتباراً هكذا، بل كان نتيجة عدة تجارب وملاحظات واجهته في حياته اليومية².

وقد ترك الإنسان المغربي بصماته على بعض الصناعات الحجرية في فترات مختلفة من ما قبل التاريخ. والتي ساهمت بدون شك في تطور وتعدد حضارات هذا الإنسان الأول، لقد تجاوزت اهتمامات جهود الإنسان الأول الإنتاج المادي الذي يعتبر حجر الزاوية في الإنتاج الحضاري، إلى التصورات الغيبية التي حاول الإنسان أن يجسدها في بعض مخلفاته المادية، التي تثبت انشغالات الإنسان الأول المغربي بالإيمان و ببعض المقومات المعنوية في حياته الأولى.

وقد حاول العلماء ربط مراحل العصر المطير بمراحل الهجمات الجليدية في أوروبا، وتمكنوا بعد دراسات جيولوجية وجغرافية طويلة، من التعرف على المراحل التالية:

¹ - محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

جدول يوضح المراحل الجليدية الأوربية وما يقابلها (المطيرة) في بلاد المغرب القديمفتره

ما قبل التاريخ¹:

العصر من حيث الإعتدال والتجمد	الحضارة	بلاد المغرب القديم	أوربا
هولوسين Holocène	نيوليتى Néolithique قفصية Capsien إبيرومغربية Iberomaurusien عاترية Atérien	السلطانية Soltanien	فورم Wurm
البليستوسين الأعلى Pléistocène supérieur	الموسترية Moustérien الأشولية Acheuléen	التنصيفية Tensiftien	ريس Riss
البليستوسين Pléistocène	تواصل الأشولية Acheuléen الحصى المشذبة Galets aménagés	العامرة Amirien	مندل Mindel
البليستوسين الأسفل Pléistocène inférieur	الحصى المشذبة 1-2 Galets aménagés	السلامية Salitien	جنز Gunz
ما قبل البليستوسين Prépléistocène inférieur	ما قبل الحصى المشذبة السفلى Prégalets aménagés inférieur	الملوية Moulouyen	ما قبل جنز

(4) المواقع الأثرية في الجزائر:

ومن أهم الإكتشافات للبقايا البشرية، التي تدل على أن الإنسان عمر هذه البلاد منذ مدة ليست بالقصيرة. يعود الفضل إلى كاميل أرمبورغ الذي إكتشف موقع عين الحنش،

¹- G. Camps: « Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara ». Doin. Paris, 1974. P1

وينظر: رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص، 81. وتقي الدباغ، "الوطن العربي في العصور الحجرية"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص 8.

بالقرب من بلدية قلعة الزرقة ولاية سطيف¹، والذي يعود إلى العصر الحجري الأسفل، وهو المكان الذي يحتوي على أقدم القطع الأثرية التي يعود تاريخها إلى 1,8 مليون سنة. وفي ذات السياق تم اكتشاف موقع تغنيف بالقرب من بلدية باليكاو، بولاية معسكر حيث سمحت الحفريات الأثرية باكتشاف بقايا عظمية بشرية، تتضمن عظام الفك السفلي، لأن هذه الأجزاء العظمية تتميز بالصلابة والقدرة على مقاومة فاعلية الزمن. ويلاحظ أن هذه الأجزاء العظمية تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأسفل²، وقد أطلق على تلك البقايا اسم إنسان باليكاو³. ولقد أدرج العلماء هذا الإنسان، ضمن قائمة المجموعة المنتمية إلى إنسان الأطلس الموريتاني. ثم تواصلت الاكتشافات الأثرية في مناطق مختلفة من الجزائر، أثمرت بالعثور على آثار أخرى، تعود إلى نفس العصر، بالإضافة إلى الرماديات التي هي سمات العصر الحجري الأعلى. وقد جمعت الأدوات الأولى التي احتوت على عدة فؤوس يدوية ذات لمسة أشولية متقدمة، في ضواحي شامبلان (Champlain) بالمدينة⁴. وموقع تامدا في أعالي وادي سيباو وجنوب دلس. ودلت الدراسات على أن هناك تشابه بين تلك الأدوات في كل من جنوب إفريقيا والمواقع الجزائرية الأخرى، ولاسيما تلك التي تم التقاطها في كل من تلبالة - تاشنغيت وتيهودين بالصحراء ثم تغنيف بالغرب الجزائري⁵. وتمثل آثار موقع عين الحنش أقدم جهد إنساني في صناعة الأدوات الحجرية في شمال إفريقيا، لقد دلت الآثار المكتشفة في مناطق مختلفة من تراب ولاية تيارت، على أن تاريخ المنطقة يعود إلى فترة ما قبل التاريخ وهذا ما سنكشف عنه في الفقرات الآتية.

¹ - محمد الصغيرغانم، المرجع السابق، ص 25.

² - رشيد الناضوري، المرجع السابق ص 55.

³ - محمد الصغيرغانم، المرجع السابق، ص 24.

⁴ - المرجع نفسه. ص. 24.

⁵ - L. Balout: « Préhistorique de l' Afrique du nord , arts et métiers graphiques». Paris, 1966. P 234

حيث كانت تيهرت وضواحيها آهلة بالسكان¹، قصدها الإنسان لما تتوفر عليه من مصادر المياه، وخصوبة التربة (وادي مينة، واد العبد، نهر واصل، سهل سرسو...) وتوفرها على المغارات والكهوف الصخرية، مما أهلها لأن تكون محطة ملائمة لاستقرار الإنسان منذ فترات ما قبل التاريخ.

(5) المعالم التاريخية والمواقع الأثرية في تيارت:

5-1- آثار ما قبل التاريخ:

- موقع كولمناطة:

تقع كولومناطة بالقرب من بلدية سيدي الحسني وهومن المواقع الأثرية القديمة يضم محطتين أثريتين، الأولى تصنف ضمن آثار ما قبل التاريخ بينما تعود الثانية الى الفترة القديمة.

المحطة الأولى: وفيها تم العثور على بقايا كثيرة يعود تاريخها الى فترة ما بعد العصر الحجري القديم، منها بقايا عظمية لإنسان مشتي العربي، الذي ينتمي إلى الإنسان العاقل (Homosapiens) وهو أقدم إنسان ظهر في المغرب القديم²، والذي ترك لنا بقاياها منها منصات حجرية وبقايا مدافن موجودة في بلدية سيدي الحسني.

آثار كاف بوبكر: يقع كاف بوبكر ببلدية الدحموني، وهو من المواقع الأثرية الهامة التي يرجع تاريخها الى مرحلة ما قبل التاريخ، وفيه يوجد محطة للرسومات الحجرية وهي من أروع وأغنى المحطات الزخرفية الشاهدة على العبقرية الفنية لإنسان تلك المنطقة. الذي تمكن من تجسيد ذلك في رسوماته وهي موزعة على مجموعة من الجداريات توجد الأولى في أسفل

¹ - قلماوي عمر، "لمحة على فترة ما قبل التاريخ، بولاية تيارت"(الغرب الجزائري) "بحوث جامعة الجزائر رقم 3"، ص ص 73-80.

² - Gabriel Camps: L'Homme de Mechta El arbi et sa civilisation contribution à l'étude des origines guanches. P257. PDF. وينظر:

M. C. Chamala: « L'évolution du type Mechta-Afalou ,en Algérie occidentale ». Comptes-rendus de L'académie des sciences de Paris. PP24 ،25.

احد مخابئ كاف بوبكر، يبلغ طولها 21م وعرضها 1,6م وهي عبارة عن زخارف آدمية وحيوانية¹.

والثانية تقع في الجانب العلوي للمخبأ السابق وهي تضم أشكال وزخارف متشابهة والثالثة توجد في مخبأ غير بعيد عن المخبأ الأول حيث لا يظهر بها سوى صورة واحدة لحيوان صغير، أما الرابعة عثر عليها بمخبأ يقدر طوله بـ 6م وعرضه 1,9م وهي تتنوع بين زخارف آدمية وحيوانية².

- النقوش الصخرية لواد سفالو:

تم اكتشاف هذه النقوش على يد (R. De Bayle desHermens) في سنة 1956 والتي تقع في الجهة اليمنى للوادي الذي يتوسط جبل سفالو وجبل عزوانية، وهي تضم ثلاثة مخابئ عثر بداخلها على نقوش وزخارف متنوعة آدمية وحيوانية وأشكال هندسية وكتابات ليبية ورسوم رمزية وهي من إنتاج إنسان ما قبل التاريخ³.

- قصر كولمناطة:

ويقع هذا النصب التذكاري بمرتفعات رواوة ببلدية السبت، وقد شيد على ربوة عالية، قد يكون شريط دفاعي يحيط بالقصر من جهات مختلفة، وعلى مقربة من منابع المياه، مما يدل على قدم الحضور البشري والحضاري في المنطقة.

- موقع مشرع الصفا:

وتقع على بعد 30كم جنوب غرب مدينة تيارت، وبها موقع أثري بمنطقة الصوامع الذي يقع على أطراف وادي مينا، وهو يضم ثلاث مقابر رئيسية تتكون من معالم وأضرحة جنائزية وتعد من أكبر المقابر المغاليتية تتشكل من حجارة مسطحة ضخمة منصوبة على

¹ - Cadénat. P: « Atlas préhistorique de L'Algérie ». Feuille N°33. Tiaret. In Libyca. T. 14,1956.

² - Cadénat. Op ,Cit,p,2

³ - De Bayle. RD. H. R: « Les Gravures rupestres de l'oued Séfalou, région de Tiaret ». In Libyca. T. 3. 1955. PP327- 342

شكل قاعدة مستطيلة متينة، يعود تاريخها الى العصر الحجري الوسيط. وبداخلها تم العثور على أواني فخارية وكتابات لاتينية¹.

- موقع قرطوفة:

تقع قرطوفة غرب مدينة تيارت وهي تبعد عنها بـ 8 كلم، والموقع به حجارة ضخمة يتراوح سمكها ما بين 1,7م - 4م، وواجهتها العليا الى 10 أمتار طولا و6م عرضا، وهي تعرف بحجرة القايد وهي ترتكز على شكل قاعدة منحرفة بـ 30°، وبها ثلاثة أحواض متصلة ببعضها البعض ومتدرجة على شكل شلال غير متساوية في الطول تنحدر أكثر كلما ازداد العمق باتجاه الأسفل وعلى الأيمن ثلاثة حفر دائرية الشكل، وعلى الجانب الأيسر ثلاثة حفر مربعة الشكل، ومن المرجح أنها كانت تستعمل كمذبح بدائي وفيه يتم تقديم القرابين للآلهة².

5-2- مواقع الآثار القديمة:

ومنها ما يعود الى فترة الوجود الروماني الذي يبدو أنه بدأ مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي، متزامنة مع أشغال إنجاز خط الليمس الدفاعي الثاني الذي أنجز حوالي 201م أثناء حكم سبتيموس سيفريوس (Septimes Séverus) ويمر عبر توكرية سيد الحسني (Columnata) تيارت ثم عين سبيبة، تاوغزوت، سبيبة، وتخمارت (كهور بروكوريوم) وهي مراكز أساسية له³، فمعسكر (Cohor Breucorum) مستطيل الشكل أبعاده 145م×90م بكل زاوية من زواياه برج دائري قطره 4,8م بنيت جدرانها من الدبش الكبير المدعم بالحجارة يتراوح سمكها ما بين 1,9م ومترين وقد منح فيلق المشاة البروكيين الثاني

¹- M. R. De la Blanchère: « Les Souama de Machera Sfa ». In mélange d'archéologie et d'histoire. T. 2. 1882. P391

²- M. R. De La Blanchère: « Voyage d'étude dans une partie de la Mauritanie césarienne ». T. 2. Imprimerie nationale. Paris. P42

³- محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003م، ص124.

اسمه للمعسكر خلال القرن الثالث¹. وتجلت أهميته في أنه يعتبر قوات خلفية بالنسبة لليمس متأهبة كلما لزم الأمر.

كما اهتم الرومان بإنشاء الطرق ووضع المعالم العسكرية وهي عبارة عن حجارة منحوتة وعليها كتابات منقوشة تم العثور عليها في ضواحي تخمارت وهي على شكل مسطح يصل علوها الى 1,53 وعرض 0,55 وسمك 0,20 يعود تاريخها الى سنة 270م، كما توجد حجارة أخرى في نفس المكان يعود تاريخها الى 282م بلغ ارتفاعها 0,90م وعرض 0,5². وفي عين الحديد القريبة من فرندة عثر على معلم عسكري يوم 19 أوت 1959 منحوت من حجارة جيرية بيضاء على شكل مستطيل طولها 1متر وعرضها 50 سم³.

- تنغارتية Tingartia:

وهي بقايا من جدران لقلاع وحصون كانت تحيط بمدينة رومانية بزنطية بلغ سمكها 2,50م، كما تم العثور على قطع نقدية رومانية من البرونز وأخرى ذهبية⁴.

- قلعة تاوغزوت:

وتقع جنوب مدينة فرندة وتبعد عنها بحوالي 6كلم، شيدت على نتوء صخري يطل على سهل التات⁵، ويضم الموقع الأثري مجموعة من المغارات منها ما يعود الى ما قبل التاريخ استخدمها الإنسان كمخابئ وأخرى عبارة عن مساكن بربرية قديمة⁶، كما شيد بها الرومان حصن عسكري لمراقبة القبائل الثائرة من الناحية الجنوبية، وفي العهد الإسلامي حصنها سلامة بن علي بن نصر شيخ بني يدلتن على عهد عبد القوي بن العباس، وتداول

¹ - عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، 46 ق.م - 284م دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص56.

² - Antoine Héron de Ville Fosse: « Inscriptions militaires des environs de Tagmaret. » Algérie N°2. P258

³ - Cadénat Pierre: « Découverte d'un militaire à Martimprey (Oranie) ». In antiquité africaine. 1970. P119.

⁴ - J. Canal: « Monographie ancienne et moderne ». (B. S. G. A. O). T. 20. N°20. P3.

⁵ - M. R. De La Blanchère. Op.cit. P32.

⁶ - مهدي محمد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الآثار الوقائي بعنوان، "جرد مواقع ومعالم منطقة فرندة" نوقشت بتاريخ (2012-2013) قسم التاريخ والآثار جامعة تلمسان، ص 34.

رئاستها بنوه من بعده، فدعيت قلعة بني سلامة¹، وفي سنة 1375م نزل لاجئاً عند أولاد عريف واستقر بقلعتهم واتخذها مكاناً لكتابة المقدمة².

- عين سببية:

وتعني بالعربية عين الزببية وهي تقع على بعد 07 كم جنوب مدينة فرنده، وفيها منابع للمياه من أفضل مياه العالم³، شيد بها الرومان قلعة عسكرية وهي ذات شكل مستطيل مقاساتها 340×500م، ويوجد في مركز الموقع فرور المدينة، والتي كانت تنطلق منها ثلاثة طرق رئيسية للمدينة الأولى تتجه نحو تاوغزوت والثانية نحو سعيدة والثالثة تتجه نحو عين الدرهم شرقاً، إلى جانب بعض البناءات المبعثرة التي يعتقد أنها بنايات بربرية شيدت في عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (113-211)، الذي أشرف على عمليات التوسع العسكري متوغلاً بالليمس إلى أقصى حد ممكن لمراقبة تحركات القبائل النائرة والرافضة للاستيطان الروماني⁴.

- تاقدمت:

مدينة قديمة أسسها الرومان يبلغ طول محيطها عشرة أميال بها أنقاض معبدتين كبيرين كانت تعبد فيها الأصنام⁵، تقع غرب مدينة تيارت بمسافة تقدر ب 9 كلم، وموقع تاقدمت يقع فيه الخلط بين آثار الرستميين ومخلفات الأثرية للأمير عبد القادر، فبناء على ما ذكره كل من ج. مارسي (Marçais) ود. لامار (Lamar) فإن عملية التنقيب التي أجريت

¹ - مبارك بن محمد الملي، المرجع السابق، ص 471

² - الحاجري محمد طه، ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب، ت، ص، 123، 124

³ - M. R. De La Blanchère. Op,citP 38.

⁴ - محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 124.

⁵ - الحسن بن الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983م، ص، 40، وينظر ايضاً: شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ص181م

في الموقع واكتشفا مخططها هي معصومة الأئمة الرستميين 144هـ / 760م¹، في حين تشير بعض المصادر التاريخية على أنها من إنجاز الأمير عبد القادر، والراجح أن قلعة الأمير بنيت فوق الربوة الجنوبية من بقايا الرستميين، التي إتخذها الأمير كعاصمة جديدة بعد أن وقعت معسكر في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1935م وشرع الأمير في بناء تاقدمت وذلك في ماي 1936 حسب ما ذكره تشرشل²، ومع نهاية سبتمبر 1836م حسب دي فرانس ومن خلال ما تقدم يرجح ان التاريخ الأخير أقرب الى الصواب، حيث أن دي فرانس كان موجودا عند بداية الأشغال، فتم بناء القلعة والتي كانت تضم المباني الحكومية وأخرى خاصة بالمنشآت المدنية، التي تحيط بها أسوار مربعة وبداخلها تقع دار الصناعة وقاعة المحكمة ومدينة تاقدمت الحالية تقع على امتداد منحدر الهضبة³.

- الأجدار:

وهي كلمة عربية معناها الجدار أو الحائط، وحرفت إلى العامية حيث أصبحت تدل على الأضرحة والقبور الجنائزية، التي شيدتها ممالك بربرية قبل سنة 544م، وعبارة عن مجموعة من البناءات الضخمة تقع على بعد 15كلم شرق مدينة فرندة وعلى مسافة 30 كلم جنوب تيارت، تضم ثلاثة عشر معلما⁴.

وهي متماثلة وتنقسم الى مجموعتين ثلاثة منها A, B, C وتقع على قمة جبل لخضر، والعشرة الباقية قرب منطقة ترناتن تشكل مقبرة تنتصب على قمة جبل العروي وترتكز

¹ - Marçais. G et Lamar: « Recherches d' archéologie musulmane ». TIHERT-TAGDEMT. In Revue africaine. T. 10. Année 1946. PP 33,41 ,42.

² - شارلز هنري تشرشل، المرجع السابق، ص، 182.

³ - اسكوت (الكولونيل)، مذكرة الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 88 - 89.

⁴ - M. R. De la Blanchère. Op,cit. P79.

وينظر أيضا:

Fatma Kadaria Kadra: « Les Djedars, monuments funéraires berbères dela région de Frenda » OPU ,1983. P7.

ومحمد البشير شنياتي، موريطانيا القيصرية دراسة حول اللبمس ومقاومة المور، اطروحة دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991-1992، ج2، ص 17.

الأجدار، على قاعدة مستطيلة يعلوها تاج هرمي ذو أربعة زوايا بنيت بالحجر المنحوت، وكل منها له لوحق خارجية طول الجدار 34,60م وارتفاع 04 أمتار بالإضافة الى تاج هرمي مغطى بكتل حجرية منحوتة يصل علوه الى حوالي 13م ويبلغ ارتفاع النصب الجنائزي حوالي 17م¹. وأهم ما تم اكتشافه كتابة على حجر فسيح والتي أمر المنصور حين وقف أمامها بترجمتها، بعد مطاردته للواتة وفيه أنا سليمان السردغوس²، خالف أهل البلد على الملك، فبعثني إليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به، وكانت تيارت جزء من مملكة الونشريس تحت إمرة الملك ماستيغاس التي كانت حسب العديد من الباحثين والمؤرخين مملكة قوية دامت الى غاية وفود المسلمين الفاتحين الى شمل افريقيا³.

ثالثا - تيارت في العهد الإسلامي:

1- حملة عقبة بن نافع الثانية وفتح تيهرت 62 / 681 م:

لا شك أن حملة عقبة بن نافع الثانية والتي انطلقت من مدينة القيروان اصطدمت وهي في طريقها إلى تيهرت، بمقاومة عنيفة خاضها كل من البربر وحلفائهم البيزنطيين الذين اعترضوا سبيله، في المدن التي مر بها (مجانة، باغاية، لميس أولمبيس ثم آربة عاصمة بلاد الزاب) وقد وقعت بينه وبين سكان تلك المدن، البيزنطيين والبربر، معارك على أطرافها، وبعد انتصاره عليهم، المرة تلوى الأخرى⁴، كانوا يعودون إليها ويتحصنون بها، فيواصل عقبة زحفه باتجاه الغرب دون أن يلتفت إليهم، ثم إشتبك الطرفان في معركة ساخنة لم يكن للروم

¹ - رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار الهومة، الجزائر، 2007، ص 150.

² - سليمان السردغوس، هو"شولومون الأرمني Solomon الذي حكم شمل إفريقيا للبيزنطيين بعد حملة بيليزير Belisaire ضد الوندال، ودارت الوقائع فعلا في عهد الإمبراطور جوستينيانوس الأول (527-567) وهذه الإشارة نقلها الداعي إدريس عن تاريخ الرقيق كما نقلها ابن خلدون ج6، 154، لا تخلو من عناصر الصحة: اسم القائد، واسم الإمبراطور، وذكر المتمردين على الحكم الرومي، لكن المؤرخين الغربيين مثل ديل

Charles Diehl: « l'Afrique byzantine, histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709) ». Paris, 1896. P266.

³ - P. Clavenard: « Une mission dans le sud oranais ». Paris, 1888. P58.

وينظر: رابح لحسن، المرجع السابق، 53.

⁴ - محمد بن عميرة، "موقف التيهرتيين من حملة عقبة بن نافع على بلاد المغرب في كتابات الفرنسيين"، مجلة الخلدونية

"، عدد خاص أكتوبر، 2009، ص 17

والبربر فيها من طاقة بقتال العرب، فولوا هاربين بعد قتل عدد كبير منهم¹. واعتصموا بعاصمتهم الحصينة وغلغوا عليهم أبوابها، فغنم عقبة غنائم كثيرة، ثم سارت إلى تيهرت وكانت قاعدة مهمة في المغرب الأوسط، وأحد الحصون الكبيرة في تلك النواحي، فسمع سكانها البربر بمسيره فخرجوا إليه لمدافعته، ف وقعت حرب عنيفة بينهم وبين جيش عقبة، فانتهصر على البربر الأشداء فولوا الأدبار، فاعتصموا بحصنهم وتركهم فغنم منهم أموالا كثيرة². والملاحظ أن ابن عذاري وصف الحملة العسكرية التي قادها عقبة ابن نافع ضد البربر والروم والتي انطلقت من مجانة وباغاية بقوله: " وقد اجتمع الروم والبربر في إقليم تيهرت إجتماعا عظيما... فالتحم الجمعان فولى الكفار منهزمين فأباد فرسانهم، وقتل حماتهم وفرق جمعهم... ولما توالى الهزائم على نصارى إفريقية وبربرها، وكثر القتل فيهم لجأ من بقي منهم إلى الحصون والمعازل فلم يبرحوها فكره المقام على محاصرتهم فيفوته الغزو."³ وهذا ما يدل على تمسك البربر المقاومة دفاعا عن أوطانهم ضد التدخل الأجنبي في حين أبدى عقبة بن نافع إصراره في استكمال الفتح ونشر الإسلام في بلاد المغرب.

2. تيهرت الرستمية:

2-1- السياق التاريخي لبناء مدينة تيهرت:

بعد مقتل الخليفة أبو الخطاب المعافري، في معركة تاورغا⁴ سنة 144 -761م تشنت أتباع الإباضية ففر عبد الرحمن بن رستم من القيروان، بأهله وما خف من ماله خفية نحو المغرب الأوسط، لإنشاء دولة خارجية إباضية في بلاد كانت خارج سلطان العباسيين، يأمن على دولته من جيوشهم. فاجتمعت إليه الإباضية واتفقوا على تقديمه ويقول بن خلدون:

¹ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، تونس 1968، ص 44

² - محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، ج 2 الطبعة الأولى مؤسسة تاليت الثقافية، 201، ص 67.

³ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج س، كولان، ليفي بروفسال دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج1، ص 25-26

⁴ - تاورغا أوتاورغة، المنطقة التي وقعت فيها المعركة المذكورة، وتبعد مسيرة أربعة أيام من مدينة طرابلس شرقا ينظر: بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية نشر جمعية التراث، القرارة، ط1، 1985/1406 م، ص 67.

"لحق عبد الرحمن بن رستم بإباضية المغرب الأوسط من البرابرة ونزل على لماية فاجتمعوا إليه وبايعوه بالخلافة"¹.

وظاف الجميع أنحاء البلاد، يبحثون عن مكان يصلح للبناء، العاصمة حتى إستحسنوا موضع تيهرت وهو على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة².

ويعتبر موقع تيهرت امتدادا طبيعيا لبلاد الزاب، وهذا يتيح لعبد الرحمن بن رستم سرعة الإتصال بالجماعات الإباضية في أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس ونفزاوة، وبلاد الجريد، مما يساعد في اتساع رقعة الدولة، دون وجود عوائق طبيعية تمنع ذلك الاتساع.

وتعتبر منطقة سوفجج التي لجأ إليها عبد الرحمن بن رستم، من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط، فسوفجج هو الجبل الرابع من سلسلة الجبال التي تمتد من مدينة (السوقر) في جنوب مدينة تيهرت، ومدينة الشلالة في الجنوب الشرقي منها، وحول هذا الجبل كانت مواطن لماية ولواتة وهوارة، وهي قبائل كانت قوية الصلة بالمذهب الإباضي³، بل إن لماية كانت على صلة قوية بعبد الرحمن بن رستم، لذا فقد آثرت أن ينزل بين أبناء هذه القبيلة. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: " ونزل على لماية لتقديم حلف بينه وبينهم"⁴.

وقد أضفى كتاب الإباضية، على بناء تيهرت لونا قصصيا مثيرا⁵، فهم يرون لبنائها قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة، وبنائه للقيروان. فبعد أن اتفق الجميع على موضع تيهرت نادى مناد للسباع أن أخرجوا من الغابة فإننا مريدون عمارتها، ونازلين بها فشوهدت تلك الحيوانات

¹ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ/2000م بيروت لبنان، ص159.

² أبو عبيد عبد الله بن محمد البكري، المسالك والممالك، حققه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 / 2003 م، مج2، ص 249

³ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية، بالمغرب والأندلس، دار القلم، الكويت، ط3، 1408 / 1987م، ص86

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص247. ويبدو أن ابن خلدون أول من ذكر رواية الحلف بين لماية وعبد الرحمن بن رستم ومن المرجح أن الحلف قد تم فعلا خاصة وأن عبد الرحمن كان على صلة وثيقة بلماية المغرب الأدنى لما كان واليا على القيروان من قبل أبي الخطاب.

⁵ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص98.

تخرج من تلك الأحرش حاملة أولادها¹، وبعد أيام قليلة أرسلوا فيها نارا فأحرقت ما فيها من الأحرش والأشجار. ويبدو أن الأمر لم يكن يعدوا أكثر من عملية تطهير المنطقة من الأشجار بحرقها، لإزالتها بسرعة وقد دفع ذلك الحيوانات إلى أن تهرع من المنطقة خوفا من الحريق، مما دفع بالكتاب إلى نسج هذه القصة المثيرة لإحاطة المدينة بهالة من الكرمات والتقدیس²، أو ربما كان بإيحاء من المقربين من عبد الرحمان بن رستم لإضفاء الشرعية على حكم الرستميين.

ويروي البكري أن موضع تيهرت كان عيصة أشبة ملتف الأشجار، يمتلكه قوم مستضعفون من قبيلتي مراسة وصنهاجة³، ويتسأل المرء عن السبب الذي جعل عبد الرحمن يغير مواقفه من اتخاذ تيهرت القديمة عاصمة له، ويبدو أنه لم يجد قبولا من أهلها فقد ذكر: "إنهم لما أرادوا بناء تيهرت كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تيهرت السفلى وهي الحديثة وهي تقع على بعد خمسة أميال من القديمة والراجح أن الإباضية ردعوهم بالقوة وأجلوهم عن المكان برمته⁴، ثم يبدو أنهم توصلوا إلى تسوية ما أقرت في الأخير بأن يؤدي إليهم خراج أسواقها.

وعلى الفور شرع عبد الرحمن بن رستم في بناء المدينة واختار من أرض المنطقة موضعا مربعا لا شعراء فيه، ولذلك قالت البربر: "نزل تاقدمت تفسيره: الدف، وشبهوه بالدف

¹ - بحاز ابراهيم بكير، المرجع السابق، ص 86. وينظر أيضا: الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، 1324هـ، ص 7.

² - ابو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز (1040-1094م) أديب جغرافي ولد بشلطيش قرب إشبيلية ومات بقرطبة، لما استولى المعتضد على إمارة أبيه هرب معه الى قرطبة. وعندما توفي أبوه خدم محمد بن معن أمير المرية، فلما غزاها المرابطون عاد الى قرطبة وكان متعدد النواحي، له رسائل مسجوعة وتآليف مختلفة وله من الجغرافيا (المسالك والممالك) و(معجم ما استعجم). ينظر: نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، ج1 دار الأمير، بيروت لبنان، ط1، 1415هـ/1995، ص 103

³ - البكري، المصدر السابق، ص 249.

⁴ - محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب، في منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، 1406هـ/1987 نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص 149.

لتربيعه"، وفي الحين شرعوا في بناء المسجد الجامع¹، فانتشرت الدور والقصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق، وتفنن أهل تيهرت تدريجيا في عمارتها وتنظيمها وأحاطوا المدينة بعد ذلك بسور محكم شيد من الصخر².

ولم يسلم البكري من رواية بعض القصص، حيث ذكر أن عبد الرحمن ابن رستم والإباضية عندما نزلوا تيهرت، أدركتهم صلاة الجمعة " فصلى بهم هنالك فلما إنقضت الصلاة ثارت صيحة عظيمة على أسد ظهر في الشعراء، فأخذ حيا وأتى به إلى الموضع الذي صلوا فيه وقتل هناك، فقال عبد الرحمن ابن رستم: " هذا بلد لا يفارقه دم ولا حرب أبدا"³، كما نالت تيهرت إعجاب أبو عبيد الله البكري، الذي قدم عنها معلومات أكثر استفاضة والتي استقاها من معاصريه من العلماء والرحالة والتجار، الذين زاروا بلاد المغرب، والتي قال: " عنها أنها مدينة مسورة، لها أربعة أبواب هي باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن. وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى: مينة وهو في قبليها ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى: تاتش، ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها وهو في شرقها وفيها جميع الثمار سفرجلها يفوق سفرجل الأفاق حسنا، وطعما وشما وسفرجلها يسمى القارس. وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج"⁴.

لقد حظيت تيهرت باهتمام الرحالة الجغرافيين فوصفوها أبداعوا في ذكر محاسنها فخصها المقديسي بوصف رائع حيث يقول: "هي اسم القصبه أيضا، هي بلخ المغرب، قد أحرق بها الأنهار والتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبتت حولها الأعين وجل بها وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة وما

¹ - البكري، المصدر السابق، ص 249-250.

² - مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 178. وينظر أيضا: الباروني سليمان المرجع السابق ص 8.

³ - البكري، المصدر السابق، ص 68.

⁴ - المصدر نفسه، ص 249.

أظنهم أصابوا، هو بلد كبير، كثير الخير، رحب، رفق، طيب، رشيق الاسواق، غزير الماء جيد الأهل قديم الوضع محكم الرصف، عجيب الوصف، غير أنه متى يقاس المغرب بالشام، وأين دمشق في الإسلام، ولقرطبة اسم وذكرشان¹.

ويذكر البكري أن رجلا من أهل تيهرت نظر إلى توقد الشمس بالحجاز فقال: "أحرقى ما شئت فو الله إنك بتاهرت لذليلة". ويضيف قائلا: "... وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج.

وقد قيل لبعض الظرفاء من أهلها: "كم الشتاء عندكم في السنة؟ قال ثلاثة عشر شهرا"². ويفهم مما تقدم أن تيهرت كانت تتميز بمناخ بارد، وممطر طوال السنة بحكم موقعها الجغرافي مما جعلها غنية بمنتجاتها الزراعية والحيوانية المتنوعة.

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ بناء تيهرت، فابن خلدون يجعل تاريخ تأسيسها سنة 144هـ/ 761 أي في نفس السنة التي فر فيها عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى المغرب الأوسط. يقول ابن خلدون: "فأسسها (أي تيهرت) عبد الرحمن بن رستم أربع واربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها إلى أن هلك عبد الرحمن"³.

أما بن عذاري فقد روى عن ابن القطان أن بناء تيهرت الحديثة كان بعد سنة 140هـ/ 757م ثم استدرك بن عذاري الأمر فيما بعد فقال "فر عبد الرحمن بن رستم إلى الغرب بما خف من أهله وماله فاجتمعت إليه الإباضية، وعزموا على بناء مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تيهرت، وهي غيضة بين ثلاثة أنهار، فبنوا مسجدا من أربع بلاطات واختط الناس مساكنهم وذلك سنة 161هـ/ 777م"⁴.

¹ - شمس الدين أبو عبد الله المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1906م، ص: 228.

² - البكري، المصدر السابق، ص228.

³ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 159.

⁴ - ابن عذاري المركشي، المصدر السابق، ص 121.

أما أبو زكريا فيتخذ من انتخاب الإمام عبد الرحمن بن رستم لتولي الإمامة سنة 160هـ أو 162هـ بداية تأسيس مدينة تيهرت¹.

وبمناقشة التواريخ المختلفة ولاشك في أنها متضاربة نجد أن سنة 144هـ/761م التي حددها ابن خلدون، لا تتماشى مع سير الأحداث، فالمعروف أن عبد الرحمن بن رستم، فر إلى المغرب الأوسط سنة 144هـ وفي هذه السنة وقع تحت حصار محمد بن الأشعث مده طويلة في جبل سوفجج. وتؤكد بعض المصادر منها الرقيق وابن عذاري أن ابن رستم كان من المشاركين في حصار طنبنة قاعدة الزاب سنة 153هـ. ولما انهزم عبد الرحمن ابن رستم اتجه إلى الغرب قاصدا تيهرت وكان ذلك في سنة 153هـ أوبعد ذلك بأعوام²، والراجح أن بناء تيهرت كان سنة 160هـ أو 161هـ باعتبار أن هذه التواريخ متقاربة جدا.

2-2- الموقع وأهميته لتيهرت الرستمية:

تحتل تيهرت موقعا استراتيجيا هام³، حيث تعد همزة وصل، بين مناطق التل والصحراء، مما جعلها تتبوأ مكانة تجارية هامة، بين مدن المغرب الإسلامي وتمكنت في تلك الفترة من فرض سيادتها على المناطق السهبية، وبالتالي السيطرة على الطرق التجارية من الشرق إلى الغرب. ويشير في هذا الصدد اليعقوبي إلى قصر الطريق بينها وبين

¹ - أبو زكرياء بن ابي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، الكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م ص 535

² - بحازا إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص 83

³ - تيهرت: بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص، 86. الذي يقول: ان هنالك من يكتب تيهرت بالالف مكان الياء "تاهرت" وهو خطأ. وإنما حرفت الكلمة بمرور الزمن، والصحيح هو تيهرت. ويذكرها المغاربة مثل الرقيق القيرواني وابن عذاري وابن سعيد المغربي بذلك يقول أبو الفداء " وفي خط ابن سعيد عوض الألف ياء متنتاة من تحت وهو الأصح عندي لأن ابن سعيد مغربي فاضل " تقويم البلدان تصحيح رينود وآخرين، طبع دار الطباعة. السلطانية باريس 1840 م ص 138. وينظر كذلك جورج مارسيه وأخرحيث رجحا تيهرت على تاهرت

Marçais G. et Dessus Lamar: Tihert –Tagdemt. Op ;Cit. P24.

أما الشيخ أطفيش فيقول " وتيهرت بكسر التاء وإسكان الياء بعدها إسكانا ميتا، ويفتحها إسكان الياء بعدها حيا والفتح أولى ويفتح الهاء وبعدها راء مهملة ساكنة والتاء محرورة في السطر الأعلى صورة هاء لأنها تاء تأنيث في لغة البربر نقلان بحاز إبراهيم بكير الدولة الرستمية، ص: 86، وينظر كذلك دبوز تاريخ المغرب ج3، ص 262. وتقع تيهرت (العاصمة الرستمية) على بعد 9 كيلومترات من تيهرت اليوم.

سجلماسة، بوابة تجارة الذهب عبر الصحراء مما جعل المدينة، سوقا تقصده القوافل التجارية يتم فيها تبادل المنتوجات الزراعية والحيوانية، فتحوّلت بذلك إلى قطب تجاري يجتذب الناس من فارس موطن أجداد بني رستم ومن عرب إفريقية، ومن جهات مختلفة من بلاد البربر، من قبائل نفوسة بطرابلس، ومن قبائل زناتة الرحل في إفريقية والمغرب الأوسط، وقد ترددت هذه القبائل كثيرا على أسواق هذا الإقليم، وغنمت كثيرا من التجارة فيها.

وقد وصف اليعقوبي الذي زار تيهرت في عهد محمد بن أفح، بأنها جليلة القدر عظيمة الأمر وأنه يتصل بمدينة تيهرت بلد عظيم، ينسب إليها في طاعة محمد بن أفح، وأن هناك حصنا على ساحل البحر الأعظم (البحر المتوسط) ترسو به مراكب تيهرت يقال له مرسى فروخ¹.

2-3- أصل تسمية تيهرت:

يرى المستشرق الفرنسي مارك كارتى أن تيهرت لفظة بربرية، تعني محطة، وإقامة حسب إيزي²، ولقد اتخذها الرومان كقاعدة عسكرية لمراقبة القبائل البدوية، كما جعل منها الأمير عبد القادر حصنا يستطيع من خلاله أن يتحكم في القبائل الصحراوية البدوية³، حيث كانت بموقعها الذي كان يتوسط التل والصحراء، تلعب دور الوسيط التجاري، وذلك من خلال فرض سيادتها على المنطقة السهبية الشاسعة، وما بها من طرق تجارية تمتد غربا إلى المغرب الأقصى وجنوبا إلى قلب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، ثم هي تشرف من موقعها هذا أيضا على الطريق المار من منطقة التلول إلى أسفل وادي شلف المؤدي إلى البحر.

¹ - ورد ذكر مرسى فروخ عند اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن ورضح (ت284): البلدان ط3، النجف، 1957ص 105 بينما أشارالبكري، المصدر السابق1957. ص69: بأن لتيهرت ساحل يدعى الغزة مما جعل هذه المراسي (فروخ والغزة)يكتنفها كثير من الغموض، ولعلى ساحل الغزة لايعني مرسى بل يشير إلى منطقة بعينها. وينظر:

Canal J: « Tiaret , monographie ancienne et moderne ». (B. S. G. A. O.)Alger. T. 20. 1900. P30.

² - Canal J: Tiaret. Op,cit. P7

³ - بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص، 89

وعلى أية حال فإنها اتخذت، كعاصمة ومركز تجاري في زمن الرستميين، حيث لعبت ولازالت تلعب دورا تجاريا هما بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب¹.

ثم استمرت المدينة، بعد ذلك في التطور والعمران، فقصدها التجار من كل حذب وصبوب فتحوّلت إلى حاضرة تجارية في قلب المغرب الأوسط، وفي هذا الصدد يشيد ابن الصغير بمناقب عبد الرحمن بن رستم قائلا: " ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم"، ثم راح يعدد أسباب اختيار هؤلاء الوافدين لتيهت حيث أن الكثيرين منهم اتخذوها مستقرا لهم بقوله: "لما يرى من رخاء البلاد وحسن سيرة إمامه، وعدله في رعيته، وامانه على نفسه وماله²، ويذكر المقديسي أن تيهت " قد انتعش فيها الغريب، واستطاب بها اللبيب"³، فشكّلت كل جماعة وافدة، حيا خاصا بها، فشهدت بذلك تنوعا بشريا زاد في ثراء المدينة، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذا لفلان الكوفي، وهذا لفلان البصري، وهذا لفلان القروي⁴.

2-4- حدود الدولة الرستمية:

من الثابت أن حدود الدويلات الإسلامية بمعناها الحالي، لم تكن معروفة في تلك العصور ولذلك فإن محاولة تصور حدود الدولة الرستمية في ذلك العصر، إنما تكون من باب التقريب⁵، حتى تتجلى الرقعة الجغرافية التي مارس الرستميون عليها سيادتهم. لقد اختلفت الآراء حول حدود هذه الدولة فبينما يرى الأستاذ عبد الله العروي حدود هذه الدولة لا تتعدى مدينة تيهت، وبالتالي فهي حسب رأيه دولة مدينة⁶، وربما على غرار ما كان في عهد الإغريق وهذا الرأي مجانب للحقيقة. بحيث أن الدولة الرستمية بلغ امتدادها ما بين

¹ - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص، 98.

² - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 36

³ - اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص143.

⁴ - ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

⁵ - بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 98.

⁶ - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م، ص190.

جبل نفوسة شرقا وتيهرت غربا¹، فقد تربعت على رقعة شاسعة من المغرب العربي، أحدها من الشمال إلى الجنوب فمن البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء الكبرى، ويدخل ضمن الحدود الرستمية جبل نفوسة، وكل المناطق جنوب طرابلس، وجزيرة جربة الواقعة ما بعد ورجلان وغدامس وفزان². ومن جهة أخرى يرى محمد الميلي، أن حدود الدولة الرستمية تبدأ بتلول منداس شمالا إلى قرب غليزان.

ويذهب الخط جنوبا من هناك إلى فرندة وينعطف شرقي جبل عمور لأن أهله يومئذ بن راشد وهم غير إباضية وأولو قوة. ومن هناك يذهب إلى وطن ميزاب إلى ورقلة، ومن الجهة الشرقية يذهب الخط إلى تيسمسيلت والسرسو ويتصاعد إلى ثنية الحد. ويذهب مشرقا إلى قصر البخاري وأعالي واد الشلف. ويذهب جنوبا شرقي الأغواط إلى تقرت ووادي ريغ. ويظهر أن هواره أوراس خارج هذا الخط كانت خاضعة لتيهرت للعصبية المذهبية³.

يبدو أن الحدود التي ذكرها محمد الميلي هي تلك الحدود التي ظهرت بعد الثورة على عبد الوهاب، والتي أدت إلى تقلص رقعة الدولة الرستمية مع مد وجزر تبعا للظروف التي كانت سائدة آنذاك. وإذا تتبعنا اليعقوبي الذي خص المنطقة بزيارة قبل سقوط الدولة الرستمية، يمكن رصد القبائل التي كانت تدور في فلك تيهرت. حيث قال أن قبيلة مزاتة في سرت، شرقي طرابلس كلها إباضية، وهم الغالبون عليها "ووراء ذلك بلد زويلة، مما يلي القبلة، وهم قوم مسلمون إباضية كلهم⁴، ثم نتوجه غربا لنصل "أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم لهم رئيس يقال له إلياس، لا يخرجون عن أمره ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا إلى سلطان ولا يعطون

¹ - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس، ليبيا) دار المعارف مصر، 1384هـ -1964، ص ص 396، 397.

² - دبور محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مطبعة عيس البابي الحلبي، مصر، 1383هـ / 1963م، ص514.

³ - مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، ص ص 66، 67.

⁴ - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، (ت 284هـ) البلدان، ط3، النجف، 1377هـ / 1957م. ، ص ص 97،

طاعة الا الى رئيس لهم بتيهت وهو إمامهم ويقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم¹.

أما من الناحية الشمالية فقد برزت عدة موانئ منها ميناء بني مزغنة، ومرسى فروخ وتنس والمرسى الكبير مقربة من وهران إلى بر العدو من الأندلس، فتقطع المسافة في يوم وليلة وتروه وتغذو مشحونة بالمصنوعات المغربية أو الأندلسية²، فذكر المقدسي أنها "على ساحل البحر مسورة يعبر منها الى الأندلس³، وكذلك وهران التي يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة ومرسى الدجاج ومرسى فروخ والذي قال عنه اليعقوبي ترسوبه مراكب تيهت⁴، وكذلك مرسى تنس.

لقد اهتم التيهريون بالبحر فامتلكوا المراكب التجارية وشحنوا مختلف البضائع والسلع إلى بلاد الأندلس، وإن ذكر مراكب تيهت من قبل اليعقوبي لدليل على ضخامة عددها حتى بات مرسى فروخ وكأنه خاص بمراكب تيهت⁵.

والجدير بالذكر أن اليعقوبي زار تيهت قبل أن تقع في قبضة الفاطميين حيث كثرت الثورات والفتن، وبقي جبل نفوسة خاضعا لسلطة الرستميين مما يدل على أن جبل نفوسة كان في حينها تابعا للدولة الرستمية. أما الحدود الشمالية والتي امتدت إلى البحر وشملت موانئ مختلفة إستعملها بحارة تيهت، تؤكد سيطرة الرستميين على هذه الموانئ والتي ظلت تمثل منفذا بحريا تطل منه على الخارج.

وختاما يمكن القول أن الدولة الرستمية لم تعرف حدودا قارة، فكانت تتمدد أحيانا، وتتكمش أحيانا أخرى، خاصة وأن المناطق الجنوبية والجنوب الشرقي والجنوب الغربي كانت تنتشر فيه القبائل البدوية والتي لا تعرف الاستقرار. ولا توجد حواجز طبيعية تفصل الجنوب

¹-اليعقوبي، المصدر السابق، ص99.

²- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص 123.

³- المقدسي، المصدر السابق، ص228.

⁴- المقدسي، المصدر نفسه، ص 229.

⁵- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 155.

عن الشمال، ولم تكن مسألة الحدود معروفة لدى قبائل الرحل بالمعنى السياسي المتعارف عليه الآن. فكانت سلطة الدولة تمتد إلى المناطق التي يمكن لها فيها جباية الضرائب وتحصيل الخراج. والولاء وتبعية القبائل التي كانت تقدم فروض الطاعة، لأنتمتها من خلال تقديم الزكاة والعشور عن طيبة خاطر. وأما أقصى مد لها فهو ما بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأول (161هـ - 258هـ) إذا كانت الدولة يحدها شرقا سرت¹، والدولة الأغلبية، وغربا تلمسان ونهر ملوية، فما سوى ذلك من الصحراء والمغرب الأوسط، فهو داخل ضمن حدودها، وأما فترة الجزر فكانت حدودها تضم الجزء الأكبر من المغرب الأوسط، إضافة إلى جبل نفوسة الذي بقي دوما مخلصا في ولائه للأئمة الرستميين².

2-5- الحياة الفكرية:

لقد تضمن المذهب الإباضي في بلاد المغرب آراء وأفكارا تبدو في جوهرها أقرب إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، مما شجع سكان المغرب على اعتناقها أكثر من إقبالهم على أي مذهب آخر³، فأخذوا على عاتقهم مسؤولية نشر المذهب بين قبائلهم في كل مناطق بلاد المغرب. ويتجلى ذلك في جهود الدولة الرستمية وما قامت به هذه الدولة من تعميق لجذور الإسلام في نفوس المغاربة ولما كانت مسألة نشر المذهب الخارجي، تستوجب تعمق المغاربة في فقهه وآراءه وعقائده. وجد المغاربة أنفسهم ملزمين بإرسال وفد من معتققي أفكا الإباضية، إلى البصرة⁴، لتلقي العلم والتعمق في أصول المذهب وفروعه على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة، أطلق عليهم حملة العلم⁵. وكان من بينهم

¹ - بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 108.

² - المرجع نفسه، ص 108.

³ - محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 292.

⁴ - البصرة: مدينة في العراق لا تزال قائمة، بنيت بعد الفتوح الإسلامية الأولى، لتكون قاعدة للفاتحين نحو الشرق وإزدهرت سريعا، وسكنتها عدة قبا ئل عربية، وبها نشأت العديد من المدارس الفقهية والكلامية واللغوية ينظر: العلامة مقرين بن محمد اليفطوري، سيرة مشائخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2009، ص 30.

⁵ - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235. وينظر أيضا: محمود اسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 292.

عبدالرحمن بن رستم الذي قضى خمسة أعوام مع شيخه في مدرسة البصرة. حيث تمكن من التفقه في مختلف فروع وعقائد المذهب الخارجي فإن هذه الجماعة حين عادت إلى بلاد المغرب قامت بنشر تعاليم المذهب الإباضي في حلقاتهم، التي انتشرت في جهات كثيرة من بلاد المغرب الأدنى وإفريقية.

وفي تلك الحلقات نهل الوفد المغربي كثير من علم الأصول والفروع والشريعة وأراء الفرق والعلوم النقلية من تفسير وحديث وفقه، والعلوم العقلية من مناظرات في علم الكلام، واللغة، والنحو والآداب والتاريخ، إلى جانب العلوم الدنيوية من طب وفلك ورياضيات، فكانت بمثابة مدارس تلقن لطلبتها العلوم المختلفة ومراكز لتعريب البربر ونشر الحضارة العربية أيضاً¹.

وظلت بلاد المشرق مهد الحضارة العربية الإسلامية تستقطب الوفود القادمة إليها وخاصة المغاربة الذين جاؤوا للأخذ عن أعلام المذهب في العراق، ومصر والحجاز، كما أنهم ظلوا على اتصال دائم بالمشرق، فكانت مؤلفات وتفسير فقهاء المذهب الإباضي في الشرق تصل إلى بلاد المغرب ودأب فقهاؤهم ومحدثوهم على القدوم إلى بلاد المغرب للتدريس والإفتاء.

ولقد أثمر هذا التواصل الثقافي ببلاد المشرق إلى ظهور كثير من الأعلام المغاربة في العلوم الدينية والدنيوية. كالشيخ مهدي النفوسي المتكلم وابن يانس ذائع الصيت في التفسير والفقه، وأبو حسن الأبدلاني، وعبد العزيز بن الأوز، ويعقوب بن سيلوس قاضي ورجلان²، وغيرهم ممن كان لهم أثر بالغ في الحياة الثقافية في بلاد المغرب، وقد ألف هؤلاء بالعربية والفارسية ومنهم من ترك كتباً بلغة البربر كابن سهل الفارسي.

ولاشك أن البيت الرستمي كان بيت علم في مختلف الفنون والعلوم، حيث دأب الأئمة الرستميون على تشجيع الحياة الفكرية، وبذلوا جهوداً مضمّنة في نشر العلم.

¹ - محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 29.

² - محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 293.

والجدير بالذكر أن من شروط تولي الإمامة عند الإباضية أن يكون الإمام المباع عالما محيطا، فعبد الرحمن ابن رستم ببيع لعلمه وفضله، وحسبه أنه كان من حملة العلم الخمسة¹، إلى المغرب، وتروي المصادر الإباضية عندما هموا بتوديع شيخهم أبي عبيدة، لمغادرة المشرق نحو المغرب أجاز أبو عبيدة لعبد الرحمن مالم يجز لغيره فقال له: "أفت بما سمعت (مني) ومالم تسمع"². وهذا يدل على نباهته وفطنته وغزارة علمه وقوة ملاحظته، فسمح له بالاجتهاد مالم يسمح به لغيره. وإذا كان بن الصغير ينفي أية مساهمة لعبد الرحمن في مسألة التأليف، فإن المصادر الإباضية تذكر بأن له كتابين على الأقل من تأليفه، أحدهما في التفسير، تنافس الإباضية الوهبية والنكارية³، على إقتائه، لاشك أن ذلك الكتاب الأول لإمام رستمي لم يقع الاختلاف عليه، وتتولاه الطائفتان معا⁴. وتذكر الرواية الإباضية أن أحد شيوخها لما سمع بهذا التفسير يباع في أسواق قلعة بني حماد، شد الرحال إليها، ولما وصلها وجد نكاريا فيها فقال له: "إطمئن يا عبد الله فقد بيع الكتاب ووقع في يد لا يخرج منها ولا يمكن أن تراه فابحث إن شئت عن غيره"⁵. أما الكتاب الثاني فقد جمع فيه خطب الجمعة كما ذكره أبو يعقوب الوارجلاني.

¹ - بحاز ابراهيم بكير، المرجع السابق: ص264.

² - الشماحي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928هـ): كتاب السير، طبع حجري، قسنطينة، الجزائر، 1301 هـ، ص 144.

³ - النكارية: هم اتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري وسموا بالنكار لأنهم انكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وثاروا ضده، ولقد تطورت هذه الفرقة التي إنسلخت عن الإباضية الأم، وسمو بالنكارية لأنهم نكثوا ببيعهم الأولى للإمام عبد الوهاب، إلا أن اسمهم المعروف بهم وبقي مستمرا مشهورا هو النكار. بحازا برهيم بكير، المرجع السابق، 314 ص ص-315.

وينظر أيضا، خليفات عوض، النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، عمان، الأردن، ص1982.

وينظر: محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 297.

⁴ - أوكيل مصطفى باديس، أثر الرستميين في ازدهار الحضارة "الخلدونية"، عدد خاص أكتوبر 2009، ص 214.

الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670هـ): كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ص 471.

⁵ - الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، المصدر السابق، ص471.

وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها، فأضحت تيهرت منارة علمية تضاهي كبريات عواصم الشرق بغداد ودمشق، بفضل علمائها الفطاحل الذين تنافسوا في العلم والمعرفة، عقدت بينهم المناظرات، حتى اصطبغت الحياة الثقافية بتيهرت بصبغة المناظرة فقام عبد الوهاب الذي كان مولعا بالقراءة والمطالعة، ومحبا للعلم، أخذ العلم عن حملة العلم من البصرة وخاصة منهم والده ولقد اهتم الأئمة الرستميون بجلب الكتب من المشرق، الذي كان يعتبر آنذاك مصدر العلوم المغرب، فبعث عبد الوهاب ألف دينار لإخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا، فلما وصلهم المبلغ المالي اجتمعوا وقرر هؤلاء أن يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمفسرين، فنسخوا له أربعين حملا من كتب وبعثوا بها إليه فاهتم بدراستها وتعمق في الاطلاع على مضمونها، وتأكد من صحتها ولما انتهى منها قال: " الحمد لله إذ ليست فيه مسألة غربت عني، إلا مسألتان ولو سئلت عنهما لأجبت قياسا على نظائرها ووافقت الصواب"¹.

فكانت لعبد الوهاب خلواته العلمية الخاصة إلى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر أرجاء دولته. وتحمل عبد الوهاب على عاتقه مسؤولية الإمامة وأعباء نشر العلم فكان يعقد الجلسات ويحضر المناظرات وقد قضى في عهده سبعة أعوام بجبل نفوسة، قضاها في تلقين نفوسة مسائل الأعوام السبعة وبقيت له بعض الأبواب لم يلق دروسها².

ويبدو أن الأئمة الرستميين قد ساروا على خطى أئمتهم في البصرة، الذين إنشغلوا بالتدريس وتقديم المواعظ لتفقيه العامة بدينهم. فكان انصرفهم إلى العلم ميزة طبعت حياتهم الثقافية والعلمية، فعرفت بذلك تيهرت أزهى عصورها في إنعاش الحياة الفكرية وبعث العلم والثقافة في الوسط التيهرتي.

¹ - الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي، المرجع السابق، ص 164. وينظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 76

² - أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 76. وينظر أيضا: بجازيراهيم، المرجع السابق، ص 267.

وهكذا سار أئمة الدولة الرستمية على درب والدهم عبد الرحمن بن رستم الذي تشرف بنقل ما عهده في مدرسة البصرة من تنظيمات، ودروس ومجالس إلى بلاد المغرب ليجعل منها منهاجا يسير عليه أحفاده من بعده. وهذا يدل بكل وضوح على كثرة شغفهم للعلم والمعرفة وحرصهم الشديد على إقتناء الكتب وتتوير الرعية، وأن كثير من الروايات تشير إلى أن الأسرة الرستمية كان لها قدم راسخة في العلم والمعرفة، ودأبت على نشر المذهب الإباضي بين الناس. والجدير بالذكر أن عبد الوهاب بن رستم لم تشغله أمور السياسة ومجالس العلم، عن إقتحام مجال التأليف حيث كان له كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل، كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سئلت عنه، وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهورا عندهم، معلوما يتدولونه قرنا عن قرن، إلى أن لحق الفضل... فأخذه من بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه¹.

وأفصح ابن عبد الوهاب كانت له عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة، جامعة لنصائح ومواعظ وحكم، دلت على ماله في الفضل والكمال والعدل، من طلوع الباع وفي غزارة العلم وقوة الإدراك². وأبوبكر ابن أفصح عرف بشغفه بالأدب والتاريخ، وكان أبو اليقظان قد بلغ في العلم مبلغا عظيما إذ ينسب إليه تأليف في الإستطاعة قيل أنه في أربعين كتابا³. ولقد أثمرت جهود الأئمة الرستميين في إنشاء مكتبة المعصومة، التي كانت عامرة بالكتب في مختلف صنوف العلم والمعرفة، فقيل أنها حوت 300 ألف مجلد، من أمهات الكتب الدينية إلى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع، قبل أن يستولي عليها الفاطميون، الذين قاموا بإحراقها إثر غزوهم لتاهرت.

كما لم يفت الأئمة الرستميون أن أشاعوا فضاء واسعا من الحرية، وأتاحوا لمعتقي المذاهب الأخرى فرصة لي مزاوله نشاطهم الفكري، فقد عقد معتقو كل مذهب حلقات

¹ - الباروني سليمان، المرجع السابق، ص 163.

² - المرجع نفسه، ص 187.

³ - بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص 272.

ودروس خاصة بهم¹، وتعمقت المناظرات بين الفرق الإسلامية المختلفة، في جو من الحرية وفي هذا الصدد يقول بن الصغير: " ومن أتى إلى حلقة الإباضية من غيرهم قربه وناظره أطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك². وكان كل واحد يطمع في استدراج الآخر إلى مذهبه، فإنهم في ذلك يقتدون بأحد كبار أئمتهم أبي عبيدة مسلم، فمناظرته مع واصل بن عطاء بالحرم أمام الكعبة المشرفة ومباحثته معه في مسائل عملية تناقلها كثير من المؤرخين، ويفهم فيها واصل بن عطاء ويعترف له بذلك³، وبفضل إشاعة مناخ الحرية وتسامح الأئمة الرستميين استطاع علماء السنة أن يفدوا جدال علماء الإباضية في كل مسائل العقيدة والشريعة وربما طمعوا أن يرجع هؤلاء لمذهبهم⁴.

وفي جو من الحرية والمنافسة، حظيت المذاهب والفرق الإسلامية بتسامح ربما لم يعهدوه من قبل، ولقد لمس بن الصغير هذا التسامح وهو مالكي آرخ وكتب عن إئمة بني رستم الأواخر، موضحا الحرية التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تيهرت فيما عدا المسجد الكبير، ويعتبر ابن الصغير من كبار العلماء في تيهرت، فكان إختلافه مع الإباضية يجعله عرضة للدخول في محاورات ومسجلات مع علمائها في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية⁵. فكانت معرفة ابن الصغير الفقهية خاصة تظهر في هذه المناظرات.

¹ - عمر كحالة، دراسة إجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1393هـ/1973، ص60.

ينظر أيضا دبور محمد علي، المرجع السابق، ج3: ص 396.

وينظر أيضا: د. أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، ط1، دار الكتب، بيروت، 1391هـ/1971م، ص 111.

² - عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر العصور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1982، ص86.

³ - صالح باجبية، الفرق الإسلامية في إفريقيا الإسلامية، تونس، دت، ص 57.

⁴ - الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص59.

⁵ - بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 334.

فكان علو كعب ابن الصغير في المسائل الفقهية التي تظهر في مثل هذه المناظرات وعبقريته في فن الجدل، التي دونها واحتفظ لنا بها في كتابه، ومنها حكاية مناظرته مع أحد الإباضية مما يدل على أن المناظرين من الإباضية كانوا يرون له منزلة في القوة بينهم¹ وغدت تيهرت من المراكز العلمية والثقافية، تشع بنورها في كافة بلاد المغرب وقصدها طلاب العلم من سائر أنحاء، وجاب علماءها مدن الشرق والمغرب رغبة في التزود بالعلم وتحصيله، كما خرج منها أيضا طلاب علم إلى القيروان وقرطبة²، فتحوّلت بذلك إلى جسر ضمن استمرار التدفق الحضاري من المشرق إلى المغرب وبلاد الأندلس وأطلق على العاصمة الرستمية تسمية "عراق المغرب"³، تشبيها لها ببلاد العراق الحافلة بمختلف المذاهب الفكرية والفرق الإسلامية.

3- تيهرت في عهد الدولة الفاطمية:

يبدو أن الاختلاف حول تولي الإمامة بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم، وتركيز الحكم في الأسرة الفارسية قد وضع البيت الرستمي أمام تحديات يصعب معها جمع كلمة الأمة خلف إمامها عبد الوهاب ابن رستم، وخروج البعض عن طاعته، وافتراق كلمة الأمة، وازداد الوضع تأزما وأخذت حلقاته تتسع يوم بعد يوم، وبدأ الانقسام يسري في مفاصل نظام الحكم، فترجع الحماس المذهبي الذي كان في عهد جدهم عبد الرحمن ابن رستم فافتقدوا بذلك العصبية المذهبية وشعر العرب والبربر بعدم أهميتهم فيما يتعلق بأمور السياسة والحكم، مما أدى إلى افتراق كلمة الأمة، وزاد الوضع تأزما خاصة بعد مقتل أبي حاتم سنة 244هـ/ 1003م⁴، وتولية اليقظان ابن أبي اليقظان، الذي لم يكن يحظ بالاحترام والتقدير الذي عرفه أسلافه من قبل، وكان لأبي حاتم بنت تدعى دوسرا قد أحرق كبدها ما نزل بأبيها وكثير من

¹ - محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 298.

² - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 104.

³ - أحمد مختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، م5، عدد 1-2، 1377هـ/ 1957م

⁴ - جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 70.

أهل تيهرت غير راضين عن حكم اليقظان¹. واستفحلت الأزمة وباتت الدولة الرستمية تعيش آخر أيامها إلى أن ظهرت الدعوة الشيعية بكتامة، واستولى أبوعبد الله الشيعي على جميع إفريقيا، ثم خرج من رقادة إلى سجلماسة وفي طريقه مر بمدينة تاهرت سنة 296هـ²، فالتقى بوفد من الشيعة والواصلية وغيرهم الذين عبروا له عن إمتعاضهم وسخطهم مما ألت إليها لأمر في عهد أبي اليقظان، فأرسل إليه أبوعبد الله رسلا يطلب منه الاجتماع له فخرج إليه ومعه بنوه وإخوته، وأتباعه وإلقاه على أميال من تيهرت ولما إجتمع به، قال له متجاهلا ما إسمك فقال له إسمي اليقظان، فقال الحجاني بل أنت الحيران، ما بالكم قتلتم أميركم وسلبتم من أنفسكم ملككم، وأطفأتم نور الإسلام بغير سبب، وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال ولا حصار³. ثم أمر بقتلهم عن آخرهم، وبعث برؤوسهم إلى أخيه العباس وأبي زكرياء خليفته برقادة وطوفت بالقيروان ونصبت على باب مدينة رقادة⁴. وبذلك تم طي صفحة من تاريخ بلاد المغرب الأوسط الرستمي.

ويبدو أن المذهب الشيعي، لم يلق قبولا واستحسانا من أهالي تيهرت، ولا زالت الأكثرية تميل إلى عقائد أخرى، قد ترسخت وتجدرت في أوساط التهرتيين، بفضل التسامح المذهبي الذي طبع الحياة الفكرية في عهد الأئمة الرستميين. ولذلك خرجت تيهرت على الحكم الفاطمي بعد سقوطها في يد أبي عبد الله الشيعي بفترة وجيزة، وقد ظلت في حالة اضطراب وعصيان، وإذا كانت تيهرت قد خيم عليها الهدوء، فإن ذلك مرده إلى السيف المسلط عليها بالقوة⁵، وكان أهلها يجاهرون بالعصيان كلما كانت الظروف مواتية، وهذا ما يمكن أن نستشفه من قول ابن خلدون: من أن الوالي الفاطمي على تيهرت سنة 298هـ "أمحى في

¹ مبارك بن محمد المليي، ج 2 المرجع السابق، ص 87.

² الدرجيني، المصدر السابق، ص 94.

³ الدرجيني، المصدر السابق، ص 94. وينظر أيضا، الباروني سليمان، المصدر السابق، ص 293.

⁴ المصدر نفسه، ص 295.

⁵ عبد الله جمال الدين، الدولة الفاطمية ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ / 1991م، ص 75.

مؤامرتها الإباضية من لماية وأزداجية ولواتة ومكناسة ومطماطة وحملهم على دين الرافضة¹. وسير أبو عبيد الله في سنة 299هـ حملة عسكرية عظيمة، ودارت بينهم وبين زناتة وقعة عظيمة، قتل فيها من زناتة عدد لا يحصى وفتحت مدينة تيهرت². وكان أهلها قد ثاروا على عاملهم دواس وألقوا به هزيمة منكرة، إذ قتلوا معظم رجال حاميته المكونة من ألف فارس³، واضطروه إلى الالتجاء إلى حصن تيهرت القديمة برفجانة، وبعد ذلك إستدعوا محمد بن خزر فقدم إليهم ليتولى شؤون البلاد ثم خذلوه فانصرف عنهم⁴. ثم أخرج عبيد الله العساكر إلى تيهرت في أعداد عظيمة، فدخلت تيهرت وفعّلوا بأهلها الأفاعيل، وعاد إليها دواس إلى أن صرفه عنها المهدي ثم قتله برفقادة⁵. وولى تيهرت بعد دواس مصالة بن حبوس المكناسي والذي كانت بينه وبين زناتة حروب، ففي بعض أيامه أخرج خيلا إلى بعض نواحي بن خزر، وكان فيها أتباعه فوصل خبر ذلك إلى بن خزر ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قتل فيها مصالة وأنهزم أصحابه⁶، فأصبحت تيهرت بعد ذلك في أخذ ورد بين آل خزرون وآل مصالة حتى أرسل المهدي ابنه أبا القاسم فاكتحس أقوام الخوارج وطرد ابن خزر إلى الصحراء وكان ذلك سنة 315هـ⁷، وفتح مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الإباضية والصفيرية ونواحي تيهرت قاعدة المغرب الأوسط وما وراءها وولى على تيهرت أبا يغمراسن

¹ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 160.

² - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 101.

وينظر أيضا الباروني سليمان، المرجع السابق، ص 296.

³ - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، الفاطميون وبنوزيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف الإسكندرية، ص 83. وينظر، عبد الله جمال الدين، المرجع السابق، ص 57.

⁴ - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 101.

وينظر أيضا، الباروني سليمان، المرجع السابق، ص 296.

مبارك الملي، المرجع السابق، ص 142.

⁵ - المرجع نفسه، ص 143.

⁶ - الباروني سليمان، المرجع السابق، ص 279.

وينظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50.

⁷ - عثمان الكعاك، موجز تاريخ الجزائر العام، ط1، 2003، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 158.

بن أبي شحمة اللهيصي¹. فثار عليه أهل البلد وأخرجوه سنة 323هـ، وقدموا على أنفسهم أبو القاسم الأحذب بن مصالة بن حبوس سنة 333هـ². ووليها بعده داود بن إبراهيم العجيسي حتى أخرجه حميد بن يصل سنة 333هـ في أيام أبي يزيد بن كيدار اليفرني، الذي حاول استرجاع تيهرت لحساب الخليفة الأندلسي الناصر لدين الله. ولم يمكث بها طويلا فغادر تيهرت سنة 333هـ³، قبل وصول اسماعيل المنصور الذي تمكن من إلحاق هزيمة منكرة بصاحب الحمار، وتوجه إلى تيهرت ففرمها حميد بن يصل فاحتل المدينة واحرق منبرها، لكونه خطب عليه للأمويين وولى عليها ميسور الفتى، وثار التيهرتيون ضد الوالي الجديد فاستدعوا محمد بن خزر وابنه الخير ومن معهما من زناتة، فخرج إليهم ميسور ودارت الحرب بين الفريقين، وقتل حمزة بن محمد بن خزر، ثم أوسر ميسور، وفتحت زناتة المدينة ونزلوا دار الإمارة ثم اضطرب أمر تيهرت وتغلب عليها يعلى بن محمد اليفراني الزناتي، وبقيت كذلك إلى أن فتح جوهر قائد المعز المغرب سنة 349هـ⁴.

وبعد أن تمكن جوهر من استرجاع كامل نفوذه على بلاد المغرب، ماعدا سبتة وطنجة ألحقت تيهرت بالأقاليم الخاضعة لسلطة زيري بن مناد الذي صاحبه حتى إفريقية⁵. فإتسعت إيالته، وقوي سلطانه فخضعت له معظم القبائل وسارت في طاعته.

وفي سنة 360هـ/971م انفصل جعفر بن علي والي الزاب الذي كان يطمح في حكم إفريقية وظل على خلاف مع زيري وابنه وإتهمه زيري بالتواطؤ مع أمير مغراوة، محمد بن

¹ - الباروني سليمان، المرجع السابق، ص 298. وينظر ايضا، مبارك بن محمد المليي، المرجع السابق ص 143.

² - البيان المغرب، ابن عذاري المراكشي، ص 122. وينظر أيضا: المليي، المرجع السابق، ص 143.

³ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 57. وينظر: المليي، المرجع السابق، ص 143. وفرحات الدشراوي، الخلافة

الفاطمية بالمغرب، ط 1، 1994، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص 308

⁴ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ص 122.

⁵ - ابن خلدون، : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار

الفكر للطباعة والنشر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، ج 4،

بيروت، لبنان، 2000م، ص 60 وينظر: ادريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من

القرن 10 إلى القرن 12، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص 60.

الخير فانطلق زيري بن مناد على رأس جيش عتيد مكون من الصنهاجيين¹، فهزمه أمير مغراوة الخير بن محمد وجعفر بن علي شر هزيمة، وفي أوج المعركة بينما كان زيري يثير حماس إذ كبا به جواده فسقط على الأرض وقتل²، ودارت رحى تلك المعركة حول أسوار تيهرت. وكلف يحي بن علي أخو جعفر وجماعة من وجوه زناتة بحمل رأسه إلى الخليفة الأموي الحكم الثاني.

وعلى إثر ذلك إنتقلت قيادة صنهاجة الى بلكين بن مناد بموافقة المعز لدين الله، الذي قلده أعمال أبيه في منطقة آشير، وأضاف له تيهرت فعقد العزم على الآخذ بثأر أبيه. فتلقى

الإمدادات من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، الذي كان يتأهب لمغادرة المغرب، وخشي من سيطرة أعدائه الزناتيين والأمويين. فصمم بلكين على ملاحقة زناتة التي انتقم منها شر انتقام وقتل منهم خلق كبير، وتمكن من إجلائها عن تيهرت واتبع آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليه فقتله وفرق جموعهم³.

ولكنه اضطر في آخر المطاف إلى توقيف هذه الحملة الخاطفة للعودة إلى إفريقية حيث سيكرمه المعز قبل التوجه نحو المشرق، فترك له مسؤولية تدبير شؤون إفريقيا، دون صقلية، وهكذا تسلم الصنهاجيون مقاليد الحكم نيابة عن الفاطميين في بلاد المغرب التي

¹ - الداعي أدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 730.

وينظر: مفاخرالبربر، لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دارأبي قراق للطباعة والنشر، ط1، 2005، الرباط، ص 97. وإدريس الهادي روجي، المرجع

² - الهادي إدريس، المرجع السابق، ص 67.

وينظر: فرحات الد شراوي، المرجع السابق، ص355. وعبد العزيز الفلالي العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص193.

ومحمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص237

³ - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص237.

سيغادرها المعز لدين الله بصفة نهائية بعد صراع مرير بين المذهب الشيعي والمذهب السني المالكي.

وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبا الفتح، ولقبه سيف الدولة، ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة¹، وأعطاه حرية التصرف في الأعمال وأوصاه بثلاث: أن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحدا من أهل بيته حتى لا يروا أنهم أحق منه بالأمر²، وأوصاه خيرا بأهل الحاضرة وعهد إليه أن يفتح أمره بغزو المغرب لحسم دائه وقطع علائق الأموية منه، ثم غادر إفريقيا في ربيع الأول 361هـ/972م حاملا معه خزائنه وكتبه والتوابيت التي وضعت فيها رفاة أجداده.

فتوجه بلكين ناحية المغرب وفي طريقه التقى برسول خلوف بن أبي محمد، عامله على تيهرت، فأخبره بأن أهلها قد ثاروا على عاملهم وأخرجوه منها فقصدها يوسف وخربها³، وفي سنة 77هـ نصب زيري بن عطية⁴، نفسه حاكما على فاس، وتغلب على المغرب وأقام الدعوة للأمويين، وفي نفس الوقت تولى أمر بني زيري بعد وفاة بلكين أبو الفتح المنصور، الذي عين أخاه أبو البهار على ولاية تيهرت، غير أنه نبذ عهد الشيعة، وتحالف مع زيري بن عطية، لكن هذا التحالف لم يصمد طويلا، فأعد زيري بن عطية العدة لمحاربة خلوف بن أبي بكر بمدينة تيهرت، ثم حارب أبا البهار⁵، لعوده عن قتال صهره خلوف بن أبي

¹ - بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 206، وج4، ص 60.

² - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص240.

³ - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص245.

⁴ - زيري بن عطية: تولى حكم زناتة في سنة 368هـ، وغلب على جميع بوادي المغرب وملك مدينة فاس سنة 377هـ وفي سنة 377هـ وفي سنة 381 هـ عقد له المنصور بن أبي عامر على المغرب، وكانت وفاته سنة 391هـ. وينظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط 1972، ص 102. ومفاخر البربر، لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي قراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2005، ص 103

⁵ - أبو البهارين زيري بن مناد الصنهاجي: كان واليا على تيهرت منذ 374هـ وقد تمرد على ابن أخيه المنصور بن بلقين وأقام العوة لهشام المؤيد بالله الأموي واتصل بالمنصور بن أبي عامر الذي طلب منه مظاهرة زيري بن عطية على يدو بن يعلى وقسم عمل المغرب بينهما وينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 102

بكر¹، ففر أمامه ورجع أبو البهار الى قومه وطلب العفو من المنصور، الذي عفى عنه وأكرمه وعينه على تيهرت سنة 382هـ²، ولم يمر وقت طويل على توليته عاملا لدى المنصور في تيهرت، حتى زحف إليه زييري ابن عطية في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود من البربر، ففر من أمامه ولحق بالقيروان واستولى زييري على تلمسان وعلى سائر أعمال أبي البهار. وإختط مدينة وجدة 384هـ / 993م. 994م وأنزل عساكره وحشمه³.

ولما هلك المنصور خلفه ابنه باديس الذي عين عمه يطوفت على تيهرت سنة 389هـ / 998م، وأمه بجيش ووضع على رأسه عامل افريقية محمد ابن ابي الكاتب، الذي انضم إليه عاملها حماد ابن بلكين وهو في طريقه الى أشير، ولاحقوا زييري ابن عطية، الذي كان نازلا على موقع يقال له أمسار على مرحلتين من تيهرت، ولكنهم ولوا منهزمين واستولى زييري بن عطية على تيهرت، تلمسان، شلف والمسيلة⁴.

وكانت سنة 391هـ نهاية الصراع العبيدي الأموي على الجزائر، ولينقل التطاحن بين آل بلكين، فكان حماد⁵، أعظم آل زييري بطولة فوكلوا إليه حروب زناتة فأوقع بهم مرارا، ورأى أن يجني ثمرة انتصاراته، فاخطط مدينة القلعة سنة 398هـ / 1007م. وأخذ يعمل على الاستقلال عن باديس⁶، ثم لما طلب منه هذا الأخير أن ينزل على عمل تيجيست وقسنطينة

¹ - مبارك الملي، المرجع السابق، ص، ص 151، 152

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 208. وينظر: محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، الجزائر، ص 63

³ - عبد العزيز الفلاي، المرجع السابق ص 236. ومحمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 263

⁴ - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 156. وينظر: مفاخر البربر، ص 124.

⁵ - حماد بن بلقين كان عاملا على أشير ثم استقل بالمغرب الأوسط سنة 378هـ أيام باديس الذي كلفه بمحاربة بني زييري إخوته الثائرين ضده فهزهم وقتل أخوه ماكسن وأبناءه، اختط القلعة ورفض التنازل عن عمل تيجيست وقسنطينة فحاربه باديس وانتصر عليه. ينظر: مفاخر البربر، هامش 1، ص 126.

⁶ - محمد الطمار، المرجع السابق، ص 75.

اختبارا للطاعة فأبى وأظهر الخلاف، فزحف إليه باديس¹، ثم رحل في طلبه إلى شلف ومر من أمام سفح جبل الونشريس السرسو، وأقام معسكره على ضفاف وادي واصل في مستوى أدنى من مرتفعات جبل جزول، واستعدا الطرفان للقتال، فالتحم الجمعان وكثر القتل فانفصل عن حماد أغلب أنصاره ولاسيما بنو توجين، وانضموا إلى باديس فانهزم حماد بعد ما تخلى عنه جميع رجاله، ولأذ بالفرار متجها إلى قلعة مغيلة².

وكافأ باديس بنو توجين على إقدامهم ونصرتهم له، وسمح لهم بالحصول على جميع غنائم المعركة، ونصب عليهم لقمان بن المعتز في قيادتهم مع عمه عطية بن دافلتن وآذن لهم بامتلاك جميع الأراضي التي كانت بيد حماد، على أن تنتقل رئاسة قبيلة بني توجين إلى ذرية دافلتن. ويقال أنه دافلتن بن أبي بكر بن الغلب، وصار الونشريس منذ ذلك العهد تحكمه إمارة محلية تمثلت في بني توجين³، تخضع إسميا للزريين. وفي سنة 473هـ/1080م افتتح يوسف بن تاشفين جبل الونشريس، ثم استولى على الجزائر فخضعت له بذلك قبائل بنو توجين التي أصبحت منذ ذلك الوقت تابعة لدولة المرابطين⁴.

¹ - باديس بن منصور: وهو أبو مناد باديس بن منصور بن بلقين، خلف أباه سنة 386هـ، وجاءه التقليد الفاطمي سنة 387هـ توفي سنة 406هـ وينظر: رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص ص 190، 191.

² - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتقد الشيخ المهدي البو عبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ط1، الجزائر، 2013، ص 140،

وينظر: ادريس الهادي روجي، المرجع السابق، ص 150

³ - يرجع نسب بني توجين إلى قبيلة زناتة البربرية، وهم أبناء واغين بن بهاء الدين بن محمد، حيث أسس إبنه عبد الواد الدولة الزيانية بتلمسان وموطن توجين شرقي عبد الواد وجنوب مغراوة فيما بين سعيدة والمدية، وحياتهم بدوية كمغراوة يبلغون في رحلة الشتاء مزاب والزاب الغربي، وبمواطنهم الونشريس والسرسوويه من القلاع الحصينة تاقدمت وتاوغزوت المنيعية قرب فرندة، حصنها سلامة بن علي بن نصرشيخ بني يدلتن على عهد عبد القوي بن العباس، وتداول رئاستها بنوه من بعده، فدعيت قلعة بني سلامة، وخربها الثاني سنة 777هـ ينظر: عبد القادر دحدوح، إمارة بني توجين بمنطقة الونشريس، مجلة أبحاث، ماي 2012 العدد الأول ص 38. ومبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 471.

⁴ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 247. علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 168

4- تيهرت في عهد الموحدين:

وظلت الأمور على حالها إلى أن ظهرت دولة الموحدين التي كانت لها علاقة قوية بمملكة بني توجين، حيث أن بن تومرت مر عليها وهو عائدا من بجاية فأكرمه سكانها وانضم إليه أحد أبنائها وهو عبد الله بن محسن المكنى بالبشير الونشريسي¹، الذي تولى قيادة جيش المهدي إثر إعلانه الحرب على دولة المرابطين في عهد الملك علي بن يوسف ابن تاشفين، وتوفي الونشريسي في وقعة البحيرة بأبواب مراكش سنة 524هـ / 1130م².

ويبدو أن بني توجين حرصوا على توثيق علاقاتهم بالموحدين، خاصة عندما ثار بنو غانية وهم من بقايا المرابطين على الموحدين، واحتلوا بجاية، فسير المنصور يعقوب بن يوسف حملة عسكرية لتعقب بني غانية، فقصده في طريقه العباس بن عطية الونشريسي وذلك في سنة 584هـ، الذي رافقه وانضم إلى جيشه في مسيره إلى تونس³.

ولما استقل الحفصيون بتونس أخذ أبو زكريا يتطلع إلى بسط نفوذه على سائر المنطقة الشرقية، فحاربه توجين، ففتح حصونها، وآسر أميرها عبد القوي بن عباس، ثم عفى عنه وقربه وصاهره وأقطع له مملكة الونشريس التي كانت قاعدتها تاقدمت فنالت استقلالها التام في عهد ابن زكرياء الحفصي، فدخل في طاعته، وأشار على أبي زكريا وحثه على مقاتلة يغمراسن، فأجابه أبو زكريا ووجه جيشا فحاصر تلمسان ثم فتحها سنة 640هـ. وقلد عبد القوي التوجيني على قومه ووطنه، وأذن له في اتخاذ الآلة والمراسيم السلطانية نكاية في يغمراسن بن زيان. لكن هذا الأخير بعد أن وفى العهد لأبي زكرياء، إتجه نحو بني

¹ - عبد الله بن محسن البشير الونشريسي، من أهل المغرب الأوسط، لقي المهدي أثناء مروره بجبال الونشريس، عندما كان راجعا من رحلته المشرقية إلى وطنه، فأعجب به وتتلذذ له وتبعه وصار من خواصه، ولما بدأ المهدي تنظيم حركته كان من العشرة الذين سارعوا إلى بيعته وصار بذلك من أهل العشرة الذين كانوا بمثابة هيئة تنفيذية لها، وأناط به المهدي كثيرا من المهام أثناء نضاله ضد المرابطين. وينظر: أبي بكر بن علي المكنى بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية، دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط، 1971، ص 19

² - البيدق، المصدر السابق، ص 19.

³ - المهدي أبو عبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، 2013، ص 260.

توجين للانتقام منهم فجاس في ديارهم وتوغل في بلادهم، وغلبهم على كثير مما ملكوا وأجبرهم على الخضوع لطاعته¹.

فأعلن عبد القوي طاعته لبني حفص، ولبي دعوة السلطان المستنصر بالله الحفصي لرد العدوان الصليبي على تونس سنة 668هـ / 1270م². وفي سنة 670 هـ كانت واقعة إسلي التي انتصر فيها يعقوب المريني³، وحاصر تلمسان لمدة ثلاثة أشهر، ووفد عليه محمد بن عبد القوي التوجيني الذي شارك في حصار تلمسان لأخذ ثأرهم من أميرها⁴، فاختلفت أيدي مرين وتوجين على العبث في ساحة تلمسان ثم أقلعوا عنها، وإنعقد الصلح بين الفريقين سنة 673هـ وانتقم يغمراسن من توجين⁵. ولما غادر يعقوب إلى الأندلس، بعث برسالة إلى يغمراسن لتثبيت الصلح بينهما نذكر منها هذان البيتان⁶:

فلتترك الناس على جهادهم مؤملين في حمى بلادهم

واقعد ولا تنهض إلى توجين فإنها في العهد مع مرين.

ولما علم أبو يعقوب أن محمد بن عبد القوي قد وصل إلى بلاده سالما، ألقع عن تلمسان واتجه إلى المغرب. فخرج السلطان أبوزيان بن عثمان وقصد الونشريس بدافع الانتقام من بني توجين وكان ذلك في سنة 706هـ / 1306م، فنكل بأميرهم، وعين غيره وألزمهم الخضوع لطاعته، واستمر الصراع المريني الزياني على أشده، فكانت قبائل بنوتوجين تارة تميل إلى طاعة المرينيين، وأحيانا أخرى تجد نفسها مضطرة إلى مسالمة الزيانيين، الذين فقدوا هيبتهم من جراء تنافس بني مرين والحفصيين عليهم وفي هذا الصدد نترك الكلمة

¹ - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، دار الفكر للطباعة والنشر، ج7، بيروت، لبنان، 2000م ص156.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 208، 209.

وينظر: عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص13.

³ - مؤلف مجهول، الذخيرة السنبة في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشر هذا الكتاب محمد بن أبي شنب، طبع بطبعة جول كربوتل، الجزائر، 1339هـ 1920م، ص ص 148، 150. وينظر: مبارك محمد الملي، المرجع السابق، ص 422.

⁴ - المصدر نفسه، ص 150.

⁵ - محمد الملي، المرجع السابق، ص 422.

⁶ - المرجع نفسه، ص 423.

لأحمد توفيق المدني الذي قدم وصفاً بليغاً لما آلت إليه أوضاع الدولة الزيانية فقال "... أن دولة بني زيان قد ذهبت ضحية محاولات الحفصيين ومحاولات المرينيين معاً، فكل من الجانبين كان يرى... وجوب محققها، والإستلاء على أرضها... فاستنزف ذلك قواها المادية والمعنوية، وعجل بها إلى مهاوي الإنحطاط...".

وبعد سقوط الدولة الزيانية جاء العثمانيون وفتح عروج نواحي شلف ومنطقة السرسو في سنة 925هـ/1519م.

رابعاً - منطقة تيارت في عهد الأتراك العثمانيين:

لقد تحولت الجزائر منذ انضمامها إلى الدولة العثمانية إلى قاعدة عسكرية أمامية في حوض البحر المتوسط الغربي، الذي شهد مواجهات عسكرية مباشرة بين البحارة الأتراك والقوة الإسبانية المدعومة من الكنيسة الكاثوليكية، فتركز اهتمام حكامها الأوائل في الجهاد البحري الذي أكسبهم شرعية في نظراً لأعيان، وشيوخ القبائل والمرابطين، وعلى ولاء السكان¹. ومنهم أهل تيارت الذين استقبلوا العصور الحديثة بانضمامهم للحكم العثماني ابتداء من سنة 1519م إلى غاية الغزو الفرنسي سنة 1830م.

ولا يمكن دراسة منطقة تيارت، ومعالجتها إلا ضمن نطاق بايليك الغرب، الذي كان يمتد من الحدود المغربية إلى الحدود التي تفصله عن دار السلطان، وعن بايليك التيطري، ومن سواحل البحر المتوسط، إلى نواحي البيض، حيث مجال النفوذ السياسي والديني مشيخة أولاد سيد الشيخ². ويبدو أن العوامل التي سهلت استقرار السلطات التركية محلياً، كانت ذات طابع ديني، موظفة النسب الشريف والصالح والدعوة إلى الجهاد، في الإيالة الغربية في حين أن عماد النفوذ السياسي والإداري في الإيالة الشرقية، كان الشوكة والمال³.

¹ - أ، ناصرالدين سعيدوني، عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر ويليه في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، بدون تاريخ، ص 101.

² - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007، 292.

³ - عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 487، 488.

ووجد الأتراك العثمانيين في قبائل المخزن¹، والطرق الصوفية، خير معين لهم، فلكي يشدد الأتراك قبضتهم الأمنية على الأهالي في الأرياف الذين كانوا يشكلون معظم سكان الجزائر لجؤوا إلى الاستفادة من هذه القبائل والتي دخلت في خدمة البايليك، وأصبحت تشكل أداة عسكرية تدعم المحلة فاستمر هذا الأسلوب لدى الحكام فوظفوا القبائل الموالية لهم لإخماد التمرد وجمع الضرائب مقابل امتيازات تحظى بها خصوصا ما تعلق بالأراضي والإعفاء من الضريبة ونظرا لارتباط مصالحها بالبايك شكلت حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف، والحكام في المدن، وأصبحت تشكل القوة الضاربة بيد الحكام الأتراك في مد نفوذهم داخل البلاد.

1. علاقة الأتراك العثمانيين بالزعامات القبلية:

بعد أن ترسخت أقدام العثمانيين بالجزائر أخذوا، يتطلعون إلى إحكام سيطرتهم واستئثارهم بخيرات البلاد، فعملوا على إخضاع السكان وإجبارهم على طاعة الأقلية التركية، وإتباع سياسة فرق تسد، من خلال لجم القوة العسكرية للقبائل بواسطة إشعال نار الحرب بينها وبوسيلة اكتساب واحتضان البعض وكسر وتشريد البعض².

فكانت قبيلة أولاد خليف التي فضلت الدخول في حلف مع السلطة المركزية، يمكن أن يكون وسيلة من وسائل حماية الموارد المحلية وأداة من أدوات الإفلات من الضرائب، وسندا أخلاقيا وسياسيا لممارسة الغصب على أوسع نطاق، ولإرساء علاقات القهر ضد الضعفاء، ولا تتأخر عن استخدام القوة لكسر شوكة الخصم القبلي، وهو ما يعد استمرارية لذهنية السعي من أجل الغلبة والسيطرة على القبائل الممتعة، حيث ازداد نفوذها وتأثيرها

¹ قبائل المخزن: هي وظائف قبائل أعفاها الأتراك من دفع الضرائب وأطلقوا يدها كقوة ضاربة تضطهد وبجماية تركية القبائل الأخرى، القبائل الرعية، وكانت شوكة هذه القبائل تستعمل في عمليات جلب الضرائب عنوة وقهرا وتدميرا. وكثيرا ما كانت هذه القبائل تجند لقمع التمرد أو الثورة التي كانت تندلع من دون سابق إنذار ضد المؤسسات التركية وبخاصة وقت جمع الضرائب ينظر محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو والاحتلال دراسة في الذهنيات والمآلات، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص117.

² أ، محمد الطيبي، المرجع السابق، ص 117.

على مناطق الرعي التي كانت تقع تحت سلطتها، وذلك لتأمين تدفق الموارد التي تعيش منها الضرائب وعمليات الغصب، إذ كان شيخها يفرض على القبائل الرعوية من شعانية، وسعيد عطية، والأرباع وأولاد يعقوب مبلغا من المال يعرف برسم العسة¹، مقابل دخولها الأسواق والاستفادة من المراعي كما اتخذت من الأماكن الاستراتيجية ذات المنافع الاقتصادية موقعا لها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الأسبوعية والفصلية كسوق عين اللوحة بالقرب من تيارت²، ومنها يراقب مخزن أولاد خليف تحركات أولاد سيد الشيخ³، والتي يبدو أنها كانت تشكل خطرا على بايلك الغرب. ففي منتصف القرن الثامن عشر، زاد اهتمام حكام الأتراك بداخل البلاد، نتيجة شح الموارد وتناقص غنائم الجهاد البحري فتكرت هذه المتغيرات أثار سلبية على أهالي منطقة تيارت حيث رفضت قبيلة بوزيري القاطنة بفرندة، مطالب المخزن المتزايدة والتي أصبحت تشكل عبئا كبيرا عليها، ودخلت في مواجهة عسكرية غير متكافئة مع الأتراك سنة 1740م انتهت بهزيمتها، مما اضطرها إلى الهجرة نحو الشرق، وحطت بخيامها على ضفاف وادي مينا على مسافة غير بعيدة من تيارت⁴.

وبهذا يكون الأتراك قد انتقموا لهزيمتهم التي ألحقت بهم خلال القرن 16 عشر، عندما أقدمت قبيلة بوزيري على توجيه ضربة قاسمة لمجموعة من الفرسان الأتراك الذين حاولوا القضاء ليلة عندهم في وادي الحمام.

وفي ذات السياق وجدت قبائل الغوادي⁵، الواقعة غرب بلدية عين كرمس نفسها غير قادرة على الوقوف في وجه الآلة التركية، فانضمت إلى قبيلة الأحرار ذائعة الصيت المتمردة والتي وصفها صاحب الثغر الجماني بقوله: "... وكذلك الأحرار الأعراب المعلومون الذين لا

¹ - ناصرالدين سعيدوني، دراسات أبحاث في تاريخ الجزائرالعهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 106.

² - المرجع نفسه، ص 108

³ - المرجع نفسه، ص 108.

⁴ - B. O. G. Gde l' Algérie. N° 41/13 , 1892. T. 31. P828

⁵ - B. O. G. G de l'Algérie. Op,cit. P828

يؤدون خراجاً¹، التي رفضت الإنصياح والخضوع ودخلت في مجابهة مستمرة دامت لوقت طويل ضد الممارسات الإستبدادية للسلطة التركية²، لكنها قبلت التبعية حيث تشكل حاجتها إلى المراعي والماء والأسواق حافزاً قويا للتبادل من خلال تصريف الفائض من الإنتاج الحيواني مقابل الحصول على المواد الضرورية التي كانت تتوفر عليها الأسواق الشمالية وظلت قبيلة الأحرار مستقلة تقريبا منذ القرن التاسع عشر، وبعد مرور ما يقرب من ثلاثة قرون، وما ميزها من علاقات توتر أدت إلى تعمق الأزمة بين المركز وأطرافه في كثير من الأحيان ولتشهد فصولاً من إحتدام التناقض وتعمق الخلافات بين الأتراك والزعامات الدينية والقبلية، التي أخذت تطفو إلى السطح وتلقي بضلالها على مستقبل العلاقات بين الجانبين، وبدأت تلوح في الأفق بوادر الطلاق بينهما مع بداية القرن التاسع عشر، ويمكن أن نلمس ذلك في تراجع هيبة الأتراك التي يبدو أنها تزامنت مع إنتهاء الوجود الإسباني، وعودة وهران نهائياً إلى يد المسلمين³، وتراجع أعمال القرصنة وما كانت تدره من أموال تعود بالنفع على صاحب السلطة، والسبب يكمن في تفوق البحرية الأوربية فحصل تكافؤ بين الطرفين وأصبحت المفاوضات بين الأتراك والدول الأخرى، تدور حول تبادل الأسرى أكثر مما تدور حول الإفتداء⁴.

مما أجبرهم على التوجه نحو الداخل لعلهم يجدون ما يعوض مداخل القرصنة، فلبجؤوا إلى الغصب، وهنا لا يجب الخلط بين الضرائب كأداة جباية يرتكز تحصيلها على بعض المبادئ الشرعية، أو تؤخذ بدعوة الحماية أو مقابل خدمات أخرى، أما الغصب لا يشرعه عرف أو شرع ولا يخضع لمبدأ التفاوض والاتفاق، وهذا النوع من الغصب مارسته الحاميات

¹ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم، المهدي البوعبدلي، دهر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص75.

² - حياش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844/1870) تيارت، سعيدة، جيرفيل - البيض - نموذجاً، ص 5.

³ - عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 492

⁴ - المرجع نفسه، ص489

العسكرية، وقبائل المخزن أثناء قيامها بحملات تأديبية لإخضاع القبائل الممتعة أو تحت ذريعة فرض الطاعة¹، وهذا ما حدث بالضبط لقبيلة الأحرار التي تعرضت لهجوم مباغت يوم 17 جويلية 1828 ويصف لنا الأغا المزاري في كتابه طلوع سعد السعود فيقول: "... فإننا غزونا على قبيل الأحرار الغربية بعد المرابدة وتخلف العيون لما هم عليه من عدم الغفلة وكثرة الظنون وقد ركبنا إليهم في المحلة المنصورة من بلاد بني عامر وسرنا نحوهم سيرا عنيفا... وهم غفلة فأحطنا بهم إحاطة الهالة بالقمر، والخاتم بالخنصر وجمعنا مالهم جمعا، وحزنناه وترا وشفعا، فشفنا منهم العليل، وبرد الغليل قد ظفرنا الله بهم فأخذناهم أخذة رابية، بغزوة شافية كافية، وذلك ببلاد اليعقوبية ورجعنا نحن والعسكر بالسعية والمخزن بخيرو على خير فالحمد لله على الغنيمة والسلامة والكل من فضل الله...".²

ومما سبق يمكن أن نستنتج أن الأتراك قد تحولوا إلى قوة قمعية وراعدة فتحول التقاهم إلى تصادم والتناصر إلى تناحر فاشتد العداء والكراهية بين حلفاء الماضي وشركاء الجهاد ضد التهديدات الأوربية³، إن هذا الانقلاب العكسي في العلاقة أملتة جملة من السياسات المتبعة من قبل السلطة التركية الحاكمة والتي اعتمدت في الاستيلاء على الخيرات الجاهزة (القرصنة، الغصب، الضرائب، نهب أرزاق الناس عنوة... الخ) ولم تكلف نفسها عناء البحث بتطوير الإنتاج الزراعي والصناعي، على غرار ما حدث في أوروبا أيام النهضة، بل حرصت على صيانة عوامل التدفقات المالية من أجل تثبيت ركائز وجودهم ونفوذهم وضمان شروط واستمراريتهم، لقد وصف العثمانيون بحق أنهم دولة استهلاكية وليست دولة

¹ - المولدي الأحمر، الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا، الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص 123

² - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص368

³ - محمد الطيبي، المرجع السابق، ص 162.

إنتاج وتنمية¹، لأن الثروة التي تتأسس فوق البنيات الفوقية وضمنها الحضارة الاستهلاكية ليست ثروة إنتاج قابلة للنمو، وليست صراع مع الطبيعة بل إنه إقتصاد غزو².
ومن جهة أخرى أقدم الأتراك على منح الامتيازات والتسهيلات التجارية للأجانب من أوروبيين ويهود وتهميش العنصر الجزائري الذي ليس له من نصيب سوى البؤس والحرمان. وهذا ما أبعد قبائل الرعية عن الحكام وجعلها لن تتردد في رفع راية العصيان والتمرد³، لخلع رداء الذل والشقاء فتعرضوا لأبشع انتقام من حلفاء الأمس، مما جعل كثير من رجال الزوايا وزعماء القبائل يتجهون نحو مقاطعة الحكام، خاصة أن العلاقة بين رجال الدين والأتراك أخذت تتجه نحو الافتراق منذ أواخر القرن السابع عشر عندما بسط الحكام سلطتهم على السكان بطريقة مباشرة، وإبعاد رجال الدين عن المشاركة في الحكم، وتم إلزامهم بدفع الضرائب التي كانوا في وقت قريب هم الذين يستفيدون من جزء منها، فأدى ذلك إلى التوتر في العلاقات بين الطرفين وبداية حتمية الصراع الذي ترجمته الزوايا الدينية في انتفاضات شعبية لقيت استجابة من الأهالي الذين ذاقوا ذرعا من تصرفات البايليك التعسفية.

2. ثورة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري 1802 - 1828:

شهد بايليك الغرب في أواخر العهد العثماني أعنف ثورة قادتها الطريقة الدرقاوية، وترجمتها عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، الذي نزل بوطن الأحرار ويعود إلى قرية أولاد بليل قرب فرندة⁴، واتخذت حركته طابع انتفاضة شعبية محلية لقيت تأييدا كبيرا من قبل قبيلة

¹ - محمد خير فارس، "الحياة السياسية والعلمية في الدولة العثمانية"، مجلة الطريق، العدد الرابع، 1995، ص 139.

² - محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، ص 264.

³ - ناصرالدين سعيدوني، عالم القرن التاسع عشر، عصر الأمير عبد القادر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2012، ص 108.

وينظر: حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دارالهدى عين مليلة، الجزائر، ط1، 1429هـ / 2008، ص 17

⁴ - أبوقاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500 - 1830، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص 220.

الأحرار بتيارت، والتي ظلت تتحين الفرص للانقضاض على الأتراك الذين أخضعوهم بالقوة واستخدموا ضدهم العنف والقسوة لإجبارهم على دفع الضرائب حتى في سنوات العجاف، والتي كان معظمها يذهب إلى جيوب الحكام وفرسان المخزن، ولذلك وجدوا في الطرق الصوفية، خير نصير لهم، التي تبنت آلام وآمال الرعية وتحملت على عاتقها مسؤولية الدفاع عنهم بإنتاجها أسلوب العنف كوسيلة لتخليص السكان من مظالم الأتراك. واتجهت جموع القبائل بزعامة ابن الشريف لملاقات جيوش الباى مصطفى العجمي فالتقى الجمعان بفرطاسة¹، (واد الأبطال حاليا) بين وادي مينا ووادي العبد، واشتد القتال بينهما وهزم فيها الباى ولم ينج بانفراده متسللا على حين غفلة ممتطيا جواده من دون سرج قاصدا معسكر إلا بشق الأنفس، ولقد أشاد الشاعر الشعبي أبوعلام الطيب السجاري بابن الشريف الدرقاوي الثوار فقال²:

يوم أن فرعهم ابن الشريف اوجاو	كي قصة الأجواد مع أترك النوبة
قالوا الأجواد على حرمانا نركاوا	ذوك أترك الكرسي دهر فاتوا رهبة
في فرطاسة شاو انهار وتلاقوا	انعقد غاشي الأحرار عقد امحبة
ملهيه اومنا عيطا أعقيد أفناروا	بالسيف اونار المشط اودق الحربة

وسقطت معسكر في يد ابن الشريف وأتباعه، فأمسى الباى بمخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي بأتباعه في رعد³، وقد مات في هذه المعركة عدد كبير منهم كاتب الباى "الحاج أحمد بن هطال التلمساني" و"أبو عبد الله محمد الغزلاوي"⁴. ثم واصل بن الشريف زحفه ناحية وهران، وضرب عليها طوقا من الحصار، وكادت وهران أن تسقط في يد الثوار، لولا استمالة الباى للأعيان وقوات المخزن ببذل الأموال الطائلة لهم. ولم ينته أمر الدرقاوي الذي أخذ

¹ - المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص، 305. وينظر ايضا، الزياني محمد بن يوسف، المصدر السابق، ص 273.

² - ناصرالدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر ويلييه القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، الشيخ

أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص245، 246.

³ - المزاري ابن عودة، المصدر السابق، ص 305.

⁴ - المصدر نفسه، ص 305.

يبحث فيما يبدو عن أنصار جدد يدعم بهم صفوفه، ويواصل الاشتباك مع الأتراك، فلجأ مع ما بقي من قواته إلى مدغوسة من بلاد خلافة¹، فخرج له الباى بجيوشه فانهزم الدرقاوي وقتل المخزن من أتباعه خلقا كثيرا².

وفي عهد الباى علي خرج ابن الشريف الدرقاوي من بني يزناسن ونزل الأحرار، على أمل تجميع قواته من جديد ومواصلة أعماله العسكرية ضد بايات وهران، فوصل الخبر إلى الباى الذي سير محلة الغرب بمينا وأمر جميع قبائل القبلة بالوقوف معه ورافقه إلى أن نزل بلاد الأحرار فأفسد زرعهم ونكل بهم، فإفترقت جموع من ناصروا ابن الشريف الدرقاوي، وجاءت شيوخ الأحرار بأجمعها تلتمس منه العفو فعفى عنهم أكرم نزولهم³.

ولقد أنهكت الثورات الداخلية إيالة الجزائر، ودفعت الفتن التي تسببت فيها مظالم السلطة الحاكمة آنذاك إلى إنكفاء السكان على أنفسهم، والإبتعاد عن التعامل مع السلطة المركزية وتحول أغلب السكان المؤطرين بشيوخ الزوايا إلى موقف عدائي من إدارة الباليك والمتعاملين معها.

ولابد في ختام هذا الفصل، أن نشير إلى منطقة تيارت بحكم موقعها المتوسط الفاصل بين الشرق والغرب، جعلها تقف عائقا في وجه تقدم الأجانب، فشكلت بذلك مقاومة عنيفة ضد كل حركة توسعية تشتم فيعها رائحة الغدر والعدوان.

كما ظلت تمثل سدا منيعا في وجه تمدد الاستعمار القديم، الذي أنشأ على تخومها خطوط دفاعية لمواجهة هجمات القبائل البدوية التي ظلت تهدد الإستعمار الروماني بالمنطقة.

وكانت القبائل التي تعيش فيها شديدة الميراس، وقفت بكل حزم ضد كل دخيل أجنبي أراد أن يفرض سيطرته على المنطقة، لكنها كانت وفية لأنظمة الحكم التي جاءت لكي

¹ - خلافة: قبيلة استوطنت منطقة لوهواليا وهي تقع شمال شرق مدينة فرندة وسيأتي الحديث عنها لاحقا.

² - المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص 328. وينظر أيضا: الزباني محمد بن يوسف، المصدر السابق، ص 295.

³ - المصدر نفسه، ص 346.

تستجد بها، فتعاونت معها واحتضنتها وقربتها. كما هو الحال بالنسبة للرستميين، الموحدين، الزيانيين، والعثمانيين الذين قدموا إلى المنطقة لمساعدة سكانها ضد الهجمات الإسبانية، قد تحولوا مع مرور الوقت إلى قوة قمعية، مما يدل على الإفلاس النهائي للنظام السياسي التركي، فإن إنفصام عرى العلاقة بين القيادات القبلية والسيادات الطرقية قد تمخض عنه عمليا إنهاء فعلي لذلك التحالف الذي أملتة رواو بط الأخوة في الدين الذي إستمر أكثر من ثلاثة قرون ونيف.

فتحول حليف الأمس إلى مستبد، وساءت العلاقة بين الطرفين، وحدث الطلاق بينهما فأصبحت المجابهة خيارا لا مفر منه، الذي نشأ عنه ضعف الدولة وتلاشي قوتها، لاشك أن مواجهة الفتن وإخماد حركات العصيان والتمرد قد استنزفت طاقة الجميع، وعرقلة مشاريع الإصلاح التي باشرها حسين باشا، الذي كان منشغلا بإعادة الأمن إلى ربوع الوطن، وسيطرة الوكلاء الأوربيون واليهود على تجارة الجزائر الخارجية، وانكفاء سكان المدن على أنفسهم، في حين ظل أهل البادية يعيشون في عزلة تامة. فأصبحت إيالة الجزائر تسير باتجاه السقوط الحتمي الذي سيقوض أركانها ويزيل معالمها، وأن أيادي الغدر ستعذب بها، وبالفعل انقض العدو الفرنسي على الجزائر وما ارتبط به من مقاومة خاضها الشعب الجزائري عامة وقبائل منطقة تيارت خاصة التي ساهمت بجهد لا يقل أهمية عن باقي المقاومات الأخرى والتي سنتعرض لها في الفصل القادم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

منطقة تيارت أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1847.

- 1) القبيلة والمجتمع من منظور دعاة الاستعمار.
- 2) التنظيم القبلي ودوره في منطقة تيارت.
- 3) الاتحادات القبلية في منطقة تيارت.
- 4) آغوية تيارت.
- 5) قبائل منطقة فرنده.
- أ) أصل تسمية فرنده.
- ب) الموقع الجغرافي لفرنده.
- ج) المكون القبلي لمنطقة فرنده.
- 6) الواقع السياسي لمنطقة تيارت قبيل إندلاع مقاومة الأمير عبد القادر.
- 7) موقف قبائل تيارت من مبايعة الأمير عبد القادر.
- أ) قبائل الرعية.
- ب) قبائل المخزن.
- 8) رجال الأمير والمتعاونين مع فرنسا.
- 9) انهزام الحاج موسى الأغواطي على يد الأمير وقبائل المخزن.
- 10) من معسكر وتلمسان الى تاقدمت.
- 11) قبائل تيارت تسند حملة الأمير العسكرية في عين ماضي.
- 12) جيش الاحتلال يسيطر على مناطق نفوذ الأمير.
- 13) معركة فرنده 25 فيفري 1842م.
- 14) التوسع الفرنسي في منطقة تيارت 1842.
- 15) تيارت في 1843 بين الولاء للأمير عبد القادر وتزيد الضغط الفرنسي.
- 16) زمالة الأمير عبد القادر بين النشأة والسقوط عودة المقاومة بقوة سنة 1845.

(17) حادثة مقتل الملازم لاکوت (laCotte)

(18) موقعة تامدة 23 ديسمبر 1845

لقد ظلت البيئة التيارتية تمثل منذ زمن قديم قلعة للمقاومة، معبرة عن رفضها للتدخل الأجنبي المقيت، المتمثل في الإستعمار الذي قدم عن طريق البحر، وكان آخرها الإستعمار الفرنسي. لقد أدركت قبائل تيارت خطورته منذ سقوط القيادة الإقليمية في الغرب التي تلاشت في لمح البصر، تاركة لسكان المنطقة أن يتحملوا هم وحدهم أعباء المقاومة، التي تزعمها الحاج محي الدين لمدة سنتين، سمحت للأمير عبد القادر أن يتمرس على فنون القتال وقيادة الجيش، فاتجهت الأنظار نحوه لكي يتم مبايعته زعيما للمقاومة، فقصدته القبائل من كل حذب وصوب ومنها قبائل منطقة تيارت، التي بايعته معترفة له بقيادة العمل المسلح، وناصرته في جهاده ضد المتعاونين مع فرنسا فقدمت له مستلزمات الحرب لإجبار العصاة على الطاعة كما حدث مع زعيم التيجانية.

وهذا كله إيمانا منها بأن الاستعمار الفرنسي الذي تمكن من أسقاط الحكومة المركزية سوف يعمل على توسيع نفوذه في الداخل مستغلا في ذلك تفوقه العسكري، والخلافات التي نشبت بين أطراف متعددة وظفها العدو وحاول الاستفادة منها. إذن فلا مناص لها من الوقوف بكل حزم في دعم حركة المقاومة فكانت منطقة تيارت بموقعها الاستراتيجي توفر قاعدة خلفية، ينطلق منها الأمير لتأديب القبائل العاصية، والتي تراجعت عن الإيفاء بتعهداتها في تقديم العون المادي للمقاومة، ومنها حاول الأمير جر القوات الاستعمارية إلى فضاء أوسع، يستطيع من خلاله تشتيت قوات العدو، ويحرض قبائل المنطقة على مواجهته. لقد شكلت مطلع سنة 1842 تحدي كبير للأمير عبد القادر، الذي فقد أجزاء مهمة من المناطق التي كان يسيطر عليها هذا من جهة ومن جهة أخرى، لقد واصل جيش الاحتلال تقدمه باتجاه منطقة تيارت لاحتلالها.

وقد قسمنا هذه الفصل إلى قسمين: أولا مشاركة قبائل تيارت في مبايعة الأمير عبد القادر ودعمه في محاربة خصومه وثانيا التصدي للعدو المحتل لمنعه من التوغل في تراب منطقة تيارت.

1) القبيلة والمجتمع الجزائري من منظور دعاة الاستعمار:

لقد حظيت قبائل منطقة الغرب الجزائري بقسط هام من الأعمال الدراسية التي أنجزت حول المنطقة خلال الفترة الاستعمارية، واعتمد الغزو الاستعماري الذي استهدف المجتمع الجزائري أساليب وأدوات مختلفة كان من جملة هذه الأدوات التأويل ذلك أن دعاة الاستعمار على اختلاف تخصصاتهم أولوا ظواهر وتنظيمات المجتمع الجزائري تأويلا ساير المرامي التوسعية. ومن ثم غدت الجزائر في تصورهم مجال تعارض متعدد المظاهر¹. فحاول هؤلاء الدعاة تفكيك مكونات المجتمع الجزائري من خلال استمالة قبيلة الدواير والزمالة التي وقفت إلى جانب فرنسا وما كانت تمثله من ثقل عسكري وبشري قلب موازين القوى لصالح الاحتلال، وهكذا نجحت فرنسا في خلق تصدع داخل المجتمع الجزائري مما أضعف صف المقاومة. وأضاف متاعب أخرى أمام القبائل التي حاولت أن تعمل جاهدة على رد العدوان. وبذلك تكون فرنسا قد صنعت واقع جديد يساير طموحاتها الرامية إلى تحويل المنطقة إلى مرتع يستقر فيها من خابت آمالهم في العيش داخل أوربا مهد الحضارة وحقوق الإنسان. حيث تناول دعاة المدرسة الكولونيالية المجتمع الجزائري كظاهرة اجتماعية ومن خلالها تم صياغة تاريخ اجتماعي ممسوخ لا يركز على أي حقائق واقعية مما أفرز كثير من المعطيات المتناقضة مثل التعارض التاريخي بين العرب والبربر والصراع بين المستقرين والرحل وبين الإسلام والعادات وبين المدينة والبادية. وفي هذا الصدد يقول وليام شالر: "الشعب الجزائري من الناحية السياسية منقسم إلى قبائل متعددة تحافظ كل واحدة منها على استقلالها".¹

ولقد ترتب على نظرة الاستعمار إلى المكون القبلي ومكانة الإسلام وقيمه الحضارية، فهم خاطئ يرد من خلاله الجزم باستحالة قيام دولة جزائرية قادرة على صهر مكونات المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ومن ثم كانت الأحكام جاهزة والتي أقرت ب "فوضوية

¹ - محمد مالكي، الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 بيروت 1994، ص 121، 123.

السكان ونزوعهم نحو "التنافر" واعتماد "العنف" كوسيلة للتعامل، والتفاعل، وهي رؤية لم يتخلص من عسفها وضحالة قيمة نتائجها العلمية حتى المعاصرون من الباحثين الذين اتخذوا الجزائر وقضاياها فضاء لكتاباتهم¹.

وفق هذه الرؤية البعيدة عن الحقيقة في قراءة تاريخ الجزائر. والتي يوراد لها تبرير مشروعية الاحتلال، والتشكيك في وحدة مكونات المجتمع الجزائري الذي صهره الإسلام وجعل منه وحدة متماسكة ازدادت متانة كلما تعرضت للغز والذي جاء عن طريق البحر. والمتمثل في الاحتلال القديم (الروماني، الوندالي، البزنطي) ثم الغزو الفرنسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، المتخفي وراء قناع نشر الحضارة لإجبار الآخر المتوحش إلى الخضوع والاستسلام، والاستعمار لا يرى في الجزائر شعب منظم، بل مجموعة من القبائل المستقلة عن بعضها البعض، وهي لا تملك القدرة ولا المقومات لبناء دولة بالمفهوم الحديث لنشأة الدول، جاءت هذه الرؤية لكي ترسخ لدى البعض فكرة التبعية للخارج، وتقنع البعض الآخر بأن المجتمع الجزائري يحمل في أحشائه قصورا ذاتيا لا يمكن تجاوزه وهي نظرة عارية عن الصحة، فالجزائر كانت موجودة منذ القديم، ودافع عنها وطنيون من أمثال ماسينيما ويوغرطة ضد الاحتلال الروماني، في وقت لم تبرز فيه فرنسا كدولة مكتملة الأركان إلا في بداية العصور الحديثة وبدعم من الدولة العثمانية.

يتحول المجتمع الجزائري لدى بناء استراتيجيا الاستعمار الى خليط من الأجناس المتنافرة وغير مؤطرة وفق أي شكل من الأشكال الانتماء السياسي... بهذا الصدد نقرأ في مذكرات ف. بانانتي²، وصفا أنثروبولوجيا خاص بقبائل الجزائر يقول فيه: " كل قبيلة يمكن أن تعتبر أمة، على غرار قبائل متوحشي أمريكا. وهذا يدعى "شيخ" وتعني قديم بوجه عام يختارونه بين الأكبر سنا في القبيلة، والأكثر تميزا من حيث نضج الحاكم وممارسة الفضيلة

¹ - المرجع نفسه، ص 11.

² - ف، بانانتي، مغامرات وملاحظات فوق شاطئ برباريا، 3 مج، ط2، (ميلانو) الترجمة الفرنسية، تقرير عن اقامة في الجزائر باريس: 1820، ص 281.

هو الذي يحكم عليه العرب بأنه جدير بأن يأمرهم... إذا أساء الشيخ معاملة رعاياه، أو لم يكن أميناً للمبادئ التي دعت إليه إلى الحكم، لا تدبر مؤامرة ضد شخصه، ولا تحاك أي ثورة بل تتركه كل قبيلة بهدوء تذهب وتتضم إلى قبيلة أخرى رئيسها يستقبل بأذرع مفتوحة هذا المكسب الجديد...¹.

(2) التنظيم القبلي ودوره في منطقة تيارت:

تحتل تيارت موقعا استراتيجيا هام، فهي تقع في مكان يتوسط مناطق التل ومناطق الصحراء، مما جعلها تتبوأ مكانة تجارية بين مدن الإقليم، فهي موطن لقبائل وعشائر ذات نفوذ ديني وسياسي، ويأتي على رأسها قبائل الأحرار وأولاد خليف وهي من القبائل الكبيرة كان لها تأثير هام على مجريات الأحداث، التي عرفت فيها منطقة تيارت والتي سيكون لها بلا شك مساهمة لا تقل أهمية عن باقي القبائل الأخرى في القطاع الوهراني، منذ بداية عملية الاحتلال الفرنسي وحركة الاستيطان الأوربية التي صاحبتها حيث تجمعت أغلبها في شكل اتحاد قبلي موسع حافظا على أمنها وممتلكاتها وهو ما يطلق عليه بالكونفدرالية القبلية².

إذ برزت بقياداتها وزعاماتها ولعبت دورا قياديا سواء خلال فترة الأتراك المتأخرة وإبان القرن التاسع عشر. وذلك من خلال دعمها للمقاومة بحكم أن أوطانها كانت بعيدة عن المواقع الفرنسية، وشكلت قواعد خلفية اتخذها الأمير كمراكز لتموين جيشه واللجوء إليها لما تشدد عليه الضغوط، مما جعل الجنرال لاموريسيار³، يتفطن لاستراتيجية الأمير التي أرهقت

¹ - المرجع نفسه، ص، 286

² - ابراهيم مهديد، الأرسطراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن التاسع عشر والرأسمالية: إشكالية الاندماج الاجتماعي، "المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية"، عدد، 4، جانفي - أبريل 1998، (مجلد ii، 1) ص2.

³ - لاموريسيار: من مواليد 05 فيفري 1800 م بمدينة "نانت" Nantes فهو من طبقة النخبة المتخرجة من كبريات المدارس انضم إلى المدرسة المتعددة التقنيات، كان شغوقا بالرياضيات، كان كاثوليكيا متحمسا، درس اللغة العربية فور وصوله إلى الجزائر، كان من ألد أعداء الأمير عبد القادر، قام بإنشاء المكاتب العربية لتسهيل الاتصالات بين الأهالي والإدارة الاستعمارية، وفي 21 جويلية 1840 أسند له قيادة الفيلق العسكري بوهران، ثم صار وزيرا للحربية من 28 جوان إلى غاية شهر ديسمبر 1848 وجرى عدة حملات عسكرية ضد فليقة وفي كل نواحي مستغانم ودفعهم إلى الإستسلام 1848، أجبر قبائل بوزيري في فرندة وقبائل صدامة في سيدي الجليلي بن عمار على الإستسلام، وأخضع تيارت للاحتلال سنة 1843 توفي في سبتمبر 1865.

العدو، باحثا عن مخرج للمأزق الذي وضعته فيه المقاومة ووجد أنه لا مناص من إيجاد قواعد عسكرية دائمة بين القبائل التي يتم إخضاعها، فوضع خطة استوحاها من استراتيجية نابليون بونابرت الذي طبقها أثناء حملاته العسكرية في أوربا¹، وبذلك فهي تؤدي دورا لا يقل أهمية عن مدينة معسكر، أي، قواعد للتموين وتسيير الحملات العسكرية لإخضاع باقي المناطق المجاورة.

ومنذ ذلك الحين بدأت فرنسا تخطط لمد الاحتلال الى الداخل لكي تتمكن من مراقبة تحركات الأمير والقبائل الموالية له. فاحتلت تيارت التي أو قيمت في نقطة اتصال بين التل والسهوب²، وأنشئ بها مركز تموين للجيش واتخذت كقاعدة تنطلق منها الحملات العسكرية التوسعية التي كانت تستهدف مناطق الهضاب والصحراء في الإقليم الغربي.

3. الإتحادات القبلية في منطقة تيارت:

كانت هذه الكونفدراليات القبلية، تشكل من الناحية الإدارية أغويات ووحدات إدارية يخضع فيها الأغوات الى سلطة بايات المناطق الجزائرية، الذي سار عليه الأمير عبد القادر وأبقت عليه سلطات الاحتلال الى حين³.

ومن أبرزها نفوذا في المنطقة أغوية أولاد خليف والأحرار، ولقد انضمت هذه القبائل إداريا لسلطة الاحتلال بعد أن تم إخضاعها بالقوة وأصبحت تدار من طرف المكتب العربي لتيارت، ووجدت الإدارة الاستعمارية صعوبة كبيرة في إخضاعها، فكانت خلال أربعينات القرن التاسع عشر، لا تتأخر عن تقديم الدعم لمقاومة الأمير عبد القادر كلما عاد إليها، ولم

ينظر:

-Narcisse Faucon: « Livre d'or de L'Algérie. » Histoire politique, militaire et administrative ; événements et faits principaux ; biographie des hommes ayant marqué dans l'armée ,les sciences, les lettres, etc... de 1830 à 1889. T. 1. Paris ,1889. PP360-365

¹ - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، ش، و، ن، ت، 1982، ص231.

² - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، الغزو وبدايات الاستعمار، 1871_1827، المجلد الاول، ج 1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، ط 2013، ص ص 334-335.

³ - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 3

تتمكن سلطات الاستعمار من إحكام السيطرة عليها إلا مع مطلع الخمسينات عندما تمكنوا من بسط نفوذهم على المناطق التالية. فشكلت بعد تأسيس مركز تيارت كونفدراليات تتماشى مع نظام المكاتب العربية، الذي وضعه الجنرال بيجو بهدف مراقبة القبائل بصفة مستمرة للحد من نشاطها الثوري وشل تحركاتها، فتم إحلال الأغويات محل القبيلة الأم وعوضت الفروع بالقيادات.

أ. أولاد خليف:

أشراف قدموا الى المنطقة مع الفتح الإسلامي الثاني سنة 750 هـ / 1350م، قدر عددهم بـ 14400 نسمة خلال أربعينات القرن 19م حسب ما أورده كاريت، عضو لجنة الجزائر العلمية وأمينها العام¹ في حين بلغت مساحتها حوالي 197947 هكتار منها 1280 هكتار صالحة للزراعة، وقدرت ثروتها الحيوانية بـ 1565 رأس من الأبقار و43469 رأس من الأغنام، و4097 رأس من الماعز و503 رأس من الجمال²، وهي

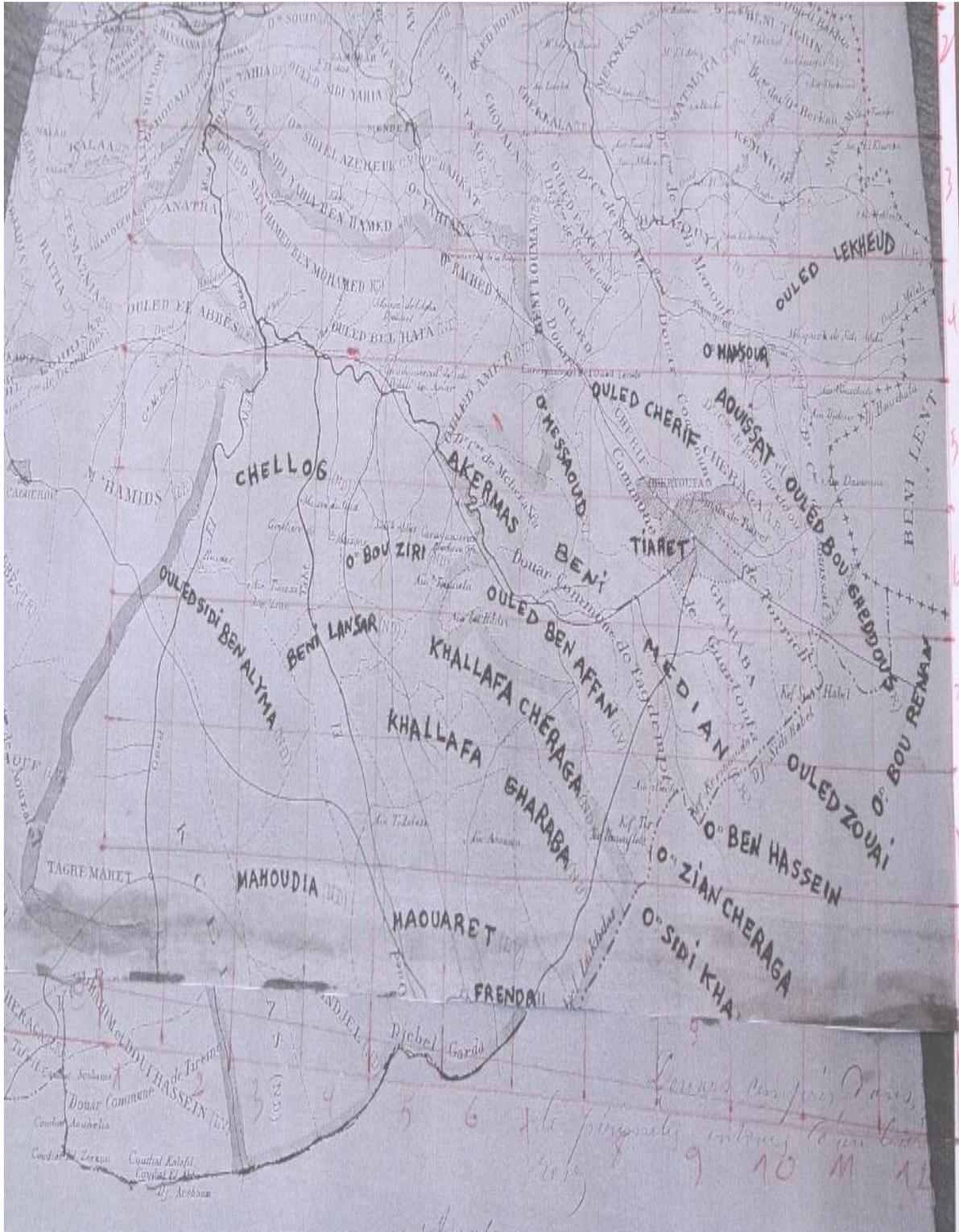
¹- E. Carette: « Origine et migration des principales tribus de l'Algérie. » Paris. Imprimerie impériale. Sans date. P 476.

وينظر:

- Henri Barelette: « Monographie de la région de Tiaret » B. S. G. A. A. N. 17^{eme} année 1912. P 322.

²- A. N. O. M. Boite 10H53: « Historique des tribus de l'Oranie » P989. Archives Aix-Provence.

الشكل رقم 1. يوضح التوزيع الجغرافي لقبائل منطقة تيارت¹.



¹ - 2M/71 (A. N. O. M.)

تنقسم الى أربع قبائل: وهم أولاد الخروبي، أولاد بورنان الصحاري الشراقة والقنادزة قصر كوجيلا، يدهم من الناحية الشمالية العويسات وبني لانث وشرقا أولاد شايب وأولاد نايل، وجنوبا الحجيلات، وغربا الأحرار¹، وخرجت منهم فروع منها أولاد حسن، أولاد علوي، أولاد سيدي سعيد، أولاد سالم الإيمان وأولاد سيدي محمد بن يعقوب²، وتخضع كلها لزعيم سياسي واحد وهو يحي بن راشد الذي تمتد سلطته الى جنوب فرنده حيث تمثل تاوغزوت المركز الرئيسي للنفوذ والهيمنة³.

أما زعيمها الروحي فهو سيدي منصور الكبريت الذي فر من مجزرة الناظور متخفيا، واختلقت بشأنه الروايات حول مكان تواجد ضريحه فمنهم من يرى أنه موجود في منطقة عين الدرهم جنوب عين سببية الأثرية، ومنهم من يعتقد أنه دفن عين الذهب (الوسخ سابقا) أما عن التسمية التي عرفت بها قبائل أولاد خليف، فتشير الرواية المتداولة بين الناس، أن رجلا غريب اسمه خليف ارتكب جريمة قتل في أحد أقاربه، ففر متوجها الى سيدي منصور الكبريت، الذي استقبله وحظي بثقته، فاعتكف عنده على المطالعة والتزود بعلوم الدين والشريعة، فجعل من نفسه خادما لهذا المرابط الذي كلفه بتعليم ابنه البكر سيدي علي بن منصور⁴.

لكن ابن خليف كان يطمح في الحصول على نفوذ سياسي فتقرب من يحي بن راشد عن طريق المصاهرة فتزوج من ابنته، ومن ثم راح يعمل على إقصائه من الزعامة بالاستيلاء على نفوذه السياسي لكن محاولته باءت بالفشل لكثرة أتباع يحي بن راشد⁵، وبعد إخفاقه عمل على توظيف النفوذ الديني لسيد ي منصور، ودعا الناس الى خلع الطاعة عن

¹ - A. N. O. M. Boite 10H53Op,cit. P987.

² - A. N. O. M. Boite7H1: « Renseignements sur les chefs indigènes et les familles influentes du cercle de Tiaret. » 1857-1908

³ - Fabre. Op ,cit. P 287.

⁴ - Ibid. P 287

⁵ - Henri Barelette. Op ,cit. P 326

يحي بن راشد ونجح في استمالة الناس، بعد أن تمكن من القضاء على أتباع يحي بن راشد الذي استولى على كل المنطقة وخضعت له كل الفروع.

ثم انتقلت السلطة لابنه بن شهرة الذي ترك ولدين من بعدهما الخروبي والطيب، دخل الحفيدان في صراع حول وراثة السلطة التي استأثر بها الابن الأكبر الخروبي، لكن الطيب رفض إنفراد أخيه بالسلطة، وانتهى الخلاف بينهما الى انشطار القبيلة فأعلن كل من أولاد سالم الإيمان، وأولاد محمد بن يعقوب انضمامهم ونصرتهم للطيب، أما فرع أولاد حسن، وأولاد علوي وأولاد سيدي سعيد فوقفوا الى جانب الخروبي، فأصبحوا يعرفون بالصحاري الشراقة والغربة¹.

ب. الأحرار:

وهي من أكبر الكونفدرالية القبلية التي استوطنت المنطقة منذ زمن قريب نسبيا، فهي تتشكل أساسا من قبائل بدوية تعتمد على تربية الحيوانات وممارسة الزراعة، وتتخذ من سهل السرسو والمناطق السهبية الواقعة جنوب تيارت موطنها لها. لقد وصفهم الأغا المزاري في كتابه طلوع سعد السعود فقال: "الأحرار لأقشار لا يلاذ بهم ملاد في الكفاح والجد والأصعار، نصرتهم كاملة، ونعرتهم للخير شاملة"²، وهم يشكلون حوالي ثلاثة عشرة فرعا، وينقسمون الى قسمين:

(1) الأحرار الشراقة:

وهم أولاد سيدي خالد الشراقة، أولاد بوعفيف، الكعابرة، وأولاد الزواي الشاوية، أولاد عزيز، أولاد بلحسين، ولم يكن عددهم يتجاوز 12000 في أربعينات القرن 19م³.

¹ - Fabre. Op,cit. PP 288-289

² - الأغا المزاري، المصدر السابق، ص ص 115 - 116

³ - E. Carette: « Origine ... »Op, cit. P 476.

وينظر: كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث. 2014-2015. ص261.

(2) الأحرار الغرابة:

وهم أولاد سيدي خالد الغرابة، أولاد زيان الغرابة، أولاد زيان الشراقة أولاد حدو والغوادي، الدهالسة، وبلغ عددهم في أربعينات القرن 19م قرابة 14800 نسمة¹، يتكون هذا الاتحاد القبلي من العنصر العربي الى جانب أقلية من العنصر البربري يحده شمالا أولاد عويسات، أولاد الشريف، بني مدين، أولاد بن عفان، خلافة والحوارث، بني ونجل، وغربا أولاد براهيم، الحساسنة، الجعافرة، وحميان الشراقة، وجنوبا أولاد عيسى، أولاد مومن، أولاد بن رزيق، أولاد سيد الناصر، وشرقا، أولاد خليف، أولاد خروبي وأولاد بورنان، وصحاري الشراقة².

(3) أصل تسمية الأحرار:

لقد أدى الصراع بين القبائل العربية من أجل الاستئثار بمناطق النفوذ في منطقة السرسو الى انسحاب نحو الشرق بينما لجأت عكرمة الى الشمال³، وأدى هذا التعديل الديمغرافي في المنطقة الى فوز الصحاري بجزء بسيط من الأراضي، بينما استحوذت قبيلة أولاد سيدي خالد على ما تبقى من الأرض⁴، غير أنها لم تكن تملك القوة الكافية لردع الأجانب عنها، وتحولت مع مرور الزمن الى منطقة جذب للسكان، ولذا قرروا استقبال الوافدين إليهم الأمر الذي جعلهم يلقبون بين الناس "بالمقاربة" نسبة إلى الفعل "اقترب"⁵.

¹ - أولاد سيدي خالد الغرابة يقع وموطنها في بلدية فرندة المختلطة، وهي تضم خمسة فروع، بلغ عدد سكانها حوالي 383 نسمة، تعتمد على زراعة الحبوب وتربية المواشي التي باع عددها حوالي 5500 رأس منها 4000 رأس من الأغنام، وتساهم بضرورية سنوية قدرت ب 2500 فرنك، قدرت مساحتها الإجمالية ب 29359 هكتار، يستغل منها في الزراعة والرعي. يحدها شمالا قبيلة الغوادي وشرقا وجنوبا قبيلة الدهالسة ومن الغرب يحدها قبيلة الحساسنة، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت لإي 18 ماي 1893. وتمت عملية تحديد ملكية القبيلة من دون إعتراضها على عملية ترسيم الحدود. B. O. G. .G. A. T. 36. PP1054 -1057

- وينظر: Ibid. P 476

² - Fabre. Op,cit. P 262

³ - A. N. O. M. 10H53. Op,cit. P941

⁴ - Fabre. Op,cit. P 282

⁵ - Henri Barlette. Op,cit. P 282

وظلت هذه التسمية هي السائدة الى غاية 1708 م، حيث أصبحوا يلقبون بالأحرار وذلك منذ وصول جند المولى إسماعيل المنهزم في المعركة بأحراش مولاي إسماعيل قرب وهران¹، ففروا باتجاه منطقة السرسو، وحضوا هناك باستقبال وترحاب خاص من المقاربة، وقدموا لهم كرم الضيافة، ولما عادوا الى وطنهم استقبلهم المولى إسماعيل، فحدثه جنده عن الترحاب الذي لقيه من المقاربة، فقال إن هذا السلوك لا يصدر إلا عن جماعة "أحرار"².

ج. القنادزة:

قبائل عربية من أصول شرقية، تنتسب الى عامر بن قندوز³، استوطنت المنطقة منذ زمن بعيد، يحدها شرقا كوجيلا، الفايجة غربا، طاقين من الناحية الجنوبية وشمالا وادي سوسلم وهم يشكلون جزءا من العناصر الزناقية التي إستقدمها بولوغين بن زيري، وهي لاتزال تعيش في مواطنها، قبل مجئ أولاد خليف وبفضل عددهم القوي تمكنوا من السيطرة على كوجيلا وأولاد خروف، ومن فروعهم الرحاحلة، الأعرور البهيلات والحماید، والقنادزة هم خدام أولاد خليف، وتاريخهم الساسي والعسكري مرتبط بأولاد خليف⁴.

(4) آغوية تيارت:

وتضم إحدى عشرة فرعا تتكون منقبائل التل وهي كالأتي⁵:

(1) أولاد لكرد.	(7) عكرمة
(2) أولادمنصور	(8) أولاد فارس
(3) العويسات	(9) بني مدين

¹ - أحراش المولى إسماعيل: مكان وقعت فيه المعركة بين الجيش المغربي بقيادة المولى إسماعيل والجيش الجزائري بقيادة الحاج مصطفى بتاريخ 1701/4/11، ومنى فيها الجيش المغربي بهزيمة نكراء وجرح مولاي إسماعيل وكاد ان يقع في ايدي الأتراك، وفي هذه الحملة نصب مصطفى بوشلاغم على رأس باليك الغرب ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص، 149.

² - Henri Barelette. Op,cit. P283. وينظر: كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 261.

³ - Fabre. Op,cit. PP290 ,291. Et 10H53. PP. 998,999.

⁴ - حباش فاطمة، المرجع السابق، ص 89

⁵ - Fabre. Op,cit. P290. Voir: A. N. O. M. 10H53. Op,Cit. P887.

4) بوغدو	10) أولاد الشريف الشراقة
5) عكرمة	11) أولاد الشريف الغرابة
6) بن عفان	

- أولاد لكرد:

قبيلة عربية بلغ عدد سكانها حوالي 3320 نسمة، وتقدر قواتها بـ162 فارسا و360 جندي مشاة¹، يحدها شمالا الكرايش وحلوية وشرقا أولاد عمرو بني غيست، وجنوبا بني غيست، وغربا عويسات وأولاد منصور. تحول موطنهم إلى صراع بين قبيلتين بربريتين وهما: قبيلة مغراوة وبني توجين، حيث انتصرت هذه الأخيرة وشيد زعيمها عبد القوي برجا، ودخل في حروب ضد بني عبد الواد، والمرنيين الذين أخضعوهم بالقوة²، ومع نهاية القرن 18 استقروا في وطنهم وخضعوا لسلطة الأتراك بعد ثورة درقاوة، وبعد سقوط الزمالة تخلوا عن الأمير عبد القادر وطلبوا الأمان من السلطات الفرنسية، وعند قيام ثورة بومعزة، غادروا أوطانهم والتحقوا بالجنال وظلوا على اتصال مع الأمير، وبعد أحدا تامدة والتي حقق فيها الجنرال يوسف انتصارات على الأمير عادوا إلى موطنهم³.

- أولاد منصور:

قبيلة عربية صغيرة تنتمي إلى أولاد محمد بن عريف ظل مصيرها مرتبط بقبيلة أولاد الشريف أثناء الوجود التركي⁴، وعندما سقطت تاقمت في يد الاحتلال، فرت القبيلة ناحية الجنوب، ولجأت الى جبال مطماطة ومكناسة، وظلت على هذه الحال حتى سنة 1844 إعادة بناء تيارت، فطلبوا الأمان⁵، وعادوا إلى ديارهم، ولما ظهر بومعزة سنة 1845 فضلوا البقاء على الحياد.

¹- A. N. OM. 10H53. Op,cit. PP896,897

²- Ibid. Op, cit. P899

³- Ibid. Op, cit. P899.

⁴- A. N. O. M. 10H53. Op, Cit. P904

⁵- A. N. O. M. M /62: « Ministre de la guerre, rapport à l'Empereur. » Paris. 4 /3/1868

- العويسات:

قبيلة عربية وهي من المرابطين، استسلمت بعد سقوط الزمالة سنة 1843، لكن جماعة من الثوار حاولت أن تلجأ عند القبيلة، فتعقبهم الجنرال يوسف وقام بتشتيتها ومعاقبتها ولم يتم جمع شملها إلا في سنة 1844¹، وعندما قامت ثورة بومعزة سنة 1845-1845 انضموا إليها ثم لجأوا الى المناطق الجنوبية.

- أولاد بوغدو:

قبيلة بربرية من بقايا قبيلة لماية، يحدها شمالا حلوية وأولاد منصور وشرقا أولاد منصور والعويسات، وجنوبا أولاد شريف، وغربا أولاد شريف، عدد سكانها لا يتجاوز 1039 نسمة، تقدر قواتها ب 39 فرسا و116 جندي مشاة. وعند غزو فرنسا للمنطقة لجاءوا إلى قبيلة فليطة، للإحتماء بها لما تمثله من قوة عسكرية بفضل عدد فرسانها ومعاداتها لجيش الاحتلال وفي 1845 إنضموا لثورة الشريف بومعزة²، وبعد سقوط الزمالة فروا ناحية الشرق، ثم عادوا إلى ديارهم³.

- عكرمة:

وهي قبيلة عربية هلالية⁴، قدمت من الشرق الى المنطقة مع الفتح العربي الثاني خلال القرن 11م، وبما أنها لم تكن قوية بالقدر الكافي، عاشت تحت حماية قبيلة حميان وبني عامر، استوطنوا المنطقة الواقعة جنوب سهل السرسو على بعد 100 كلم شرق مدينة معسكر، يحدها شمالا أولاد الشريف الغرابية، وشرقا زاوية الشيخ بن عيسة "فليطة" وأولاد منصور، وجنوبا بني مدين وبن عفان، وغربا صدامة⁵، تضم حوالي 1128 نسمة وهي قبيلة ذات نفوذ كبير، دخلت في صراعات داخلية، أدت إلى تشتيتها وتقسيمها بإيعاز من السلطة

¹- A. N. O. M. boîte 10H53 ,Op ,cit,p907

²- A. N. O. M. 2M181. « Commune mixte de Tiaret »

³- Ibid. P911.

⁴- Ibid. P920

⁵- Ibid. P 919

العثمانية¹، التي تمكنت من إخضاعها وإجبارها على دفع الضرائب، وعند سقوط تاقدمت خضعت للفرنسيين، لكن الأغلبية منها لجأت إلى قبيلة فليته وصدامة، ومع ظهور ثورة بومعزة 1845 في جبال قزول، اتخذوا من صدامة ملجأ لهم، ولما عاد الأمير عبد القادر إلى المنطقة، إتجهوا صوب وطن الأحرار، فلاحقهم الجنرال بيجو وأجبرهم على الأستسلام.

- أولاد بن عفان:

قبيلة عربية، شكلت في الماضي مع أولاد مسعود قبيلة واحدة تحمل إسم أولاد بوبكر، استقرت في القرن الحادي عشر بالقرب من تلمسان، يدهم شمالا صدامة وشرقا عكرمة وبني مدين وجنوبا الأحرار وغربا خلافة، تضم حوالي 1176 نسمة، منهم 70 فارسا، 96 جندي مشاة²، تتربع على مساحة تقدر بـ 12000 هكتار منها 1195 هكتار صالحة للزراعة والباقي عبارة عن مساحات غابية، تمتلك 10980 رأس من الأغنام، 1096 رأس من الأبقار، 2592 رأس من الماعز. وأثناء الوجود التركي تمكنوا من الانتصار على الباي شعبان، لكن الباي عثمان أجبرهم على الانسحاب من منطقة شلف، حيث استقروا في أعالي مينا³، وبعد وقوع تاقدمت في يد الاحتلال رفضوا الخضوع للفرنسيين، وفضلوا الاستقرار بين أولاد ثابت وأولاد نايل وبعد احتلال طاقين على إثر سقوط الزمالة، اتجه الأمير ناحية الغرب فاتخذ الفرنسيون تيارت كقاعدة عسكرية لمراقبة تحركات القبائل، مما دفعهم للاستسلام، وعند قيام ثورة بومعزة 1845 فروا باتجاه الأحرار خوفا من ملاحقة الفرنسيين لهم، وبعد زوال الخطر عادوا إلى أوطانهم تحت السيادة الفرنسية⁴.

¹- A. N. O. M. M /62. « Ministre de la guerre, rapport à l'Empereur. » Paris: 10 /7/1867.

²- A. N. O. M. 10H53. Op, Cit. P923.

³- Ibid. P926

⁴- Ibid. P927

- أولاد مسعود:

قبيلة من أصول عربية¹، يحدها شمالا فليطة وشرقا أولاد الشريف الغرابية وجنوبا أولاد الشريف الشراقة ومن الغرب بني مدين وعكرمة، بلغ عدد سكانها حوالي 893 نسمة وتقدر قواتها ب 22 فارسا و 92 جندي مشاة، انضموا الى مقاومة الأمير عبد القادر، وبعد وقوع تاقدمت في يد قوات الاحتلال، انسحبوا الى موطن فليطة، وفي منتصف عام 1844 م دخلوا تحت الحماية الفرنسية، ولما قامت ثورة بومعزة 1845م فضلوا البقاء على الحياد².

- أولاد فارس:

قبيلة بربرية³، تقع على بعد 100 كلم شمال شرق مدينة معسكر، يحدها شمالا فليطة وشرقا شكاله وجنوبا حلوية وأولاد الشريف وغربا فليطة. بلغ عدد سكانها 448 نسمة منهم 29 فارسا و 66 جندي مشاة، وفي عهد الأتراك تم إخضاعهم بالقوة بسبب عصيانهم وفي سنة 1843م دخلوا تحت المظلة الفرنسية⁴.

- بني مدين:

قبيلة من أصول بربرية تنتسب لبني توجين⁵، تقع على مسافة 120 كلم شرق مدينة معسكر، يحدها شمالا عكرمة وشرقا أولاد مسعود وأولاد الشريف وجنوبا الأحرار وغربا بنو عفان، وهي تتكون من ثمان فروع يقدر عدد سكانها بحوالي 1986 نسمة، منهم 98 فارسا

¹- A. N. O. M. 2M81: « Commune mixte de Tiaret. » Historique succinct et role joué par les tribus dans les différentes insurrections

²- A. N. O. M. 10H53. Op ,cit. PP914,915

³- A. N. O. M. 2M81. Op ,cit

⁴- Ibid. P918

⁵ - يرجع نسب بنو توجين الى قبيلة زناتة البربرية، وهم أبناء واغين بن بهاء الدين بن محمد وله ثلاثة اخوة هم مزاب وعبد الواد " مؤسس الدولة الزيانية بتلمسان ". وزروال، ويقال لهم بالبربرية بايت واغين وبالعربية بنو توجين. يتشكل بنو توجين من عدة بطون اهمها بنو يدلتن ومنهم اشتهر بنو سلامة الذين تنسب اليهم قلعة تاوغزوت المعروفة بقلعة بني سلامة. ينظر: د، عبد القادر حدوح، إمارة بني توجين بمنطقة الونشريس بين مواجهة الصغار وتحدي الكبار، مجلة أبحاث، العدد الأول، اليومين الدراسيين حول: إسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ وشواهد الأثرية، منشورات دار الثقافة لولاية تيمسليلت 19-20 ماي 2012، ص 38.

و165 جندي مشاة¹، وعند سقوط تاقدمت فروا ناحية بني عفان نحو الجنوب الشرقي، رفضوا الخضوع للفرنسيين وأعلنوا عن عصيانهم أثناء ثورة بومعزة، ثم تمكنوا من نصب كمين أدى إلى وقوع الملازم الأول لاكوت رئيس المكتب العربي لمدينة تيارت في الأسر وتم قتل عشرة من جنوده وسوف نتعرض بالتفصيل لحادثة مقتل الملازم الأول لاكوت في نهاية الفصل الأول².

- أولاد الشريف:

وهم فرع من بني سويد ينتسبون لعرب زغبة قدموا الى المغرب الأوسط من الشرق³، أين انضموا واتحدوا مع قبيلة زناتة، لكن الصراع بين يغمراسن والسويد أجبرهم على مغادرة التل والاستقرار بسهل السرسو. وعند مجيء الأتراك الذين حاولوا التوغل في الداخل اصطدموا بمقاومة قادها محمد بن شريف وأولاد منصور ضد بايات مازونة، وفي نهاية القرن 18م لاحقهم الباي عصمان فغادروا الشلف واستقروا في المنطقة الواقعة بين تغيغست والسرسو. ثاروا ضد الاحتلال الفرنسي وانضموا الى المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر، ثم بعد سقوط تاقدمت في يد سلطة الاحتلال، خضع البعض منهم لفرنسا، أما البعض الآخر فر إلى الى منطقة أولاد عمور إلى حين إجبارهم على الخضوع للسلطات الاستعمارية⁴.
يحدثهم شمالا حلوية، وشرقا أولاد بوغدو والعويسات، وجنوبا الأحرار وغربا بني مدين وأولاد مسعود وفليطة.

تتكون قبيلة أولاد الشريف من خمسة عشرة فرعا، وهي تضم حوالي 22 دوارا، بلغ عدد سكانهم حوالي 3512 نسمة منهم 135 فارس و407 جندي مشاة، أما أولاد الشريف الغرابية فعدد سكانهم لا يتجاوز 3882 نسمة وتقدر قواتهم بـ173 فارس و387 جندي مشاة.

¹ -10h53. Op ,cit. P929

² - Ibid. P929

³ - حباش فاطمة، المرجع السابق، ص 90.

⁴ - Ibid-. P895

5) منطقة فرنده

قبل الحديث عن قبائل فرنده، يستوجب الأمر التعريف بالمنطقة لأهميتها الجغرافية ودورها في المقاومة العسكرية، فقد إتخذها العدو من قبل كقاعدة تنطلق منها الحملات العسكرية، بعد أن أحكم الاحتلال قبضته على التل، ثم التفكير في إستهداف المناطق الجنوبية بقيادة الجنرال راندون، وفي سنة 1846 تم تنصيب أحمد ولد قاضي كقائد للمنطقة وزعيما لقبيلة الأحرار الغرابة وصدامة. والذي سيكون له دورا مهما في مساعدة جيش الاحتلال على تثبيت قواعده في المنطقة.

5-1- أصل تسمية مدينة فرنده:

يرجع علماء اللسانيات أن أصل تسمية مدينة فرنده، يعود الى الكلمة البربرية المركبة من قسمين "فرن" Fren والتي تعني إختبأ و"دا" DAH الذي هو ظرف مكان بمعنى هنا أي إختبأ هنا، وهناك معنى آخر وهو آت من الكلمة البربرية إيفري والتي تعني المغارة أو الكهف وهو الراجح عند الكثيرين¹.

5-2- الموقع الجغرافي:

تقع فرنده على بعد 50 كلم جنوب غرب مدينة تيارت، وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بـ 1150 متر²، وبذلك فهي تحتل موقعا هاما متقدما كبوابة للصحراء تربط بين الشمال والجنوب، تقع المدينة على هضبة تتخللها مرتفعات تتراوح ما بين 1100م و1260م مشكلة بذلك سلسلة جبال فرنده، المتمثلة في الجبل الكبير 1177م وجبل بوغشوة 1086م في الجنوب الغربي، وجبال القعدة الشهير. ويشغل منخفض واد التحت(التات) الذي يقع في الجزء الجنوبي الغربي مساحة ضئيلة، ومتوسط ارتفاعه لا يتجاوز 800م³.

¹ - مهدي محمد، المرجع السابق، ص2.

² - André Casset: «Dans le sud oranais, souvenir d'un médecin militaire»: - Le réveil médical-Bruxelles(1911). P61

³ - مهدي محمد، المرجع السابق، ص 6.

يسود المنطقة مناخ شبه البحر الأبيض المتوسط، الذي يتميز بعدم الانتظام في سقوط الأمطار، ومن خصائصه قساوة البرودة والرطوبة في فصل الشتاء، والحرارة والجفاف في فصل الصيف، وتبلغ كمية الأمطار سنويا حوالي 400 ملم.

أما عدد سكان المنطقة في الربع الأول من القرن التاسع عشر، كان يقدر بـ260 نسمة¹، منهم 5 فرسان و20 جندي مشاة².

5-3- قبائل منطقة فرندة:

تضم آغوية فرندة مجموعة من القبائل التي إستوطنت المنطقة منذ القرن العاشر الميلادي، حيث وفرت ملاذا آمنة لزعامات دينية وقبلية بحكم موقعها الجبلي ومسالكها الوعرة وهي تختلف من حيث إنتمائها العرقي، إلا أنها عاشت في وئام، وناصرت المقاومة الشعبية التي تزعمها قادة الجزائر طيلة القرن التاسع عشر. ومن أشهر قبائل المنطقة: أولاد بوزيري، بني ونجل، خلافة الغرابية والشراقة، الكسالنة، أولاد سيدي بن حليلة، الحوارث المهادية، الغوادي.

- قبيلة أولاد بوزيري:

وهي قبيلة معظمها من البربر، نزحت منذ زمن بعيد من منطقة جبل عمور، تعود أصولها إلى قبيلة زناتة البربرية من بني راشد³، تنتمي إلى صدمة وتقطن المنطقة الواقعة ما بين واد مينا والتات⁴، يحدها شمالا قبيلة بلحاية، وشرقا قبيلة عكرمة وأولاد بني عفان، وجنوبا قبيلة خلافة وأولاد سيدي بن حليلة والمهادية وغربا قبيلة الشلوغ. بلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 1886م حوالي 2375 نسمة⁵، ويعود أصل هذه القبيلة إلى منطقة بوزيري

¹- Victor Berard: « Indication générale de l'Algérie, ou description géographique, statistique et historique et toutes les localités comprises dans ses trois provinces. » 2^{ème} édition. 1858. P549

²- A. N. O. M. 10H53. Op, cit. P882

³- A. N. O. M. 2M70: « Notice géographique et historique sur les tribus composant la commune mixte de Freneda. » 1885

⁴- F. Accardo: « Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie. » Alger, 1979. P131

⁵- B. O. G. G. A. T. 31. (1891, 1892). PP 828-829

التي إستوطنت الضفة اليسري من وادي الحمام، شمال غرب معسكر¹، وفي نهاية القرن السادس عشر دخلت في صراع مرير مع الأتراك الذين هزموهم وإضطروهم على مغادرة المكان فاتجهوا إلى الشرق حيث واستقروا بالقرب من تيارت. انضم فرع منها وهم أولاد سيدي الجيلالي إلى مقاومة الأمير، وبعد معركة تاقدمت 1842م تم إخضاعهم من طرف الجنرال لاموريسيار². وقدموا العون لسلطات الاحتلال أثناء ثورة أولاد سيد الشيخ 1864م وثورة بوعمامة 1881م.

- قبيلة بني ونجل:

قبيلة بربرية، جاءت من نواحي فقيق بزعامة المرابط سيدي عبد الجبار استوطنت المنطقة القريبة من عين الحديد، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت في 13 جوان 1890 لتحديد ملكية الأراضي التي كانت بحوزتها، يحدها شمالا الحوارث والمهاودية وشرقا قبيلة الحوارث، وجنوبا قبيلة الغوادي والكسالنة، وغربا القرشة³. تضم ثلاث فروع وهي: أولاد يوسف، أولاد داود وسماله، تبلغ مساحتها 13000 هكتار منها 800 هكتار غابات⁴. في حين قدر عدد سكانها حوالي 588 نسمة⁵. ناصرُوا مقاومة الأمير عبد القادر، من خلال تقديم السلاح والذخيرة. وفي سنة 1843 أعلنوا عن استسلامهم للجنرال لاموريسيار، لكن عند قيام ثورة أولاد سيد الشيخ بقيادة سي حمزة 1864 م إنضموا إليها.

- قبيلة خلافة:

كونفدرالية بربرية استوطنت أراضي السرسو منذ القرن 11م، واستقبلت هجرة عربية من الجنوب تحالفت معها ثم امتزجت وانصهرت معها⁶، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت في 13 مارس الذي تم بموجبه تحديد ملكية القبيلة 1891. بايعت الأمير عبد القادر في بداية

¹ - A. N. O. M. 2M70. Op,Cit

² - Ibid. 829

³ - B. O. G. G. A. T. 32. 1892. P1229

⁴ - A. N. O. M. 2M70. Op,Cit

⁵ - F. Accardo. Op,cit. P40

⁶ - B. O. G. G. A. T. 34. 1895. P 6.

المقاومة، لكن سرعان ما تخلت عنه بسبب تزايد الضغط الفرنسي عليها، فحاولت أن تعرقل مساعي الأمير في المنطقة، فغازها مرتين محاولاً إعادتها إلى صف المقاومة فكانت الأولى في سنة 1842م والثانية 1845م. قدمت العون للجيش الفرنسي الذي كان يخوض معارك في الجنوب. تعرضت القبيلة للانحطاط سنة 1864م وانقسمت إلى فرعين¹: خلافة الشراقة وخلافة الغرابة ولكنهما ظلا يشكلان وحدة متجانسة.

- خلافة الشراقة:

وتتنتمي لبلدية فرنده المختلطة، تقع على بعد 20 كلم جنوب غرب مدينة تيارت²، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت في 13 مارس 1891، يحدها شمالا وشرقا قبيلة بن عفان، وشرقا أولاد زيان وأولاد خالد الشراقة، وجنوبا خلافة الغرابة وبلدية فرنده المختلطة، وغربا دوار بورمان، بلغ عدد سكانها حوالي 1673 نسمة³، الذين شكلوا مع الوقت دوار لوهو، في حين تقدر مساحتها بـ 20829 هكتار، تهتم بزراعة الحبوب وتربية الماشية حيث بلغ عدد رؤوس الماشية لديها 14000 رأس منها 10000 من الأغنام، إضافة إلى تربية النحل حيث كانت تتوفر على 300 قفير للنحل، التي تتركز في المناطق الجنوبية الشرقية من سهل السرسو تساهم بضرية سنوية قدرت بـ 16000 فرنك.

- خلافة الغرابة:

مساحتها بـ 23000 هكتار، يحدها شمالا دوار بورمان، وشرقا أولاد زيان الشراقة وأولاد حدو، وجنوبا الحوارث، وغربا المهاودية، وهي بذلك تقع على تخوم أراضي خلافة الشراقة، اعترفت بالوجود الفرنسي، ثم تم معاقبتها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1845 بعد أن رفضت دفع الضرائب المفروضة عليها⁴، الأمر الذي منعها من المشاركة في مقاومة

¹- B. O. G. G. A. Op ,cit. P 6

²- F. Accardo. Op,cit. P 89

³- B. O. G. G. A. T. 34. Op,cit. P7

⁴- A. N. O. M. 2M70. Op,cit

أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 ومقاومة بوعمامة سنة 1881. بلغ عدد سكانها حوالي 2416 نسمة حسب إحصائيات¹1896.

- الكسالنة:

وهي من أصول عربية تنتمي لقبيلة صدامة²، تسكن بالقرب من واد العبد ومساكنها بين معسكر وتيارت في بلدية تخمارت حاليا، تتميز بقوة وعدد أفرادها وهي تتكون من مجموعتين رئيسيتين هما الكسالنة والقرشة، تابعتان لبلدية فرنده المختلطة استقرتا على ضفاف واد العبد خلال القرن 11م، وهي تقع على بعد 60 كلم جنوب غرب تيارت يحدها شمالا الشلوغ وأولاد سيدي بن حليلة، وشرقا بني الأنصار وجنوبا أولاد براهيم وأولاد عوف وغربا المحاميد³، تبلغ مساحتها حوالي 18000 هكتار، ويقدر عدد سكانها بـ 1755 نسمة، منهم 85 فارسا و250 جندي مشاة⁴، وفي سنة 1804 ظهر في وسط القبيلة المرابط عبد القادر بن شريف، الذي نصب نفسه سلطانا على المنطقة، وسعى للحصول على الاعتراف به من طرف القبائل المجاورة، ثم قرر مواجهة الباي مصطفى وهزمه في موقعة فرطاسة سنة 1807⁵، لكنه لم يتمتع بهذا النصر، حيث فاجأه قوم بني عامر ففر باتجاه بني سناسن وتوفي هناك، وفي سنة 1845م أعلن ابنه مولاي أحمد نفسه خليفة بومعزة وثار ضد الفرنسيين، وفي 1850 حاول اثاره القلاقل لفرنسا فألقي عليه القبض وحكم عليه وبالسجن مدة سنتين قضاها في فرنسا⁶.

- أولاد سيدي بلحليمة:

قبيلة تابعة لبلدية فرنده المختلطة، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت في 09 فيفري 1892 والذي بموجبه تم تحديد ملكية الأراضي القبيلة، يرجع نسب قبيلة بن حليلة الى بني

¹ - B. O. G. G. A. T. 34. Op,cit. P7

² - F. Accardo. Op,cit. PP91-92

³ - A. N. O. M. 10H53. Op,cit. P882

⁴ - Ibid

⁵ - A. N. O. M. 2M70. Op,cit

⁶ - A. N. O. M. 10H53. Op,cit. P886

توجين من قبيلة زناتة البربرية¹، استوطنوا المنطقة منذ عهود قديمة، وهي تنتمي إلى عائلة الولي الصالح سيدي بلمرسلي الذي عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي²، وإشتهر زعمائها بالعلم والتصوف ونالوا كثيرا من الاحترام والتقدير مما جعل القبيلة تتصدر النفوذ الديني والسياسي في المنطقة، ولزعمائها قدرة كبيرة على تعبئة الأتباع ولها تأثير قوي في كامل المنطقة الواقعة بين معسكر وفرندة، ولقد تزعم رجال الدين فيها معارضة شرسة ضد الأتراك الذين وجدوا صعوبات جمة في إخضاع المناطق الواقعة شرق وهران³، وكانوا من الأوائل الذين تزعموا حركة المقاومة الى جانب الأمير عبد القادر ولم يتخلوا عنه واستمروا في المقاومة حتى قيامه بتوقيف القتال سنة 1847م. تقع أراضي القبيلة ضمن سلسلة من الحصون الجبلية التي تشكل خط توزيع المياه بين أحواض وادي العبد ووادي مينا يحد قبيلة أولاد بن حليمة شمالا الشلو وشرقا أولاد بوزيري وقبيلة خلافة وجنوبا بني الأنصار وغربا الكسالنة. تقدر مساحتها بـ 26500 هكتار، يقطنها حوالي 2152 نسمة⁴.

- قبيلة الحوارث:

تنتمي لقبيلة صدامة تقع على بعد 50 كلم جنوب غرب تيارت⁵، يحدها شمالا وشرقا خلافة الغرابة ودهالسة وأولاد سيدي خالد وأولاد زيان، وجنوبا الحسينات وبني ونجل، وغربا المهاودية. تقدر مساحتها بـ 37500 هكتار، في حين بلغ عدد سكانها 2096 نسمة حسب تقديرات 1886م⁶. وهي في معظمها من أصول بربرية جاءت الى المنطقة في حدود القرن العاشر الميلادي بقيادة حارث بن وارث الذي أطلق اسمه على القبيلة، وبعد قرن من الزمن جاءت قبيلة زناتية من ضواحي الجزائر التي استوطنت المنطقة وامتزجت بقبيلة الحوارث،

¹- B. O. G. G. A. T. 34. 1894. P902

²- ودان بغفالة، موقف قبيلة الجبلية من السياسة الفرنسية العقارية، مجلة المواقف، العدد الأول سبتمبر 2007

منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطبولي، معسكر، ص 137

³- B. O. G. G. A. T. 34. 1894. P902.

⁴- A. N. O. M. 2M70. Op,Cit

⁵- F. Accardo. Op ,cit. P79

⁶- B. O. G. G. A. T. 34. 1894. Op,cit. P96

وفي نفس التاريخ هاجرت قبيلة أولاد داود البربرية من المغرب، استقرت في المنطقة وأسست مركز فرندة في القرن الثالث عشر الميلادي¹.

وفي 1842م خضعت للاستعمار الفرنسي، وواجهت الأمير عبد القادر الذي أجبرهم على الخضوع، وفي سنة 1864م ناصرُوا ثورة ألد سيد الشيخ بقياد سي حمزة، وفي 1881م اصطفوا وراء الباشا آغا سي أحمد ولد قاضي لمواجهة ثورة بوعمامة². خضع تراب القبيلة لقانون سيناتوس كونسيلت في 15 مارس 1889، تعتمد القبيلة على تربية الماشية وفي مقدمتها الأغنام، تقدم صربية سنوية قدرها 21600 فرنك.

- قبيلة المهادية:

عربية الأصل تقع على مسافة 20 كلم جنوب غرب فرندة، تضم 20 فرعا ويقدر عدد سكانها ب1507 نسمة، تهتم بزراعة الحبوب وتربية الماشية التي تقدر بحوالي 13675 رأس منها، 6374 من الأغنام، 5948 من الماعز و866 من الأبقار. يحدها شمالا دوار التات وبورمان شرقا خلافة الغرابة والحوارث، وجنوبا بني ونجل وغربا دوار القرشة وأولاد سيدي بن حليلة تقدر مساحتها ب15000 هكتار³. وهم خدام أولاد سيديين حليلة، حيث شكلوا معهم قاعدة واحدة، ولكن سرعان ما انفصلوا عنهم سنة 1847 بسبب الاضطرابات التي عرفتھا المنطقة فشكلوا بذلك كيان مستقل عن قبيلة أولاد سيدي بن حليلة⁴.

كانت لقبيلة المهادية صلات وثيقة بقبيلة أولاد سيدي بن حليلة ذائعة الصيت لما كان لها من زعامة دينية وقدرة على حشد الأتباع ومنهم المهادية الذين تمسكوا بالمقاومة حتى قيام الأمير عبد القادر بتوقيف القتال سنة 1847 تم تطبيق قانون سيناتوس كونسيلت عليها يوم 22 نوفمبر 1892. تدفع صربية قدرها 11400 فرنك.

¹- Ibid. P96

²- Ibid. P97

³- Ibid. P 906

⁴- A. N. O. M. 2M70. Op, cit

- قبيلة الغوادي:

أصلها غير معروف تقع ضمن نطاق بلدية فرندة المختلطة¹، والتي تبعد عنها ب 20 كلم، ويعود تأسيسها الى مهاجر من أصل مغربي لجأ الى الضفة العليا لواد العبد، جمع حوله عائلات من حميان، وانضمت الى كونفدرالية الأحرار²، لمواجهة التوسع التركي في المنطقة الذي دام سنوات طويلة وانتهى الصراع بإلزام الغوادي على دفع ضريبة سنوية لبايات وهران. وتحالف الغوادي مع الأحرار جعلهم يشاركون في مقاومة الأمير عبد القادر. ولا يتأخرون عن دعم ثورة أولاد سيد الشيخ 1864، لكنهم اضطروا إلى مساندة فرنسا بعد أن تزايدت عليهم الضغوط من جانب الثوار، والحضور العسكري الفرنسي المكثف فلجأوا إلى مساعدة فرنسا على تهدئة الوضع أثناء ثورة بوعمامة³ 1881.

تبلغ المساحة الإجمالية حوالي 41000 هكتار، يحدها شمالا دوار تيرسين، القرشة الحسينات، بني ونجل وأولاد زيان الغرابية، وشرقا أولاد حدو، وجنوبا مادنة والدهالسة وغربا الحساسنة الشراقة. يقدر عدد سكانها ب 1440 نسمة⁴. تبلغ مساحتها حوالي 41000 هكتار، تساهم بضريبة قدرها 12000 فرنك، خضعت لقانون سيناتوس كونسيلت يوم 30 أوت 1892.

(6) الواقع السياسي لمنطقة تيارت قبيل المقاومة تحت قيادة الأمير عبد القادر:

كانت منطقة تيارت من الناحية السياسية، تحت نفوذ بايات وهران في الغرب الجزائري وذلك منذ أن تمكن العثمانيون من قهر الإسبان وتحرير وهران سنة 1792. وظلت العلاقة بين القبائل في المنطقة والحكام الأتراك بين مد وجزر. لكن خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، شهدت المنطقة حركات تمرد وعصيان عديدة قام بها السكان مراعاة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة بالمنطقة⁵، من جفاف وندرة الإنتاج. ولم تعد جهات بعينها أو قبائل محددة وحدها هي التي تتأصب العداء، بل لقد

¹ - F. Accardo. Op ,cit. P74

² -B. O. G. G. A. T. 37. 1897,1898. P483.

³ - Ibid. P483.

⁴ - I- bid. P484.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 111

انتشرت في القبائل روح التمرد والعصيان وإعلان الثورة كلما تستشعر القبيلة من نفسها قوة من المنعة على مواجهة الإدارة حتى تبادر إلى إعلان الرفض وتستعد للمواجهة العسكرية معتمدة على إمكانياتها الذاتية أو الدخول في تحالفات مع قبائل أخرى لرد العدوان الغاشم و نفوذ المخزن عليها¹، لكن استخدام القوة المفرطة ضد خصومهم، كثيرا ما كان يعيد الأمور إلى نصابها وإجبار المنشقين على الطاعة والخضوع².

ولقد كان لقبائل الأحرار في منطقة تيارت نزال مستمر مع الحكام الأتراك طيلة الوجود التركي بالجزائر تخللتها فترات من الهدوء، وظلت العلاقة بين الجانبين يسودها التوتر خاصة مع الربع الأول من القرن التاسع عشر فإن نجحت تلك الإدارة في إخضاعها باستخدام القهر والقوة أو حتى الاستمالة فإلى حين فقط، فسرعان ما تعاود الإعلان عن عدم الخضوع كلما كانت الظروف مواتية لذلك، وتشهر رفضها للإجراءات المتخذة ضدها فوجدت في ثورة التي تزعمها عبد القادر الشريف الدرقاوي فرصة ذهبية لكي تعلن عصيانها وتنضم إليه كلها أمل في التخلص من الهيمنة التركية، التي أصبحت تشكل طبقة تستأثر بكل الحقوق السياسية والإمتميازات الإقتصادية، في حين ظل السكان يشكلون طبقة محكوم عليها بتقديم الضرائب، والقيام بالواجبات المفروضة عليهم³.

ولم تكن تتوقع هذه القبائل زوال الحكم التركي الذي أخضعهم بالقوة طيلة ثلاثة قرون أن ينهزم ويستسلم لقوة أجنبية غازية دفعتهم إلى الخروج من الجزائر ليجد الشعب الجزائري نفسه يخوض معارك تحرير ضد أكبر دولة في العالم جيشا وسلاحا وعدة وعلما وتقنية⁴، فلا غرابة أن زوال الحكم التركي قد أفسح المجال أمام انتشار الفوضى التي اجتاحت كافة

¹ - د، عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، قراءة في فرادة الرموز والريادة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع وهران - الجزائر، ط1، 2011، ص 64

² - المرجع نفسه، ص 63

³ - بونقاب مختار، إنتفاضة درقاوة في باليك الغرب الجزائري 1802 - 1816، ص 137، مجلة المواقف، العدد الثالث ديسمبر 2008، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط6، 2009 ص 35

المناطق التي باتت خارج النفوذ الفعلي للإيالة، ذلك لأن تحرر القبائل من سلطة المخزن كان يطلق يديها في أعمال النهب والإغارة ضد بعضها البعض وهو ما جعل مثلا مناطق الهضاب من أقصاها الى أقصاها تقريبا تتحول الى مسرح للغزو¹. إذ دخلت قبائل أولاد لكرد وأولاد شريف في نزاع كاد أن يتحول الى اقتتال دائم فطار الخبر إلى الأمير عبد القادر، الذي سارع على عجل لإطفاء نار الفتنة التي كادت أن توجب الصراع بين الإخوة الأشقاء، داخل البيت القبلي لمنطقة تيارت، ولا شك أن المستفيد الأول من كل هذا الاستعمار البغيض، الذي أخذ ينتهج سياسة فرق تسد باستمالة البعض لضرب الأطراف المناوئة له، فكرس جهوده مستخدما كافة الحيل لخلق واقع جديد، يتم من خلاله فرض سياسة الأمر الواقع.

ولاشك أن الصراعات بين القبائل في مناطق متعددة ليست وليدة الساعة بل يعود تاريخها إلى الوجود التركي الذي مارس من قبل هذه السياسة، التي أفرزت واقعا مشحونا بالكراهية والبغضاء، وحن الوقت لتصفية الحسابات مما أعاق توحيد الجهود لمواجهة العدو المتربص بالجميع. وإنه لأمر طبيعي أن يتجدد جو التمرد والمغالبة بين القبائل بعد انهيار السلطة الحاكمة وتلاشي قوتها وتصفية أدوات الردع على يد المحتل وهو ما كان يصعد من أسباب العصيان، إذ أن عدوى الفوضى سريعة الانتقال ولاسيما في وطن ظل يرزخ تحت نير الظلم لمدة تزيد عن ثلاثة قرون². وأمام هذه الأوضاع المأسوية التي آلت إليها الجزائر لم تجد النخب من سبيل لمواجهة الأمر وأصابها الارتباك في كيفية التعامل مع الوضع الجديد واتضح للبعض منهم أنه لا حرية ولا أمن ولا كرامة مع هؤلاء الغزاة الشرهين³.

وفي ظل هذه الأوضاع المرتبكة كان من العسير على البلاد أن تجد تماسكها سريعا وتسترجع إترانها في الحين وأن تبحث عن قيادة جديدة جامعة تأخذ على عاتقها تنظيم

¹ - عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص 65

² - المرجع نفسه، ص 65

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 25.

المقاومة والتصدي للاحتلال، بعد أن سقطت القيادة المركزية، كما سقطت القيادة الإقليمية في الغرب والراجح أن مقاصد إختيار الحاكم الشرعي أنذاك كان لدوافع أمنية ملحة أملتتها المستجبات التي عرفتها البلاد بفعل الاحتلال، ومانتج عنها من غياب للأمن والتعدي وغصب الحقوق ولم يكن فقط بفعل المقاصد الجهادية التحريرية¹.

ففي كتاب تحفة الزائر نستخلص بكل سهولة من خلال محتوى نصوص محاضر البيعة أن الهواجس الاجتماعية والأمنية، قد رمت بكل ثقلها لكي تحتل الصدارة ضمن المخططات الاستعجالية للزعامات ذات النفوذ الواسع وعلى رأسها الأمير، الذي أدرك حينها خطورة الاحتلال وما سترتب عنه من نتائج بالغة الخطورة على مستقبل البلاد والعباد ولذلك كانت تلك المخاوف حاضرة في سائر تلك النصوص تقريبا.

وعن هذا الواقع المحفوف بالمخاطر والذي عبر عنه صاحب تحفة الزائر بالقول: " لما طال على أهل الوطن الأمد وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب والنكد وتسلط على بلادهم العدو ومنعهم القرار والهدو فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد وآونة كان يقع بينهم الفساد والحرب والجلاد وسطا القوي على الضعيف وتطاول اللئيم على الشريف...² ". وهذه صورة قاتمة قدمها صاحب التحفة لما آلت إليه الأمور بعد سقوط الحكم التركي في الجزائر.

وفي ظل هذه الظروف العسيرة من تاريخ الإقليم الغربي، عقد عدد من العلماء والأشراف وذوي الحل والعقد عزمهم على مبايعة أمير تتوفر فيه الشروط الضرورية ليقود الكفاح الشعبي³. وقد وقع اختيارهم على محي الدين وقد "توسلوا إليه برسول الله مدة تزيد عن سنتين فوافقهم على بيعة ولده تطيبا لخواطرهم ورعاية لرفع الظلم عن الضعيف ودفعا

¹ - Correspondances du Capitaine Daumas, Consul à Mascara. (1837-1839). Par George Yver. Collection de document in édit sur: « L'histoire de l'Algérie après 1830. » Publié sous les auspices du gouvernement général de l'Algérie, imprimeur libraire de l'université, place du gouvernement. 1912. P306

² - محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش با96. لإسكندرية، 1903، ص، 96

³ - إسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص39.

للفساد والتعنيف¹، لكنه رفض هذا التشريف وبرر رفضه بكونه بصفته رجل دين لكنه قبل الجهاد².

وجاء في صك السيد علي بن أبي طالب بن مصطفى قوله: " وإني أوصيه بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف عند الحدود الشرعية ورد مسائل الشرع إليه وببشيمه عن ساعد الجد في قطع شأفة شياطين الإنس أهل الإذاية كالمحاربين وقطاع السبيل وأهل الغيلة والسرقه وغيرها من هذا القبيل ليتم بذلك أمره"³. وهي نفس الانشغالات التي طغت على البيعة الثانية، وجاءت لكي تعيد مرة أخرى إلى الأذهان عملية ترسيخ المسألة الأمنية والمحافظة على الاستقرار الاجتماعي، باعتبارهما أولوية تستوجب القيام بها على عجل، ورص الصفوف لمواجهة غطرسة الاستعمار، بتوفير مناخ آمن يسمح بمحاصرة كل أنواع الفوضى والغضب والتعدي، التي تفشت في البلاد بسبب انعدام الرادع والحاكم الشرعي⁴.

فمحاولة الأمير عبد القادر صياغة منظومة حكم ترسخ قيم العدالة والمساواة بين جميع فئات المجتمع، اصطدمت بثقل التقاليد المتجذرة في أوساط الزعامات القبلية الراجبة في الحفاظ على استقلالها والمدافعة عن مصالحها وجاهاها، ولا ترى في عملية التغيير التي باشرها الأمير سوى سياسة قد تنال من مكانتها وإمتهادات التي تراها حقا من حقوقها المتأصلة التي لا يمكن التخلي عنها، فكان أن تحالف بعضها مع القوى الفرنسية وحارب بعضها الأمير ولا يمكن فهمه إلا في إطار تراكمات نسجتها جملة من العوامل وفق محددات وشروط إقتضتها المصلحة ضمن منطق الولاءات.

إن هذا التشطي النابع من سوء التقدير لما قد تؤول إليه الأوضاع السياسية والعسكرية قد إنعكس مع مرور الأيام إلى شبح يطارد الجميع ويقضي على أحلام أولئك الذين كانوا

¹ - محمد بن الامير عبد القادر، المصدر السابق، ص، 98

² - عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص، 55.

³ - محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص، 99

⁴ - سليمان عشراطي، المرجع السابق، 78

ينتظرون رد الجميل من سلطة لا تفرق بين أحد من القبائل، ومن جهة أخرى لقد أدرك زعيم المقاومة، أن موازين القوى متباعدة من جانب وأن البنية التنظيمية للمجتمع الجزائري التي ورثها عن منظومة الحكم التركي لاتسمح له بمواجهة القوات الغازية المدعومة بقوات متعددة الجنسيات¹.

(7) موقف قبائل تيارت من مبايعة الأمير عبد القادر:

يبدو من المفيد أن نميز في هذا المضمار بين جماعات الرعية الممثلة في القبائل التي كانت تشكل المكون التيارتي، وعشائر المخزن التي تضم قبائل الزمالة والدواير والتي ينتمي إليها أحمد ولد قاضي آغا فرندة الذي كان موضع ثقة لدى الفرنسيين وقدم خدمات جليلة لتثبيت الاستعمار.

فالتنظيم الاجتماعي في البلاد الجزائرية يقوم على ترتيب تفاضلي من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية، يقوم على اكتساب الثروة والنفوذ²، وهذا ما سيجعل قبائل الرعية وعشائر المخزن على طرفي نقيض من المصلحة الوطنية، التي كانت تستدعي تشكيل جبهة واحدة لمواجهة غطرسة المحتل، ولن يتأتى ذلك إلا بالوقوف الى جانب بطل المقاومة، الذي حظي بإجماع معظم قبائل المغرب الأوسط.

ولهذا يصبح من الأجدر تحديد موقف كل من الفريقين في مبايعة الأمير عبدالقادر زعيم المقاومة العسكرية، والذي كان يحمل مشروعا سياسيا لم يكن يراد به ملء الفراغ الذي حدث بعد زوال الحكم العثماني فحسب، وإنما جاء لبواعث حتمية أملت المتغيرات الجديدة، وذلك لأن الصدمة المزدوجة المتمثلة في ظهور عدو متحرش من جهة وانهايار السلطان الحامي من جهة ثانية³، قد بعثر الأوراق وصعب من مهمة إحلال بديل يخرج من رحم هذه

¹ - محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي دراسة في الذهنيات والبنيات والآلات، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1،

الجزائر، 2009، ص 175

² - ناصرالدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 108

³ - عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص، 82.

الأمة ويحظى بإجماع وطني الذي تم إحراره بالفعل وبموافقة معظم قبائل الرعية التي كانت تشكل ثقلا بشريا، وعزما على مقارعة الاحتلال.

والسؤال المطروح كيف كانت مواقفهما من مبايعة الأمير عبد القادر؟

7-1- جماعات الرعية:

لقد كشفت مبايعة الأمير عبد القادر عن الشروخ التي تشق المجتمع الجزائري إذ كانت عناصرها من الفئات الاجتماعية المحرومة والفقيرة وأكثرها ينتمي الى البوادي¹، التي كانت تشكل المعقل الحقيقي للمقاومة، أما النخب الاجتماعية والطبقات المسيرة وبعض أعيان المدن فقد وقفوا موقف اللامبالاة، أو الإستسلام بعد تأمينهم على أرواحهم من قبل الفرنسيين لذلك تخاذلت المدن². بالرغم من أنها أفرزت نخبة مثقفة حاولت مقارعة الاستعمار معتمدة الوسائل الدبلوماسية وسيلة لإقناعه بالعدول من مشروعه بعد أن تكشفت لديها نوايا الاستعمار الخبيث.

فقبيلة الأحرار ذائعة الصيت ومعظم قبائل تيارت والطريقة القادرية كانت تجمعهم قساوة المعاملة والظلم والعسف الذي تعرضوا له أثناء حكم بايات وهران بحكم انتمائهم الى غالبية سكان الريف، إلى جانب وقوف أتباع القادرية ودعمهم للطريقة التيجانية التي إنهزمت في معركة عواجة 1820، والتي نتج عنها إنزال عقاب مهين بعائلة الأمير عبد القادر، مما جعل قبائل الرعية تكن لهم العداوة والكراهية ولا ترى في الحاكم التركي سوى مصدرا للطغيان والاستبداد، وجب رفع راية العصيان والتمرد للتخلص من حياة الحرمان والشقاء³، ولا غرابة في ذلك أن تسارع قبائل المنطقة للانضمام الى التكتل الوطني، الذي إنخرطت فيه معظم القبائل لتشكيل جبهة وطنية تحت قيادة الأمير لمواجهة المخاطر التي أصبحت تتزايد من حولهم، حين خيم المحتل الكافر على حدود مضاربهم، واحتل أهم ثغورهم في الجهة الغربية

¹ نورالدين الدقي، تونس من الإيالة الى الجمهورية، 1814-2014، المنشورات الجامعية بمندوبة، ط1، 2016، ص65

² نور الدين الدقي، المرجع السابق، ص، 65

³ ناصرالدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 108

بعد أن أمن قواعده التي احتل بها عاصمة الإيالة¹، ولم تكن المنطقة يفصلها عن وهران سوى 200 كم، وهذا ما زاد من هواجس القبائل، وجعل أمر مبايعة الأمير حتمية لا تقبل التأجيل بل الإسراع والالتزام بالموقف الجماعي الصادر عن معظم القبائل التي لبت نداء الجهاد.

إن تكتل القبائل أذهل قادة الاحتلال، وهم يتابعون تدفق الوفود من كل حذب وصوب على مدينة معسكر، لمبايعة الأمير بن محي الدين لسد الشغور القيادي والسياسي الذي نتج عن زوال الإدارة التركية، مما جعل العدو يفكر في ضرب هذه الوحدة وهذا التماسك الذي سيقف بدون شك أمام حلم وتطلعات دعاة الاستعمار، فراح يبحث عن شراء الذمم واختراق المنظومة الإدارية الأميرية وزرع البلبلة والشكوك في البنية القبلية بغية تجريد الأمير تدريجيا من تدفقات قوته التي تنامت في بداية جهاده². فمشروع الأمير يقوم أساسا على التخلص من المنظومة السياسية التي ترسخت عبر ثلاثة قرون من الحكم التركي، وإحلال محلها نموذج سياسي يتماشى مع روح العصر.

فبالرجوع الى نص وثيقة البيعة، يمكن أن نشير الى قبائل منطقة تيارت التي شاركت في هذا التجمع العظيم ليس لمبايعة الأمير فحسب، وإنما لإعادة بعث الدولة الجزائرية التي كانت حلما يراود الذين عانوا من بطش الأتراك، فجاء من يمثلها عن أولاد شريف، وأولاد الأكرد وصدامة وخلافة³، فكانت مشاركة هؤلاء تعبيرا عن ولائهم وطاعتهم لقائدهم الجديد، الذي تعهد أمام جموع القبائل بمقاومة الاحتلال، وإعادة بناء الدولة الجزائرية على أسس جديدة يسودها العدل، المساواة وإحترام الحقوق وإلزام الجميع بواجباتهم.

ومن الشخصيات التي حظيت بثقة الأمير عبد القادر الحاج عبد القادر بوثلجة وهو من مواليد مدينة معسكر وكان رجلا داهية، وكانت له علاقات ممتازة مع الأمير تزعم قبيلة

¹ - عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص، 82

² - محمد الطيبي، المرجع السابق، ص 178.

³ - محمد بن الامير عبد القادر، المصدر السابق، ص، 103

صدامة، وولاه الأمير قيادة تاكدت¹، وأسند له قيادة الجيش الذي توجه لمحاربة التيجيني بعين ماضي. وسوف نخصص لأحداث عين ماضي مجالا نظرق فيه إلى مشاركة قبائل تيارت في إخضاع التيجيني ومن ناصره.

ومن العائلات صاحبة النفوذ في المنطقة عائلة أولاد الصافي بن أحمد لكونها عائلة دينية ذات تأثير واسع وسط قبائل الأحرار²، فهي لا تتدرج ضمن الزعامات ذات الطابع العسكري والتي ليس لها طموح في تقلد المناصب، بل إمكانتها الدينية هي التي سمحت لها بتبوء أعلى المراتب بين الأحرار، ويعتبر سي صافي بن أحمد زعيما لعائلته متخذا نفوذه الديني كوسيلة للتربع على عرش قبيلة الأحرار وبعد وفاته عام 1830 ورث ابنه الحاج قدور بن صحراوي مرتبته الدينية في عهد الأمير عبد القادر³، وخلال هذه الفترة تقلد سي الحاج قدور صحراوي من طرف الأمير الزعامة الدينية وسط قبيلة الأحرار، وأبدى شجاعة قل نظيرها بين القبائل بمواقفه الداعمة للمقاومة التي تزعمها الأمير عبد القادر. وبعد إخضاع قبيلة الأحرار سنة 1846 من طرف فرنسا تم تنصيبه قايده على قبيلة أولاد سيدي خالد، وكان من بين الزعماء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوي وسط قبيلة الأحرار، ويمتلك ثروة كبيرة⁴.

ومن القادة البارزين الذين اعتمد عليهم الأمير في المناطق التي شكلت تهديدا على مناطق نفوذه وعرضت مستقبل المقاومة إلى الخطر أثناء حصاره لعين ماضي نذكر قدور بن عبد الباقي البصري⁵، وهو من جهة تاقدت والذي توسم فيه الأمير قوة الشخصية والطاعة وكان ذلك سنة 1839، ويبدو أن البصري فشل في ضبط الأمور ولم يتمكن من فرض سياسة الأمير، وذلك بسبب الاحتجاجات التي تزعمها قادة المنطقة والتي انتهت بعزله من منصبه.

¹ - Capitaine Daumas. OP ,cit. P652

² - A. N. O. M. 10H56: « Notices sur les chefs indigènes et les grandes familles »

³ - A. N. O. M. 10H56. Op,Cit

⁴ -P. Clavenard. Op,cit. P 44

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 205

7-2- عشائر المخزن:

وتعرف بالدوائر والزمالة¹، لم تكن لديها رغبة حقيقية في الالتحاق بالمقاومة وظلت تتحين الفرص للوقوف الى جانب المحتل، بحكم أنها تعودت على تقديم الخدمات للحكام كما حدث مع الأتراك، مقابل الاستفادة من بعض الامتيازات، وها هي اليوم ترتمي في أحضان فرنسا لتقوم بنفس الدور لعلها تظفر على بعض المنافع، ومن عشائر المخزن نجد أولاد قاضي التي تعتبر أهم بطن من أسرة البحاثة وسط قبيلة الدواير، والتي ينحدر منها محمد ولد قاضي الذي توفي بعد ثلاثة أشهر خلف ابنه سي أحمد ولد قاضي باش آغا فرندة². وأظهرت هذه القبائل معارضة شديدة، لمبايعة الأمير عبد القادر³، وعندما وقع شبه إجماع حول مبايعة الأمير من جانب القبائل، وانعقدت البيعة له اضطروا مكرهين إلى التظاهر بقبوله كزعيم للمقاومة، وهذا ما عبر عنه الآغا المزاري بقوله: "ولما انعقدت البيعة للأمير عبد القادر كاتب مصطفى بن إسماعيل بمخزنه للاذعان له بالطاعة والدخول تحت حكمه ليكون واحدا من الجماعة، فأبى وابتداء، ولب ثانيا لما الناس بايعته جهارا... وقال مصطفى بن إسماعيل: "امتناعنا ليس فعلا مختارا مع قول أخيه الحاج بلحضري وابن أخيه المزاري، وأخيه لأمه ولد قاضي له، إن امتناعنا يلحقنا منه لوم كثير من الحواضر

¹ - الدوائر والزمالة: عبارة عن خليط من العرب والبربر، وبالتالي هما أقرب الى حزب سياسي الى خلية القبيلة التي تقوم على أساس من العرق والدم. فكانوا يلوذون بالباي محمد حاكم معسكر فاتح وهران ومخلصها من الإسبان، ولما تعرضت البلاد للطاعون في أواخر القرن الثامن عشر، خيم الباي في ظاهر معسكر، وخرج الناس لخروجه فعين من هؤلاء الخدم وأنزلهم في دائرة خيامه، فسموا "الدوائر" كما عين آخرين لحمل أثقاله وأثقال عساكره، فسموا "الزمالة". وينتمي مصطفى ابن اسماعيل وهومن مواليد 1769 من أسرة عربية الى عائلة أصيلة من أولاد بن عفان، وكانوا يملكون الأراضي الخصبة قبل جلاء الإسبان عن مدينة وهران، وفي عهد محمد بن الكبير تحصلوا على بيوتات داخل مدينة وهران. وينظر: محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، ص ص، 138-139.

وينظر:

-Le Colonel Walsin Esterhazy: « Notice historique sur le Maghzen d'Oran. » (1849-1851). P12.

-S. H. D. GR1H212: « L'origine de Mascara à l'occupation française. »

² - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص، 124

³ - Le Colonel Walsin Esterhazy. Op,cit. P20.

والبوادي"¹. فهذا الأخير الذي أبيض شعره في خدمة الأتراك كزعيم للمخزن، فإنه قد عبر عن تقززه من تقبيل يد ولد ما يزال أمرد حسب تعبيره².

وظل هؤلاء الإقطاعيون يحتقرون الأمير وذلك لأنه كان ابن زاوية، ولم يكن مخلولا للحكم، وكانوا يفاخرون لكونهم خدموا بإخلاص أسيادهم الأتراك وسيستمرون في خدمة حلفائهم الجدد³. وترفعهم عن الشعب حيث كان مصطفى بن اسماعيل يعتبر عبد القادر سليل أسرة أدنى مرتبة من أسرته، وكثيرا ما كان يتحدث عن الفترة التي كان فيها هذا الطفل يأتي الى وهران فيتناول الطعام مع الخدم، وكيف وفر له هو وأبوه الحماية من بطش الباي حسن، وهذا ما جعله يعبر بكل آسى فقال: «بما أن الذين كانوا بالأمس عندي خدما أصبحوا اليوم من ذوي الكلمة النافذة، بل صاروا يرفعون أصواتهم أمامي فإني أقسم بالله أن لا تقع عيني على عينك بعد اليوم»⁴.

وبهذه النبرة الحادة يكون مصطفى ابن إسماعيل قد قطع الشك باليقين، ووضع حدا لتبعيته للأمير ولم يبق أمامه سوى البحث عن السبل التي تفتح أمامه الطريق للدخول في اتصالات جدية مع فرنسا، التي رأت في انضمام المخزن إليها يعد مكسبا استراتيجيا سيؤدي الى قلب موازين القوى لصالحهم.

وهكذا أثمرت الاتصالات بين الطرفين على توقيع اتفاقية بوادي الكرمة بتاريخ 3 ربيع الأول 16 جوان 1835 وقعها عن الجانب الفرنسي الجنرال تريزل مع زعيم المخزن مصطفى

¹ - الأغا ابن عودة المزاري، ص، 107. وينظر: الحاج مصطفى ابن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق

وتقديم وتعليق، د، يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009، ص، 337

² - شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص، 89. وينظر:

- S. H. D. GR1H230Bis: « Notice historique sur la région et la ville de Mascara »

³ - عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص، 58

⁴ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، الترجمة من الفرنسية، د، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب،

الجزائر، 1985، ص، 57. وينظر: ناصرالدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 217

بن إسماعيل التي لم تجعل المخزن تحت حماية الفرنسيين¹، بل وفرت دعماً لوجستياً وعسكرياً هاما لقوات الاحتلال التي استندت عليها في إخضاع باقي القبائل وشل مقاومة الأمير عبد القادر، وبالرغم من أن فرنسا كانت تدرك جيداً أنها تمتلك كل وسائل القوة والإغراء، ولكن ما كان لهذه القوة ولهذا الإغراء من تأثير لولا تعاون القوى المحلية لجزائر القرن التاسع عشر²، هذه القوى التي حاولت أن تحافظ على بعض المكاسب الأنية، لتجد نفسها كمجموعة منبوذة بعد أن وظفها الاستعمار لمصالحه ومن بين العائلات الدينية والعسكرية التي اتخذها الاستعمار كأدوات لضرب المقاومة وتمزيقها نذكر عائلة أولاد قاضي التي ينتمي إليها أحمد ولد قاضي باش آغا فرندة³، وهو أحد من هؤلاء الذين تعبوا من أجل أن ترتاح فرنسا، لقد عبر ببالغ الأسى والحزن على ما كان يحز في نفسه معقبا على موقف فرنسا المتناكر للجميل بقوله: "إن هذا ما تشمئز منه النفوس وينكره العقل"⁴.

وظلت القوى الداخلية المؤثرة تعمل بكل إخلاص لإنجاح المشروع الفرنسي وعرقلة المشروع الوطني، الذي تبنته الزعامات الجزائرية وعلى رأسها الأمير عبد القادر الذي تمكن بعبقريته الفريدة من نوعها، من إيقاد شعلة الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، هذه الشعلة التي اعتقد الاستعمار وأعدائه أنهم قد أطفأوها وإلى الأبد، لكنها ظلت متقدة وحية في ضمير كل جزائري حر حتى انكسر القيد فاستجاب القدر وحققت الجزائر استقلالها.

ولكن بعد أن حقق الاستعمار أهدافه، أخذ يستغي عن خدماتهم شيئاً فشيئاً، ويبدو أن الإدارة الاستعمارية وجدت الحل في استقدام الأوربيين الذين ضاقت بهم أرض الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، ليجدوا على أديم الجزائر موطأ قدم يحفظ لهم كرامتهم وتسد إليهم مهمة الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم، وذلك ما يجيب عنه الجنرال لاموريسيار بقوله: «من أجل تحقيق هذا الهدف، لابد من الاستعانة بالمعمرين الأوربيين، وذلك أننا لا نستطيع على أية

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 176

² - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 224

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 327.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 225

حال أننا نثق ثقة تامة في الأهالي... نتمكن ذات يوم من تثبيت أقدامنا في الجزائر هو إسان هذه البلاد بمعمرين مسحيين يتعاطون الزراعة¹.

وفي ذات السياق صرح الجنرال بيجو أمام ممثلي الشعب الفرنسي وقتها قائلاً: "نعم يا سادتي، يجب أن تستعمروا وتستعمروا وحتى وإن بقي بعض من العرب على أراضينا لأنه ليس هناك ما يكفينا من الأراضي لتوطين المعمرين الأوربيين، فلا مكان للعرب، يجب أن تستعمروا، فليس في مقدوركم المحافظة على إفريقيا وعلى الجيش الذي أنجز مهمة الاحتلال وهو يحافظ عليه ما لم تتجوا استعماراً قويا. ولا يمكنكم تكوين جيش هناك ما لم تعمدوا إلى توطين سكان عسكريين وبكثرة، لأنهم هم يضمن توطين الآخرين من المعمرين في وضعيات جدية ومريحة²، " فالضربة العسكرية وما انجر عنها من دمار وخراب تعود الجزائريون على خوضه وتحمله، ومع ذلك ظل يعاني من عقدة النقص في تثبيت وجوده بالرغم من استخدام العنف العسكري لإضفاء الشرعية على نظامه المهتز أصلاً.

8) انهزام الحاج موسى الأغواطي على يد الأمير وقبائل المخزن:

في الوقت الذي كان فيه الأمير يخوض حرباً ضد القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب، بلغه أن شريفاً من الصحراء يدعى الحاج موسى وهو من مواليد مصر دفعته الظروف إلى التوجه نحو طرابلس الغرب، ليجد نفسه في زاوية الشيخ محمد جعفر بن حمزة المدني المصرتي مقدم الطريقة الدرقاوية - الشاذلية، فكلفه شيخه محمد المدني بالتجول في بلاد المغرب الجنوبية³، وحدثه عن شيخ آخر درقاوي في جبال الونشريس هو الشيخ بن عطية الذي لم يكن متحمساً للقائه، فعاد إلى مدينة الأغواط، وكان قد أعتاد ركوب الحمار في تنقلاته مما جعل الناس يطلقون عليه الحاج موسى بوحمار.

¹ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 86

² - Gourdon et Henri: « Roman colonial et idéologie coloniale en Algérie ». R. Al. N° 1. Mars 1974. P60

³ - الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق، د، يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009، ص 298

وفي عام 1834 انتقل الحاج موسى الى البليدة، حيث التقى هناك مع الشيخ محمد بن عيس البركاني، واتفقا هناك على التحضير للجهاد¹، خصوصا في المناطق الجنوبية، وظل على خلاف مع الأمير، الذي ربما لم يجد فيه ما يبعث على الارتياح، في حين حظي بوحمار بثقة السكان على ما يبدو، الذين تعبوا من المطالبة بتدخل ابن محي الدين وبدون جدوى، فدخلوا في طاعته أملا في أن يستتب الأمن في المنطقة²، هذا الحدث هو الذي جعل الأمير عبد القادر يغير موقفه، لما رأى أن السلطات الفرنسية راضية عن احتلال المدينة من طرف الحاج موسى فأصبح الأمر موضع التساؤل من طرف الأمير، وتبين له أن فرنسا لا تفضل وجود الأمير في المدينة، فاتخذ قرارا بالسير نحوها وفي طريقه اعترضت سبيله قبائل صبيح ومنعوه من المرور ببلادهم، فطلب الأمير عبد القادر المشورة والنصيحة من زعماء المخزن الذين كانوا برفقته، وهم الآغا المزابي وقدر بن المخفي وقدر بن الصحراوي³، والذين أشاروا عليه بمهاجمتهم فتمكن منهم الأمير وهزمهم شر هزيمة فأجبرهم على الخضوع والطاعة وغنم منهم الأمان.

وكان من جملة المخزن باش آغا السيد أحمد ولد قاضي على رأس كوكبة من الفرسان يتحرك بناء على أوامر الآغا المزابي⁴، فتقدم جيش الأمير نحو المدينة، ومن جهته خرج الحاج موسى من المدينة بجيش غط بكثرتة السهل الوعر ليعرض عليه القتال فانتشر في وسط جيش الأمير الرعب والجزع ولاسيما بين قبائل الحشم وبني عامر خاصة لما سمعوا بأن الله قد وعده بالنصر⁵ ومدافع الأمير لا تتطلق وأن هذا السيد لا ينفجر فيه البارود⁶ ولا يضره الرصاص المزيد، ولا يجرحه لا هو ولا جيشه الحديد، فقال لهم الأمير: "إن كان هذا

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 135

² - أليكس بيلمار، الأمير عبد القادر حياته السياسية والعسكرية، ترجمة الأستاذ بشير عليه، تقديم وتعليق، محرز أمين،

دار ألف للنشر والتوزيع، 2013، ص 76

³ - الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ص 125

⁴ - الآغا المزابي، المصدر نفسه، ص 125.

⁵ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 76.

⁶ - الآغا المزابي، المصدر السابق، ص 125.

حقاً فالأمر لله الحليم الكريم، فضحك المزاري من قولهم وتيقن من جبنهم، فتقدم قدور بالمخفي للأمير وراح يشجعه على القتال وحثه على أن جيش المخزن الباسل معك سيما البحاثة أولاد اسماعيل¹.

والتقى الفريقان في وادي وامري²، ونشبت المعارك بينهما خلال شهر أفريل 1834 فانهزم جيش الحاج موسى وفر هو تاركاً نساءه وأولاده وسائر ما كان معه من الذخائر³، وقتل من أتباعه حوالي 280 شخصاً في حين فقد الأمير أربعون فارساً⁴، وبهذا النصر تحت المدينة أبوابها للأمير، الذي اكتفى بتعيين عاملاً عليها أخاه مصطفى بن محي الدين، خليفة له وعين معه محمد بن عيسى البركاني⁵، أما الحاج موسى ففر بجلده إلى الأغواط، واستمر في تأليب الأعراس على محاربة العدو الفرنسي بقي على هذه الحال إلى أن اندلعت ثورة الشيخ أحمد بوزيان بواحة الزعاطشة عام 1849، فالتحق الحاج موسى به وجاهد ضمن صفوفه حتى سقط شهيداً إلى جانبه بعد أن قضى ما يقرب من عشرين سنة في الجهاد والمقاومة المسلحة⁶.

9) الأمير عبد القادر من معسكر وتلمسان إلى تاقدمت:

كانت سنة 1836م منعطفاً تاريخياً في عمر المقاومة العسكرية، والتي فقد فيها الأمير مدينتي معسكر وتلمسان على التوالي، حيث كانتا تشكلان مركز ثقل لقوته التي كانت تستمد قوتها من القبائل التي كانت على صلة وثيقة بالأمير، والتي دأبت على تقديم كل ما هو ضروري لتغطية نفقَاب الحرب، ها هي الآن تتراجع، وتحرك خصومه بعد أن

¹ - المصدر نفسه، ص، 126.

² - المصدر نفسه، ص 126. وينظر: تحفة الزائر، الصدر السابق، ص 145.

³ - تحفة الزائر، المصدر السابق، ص 146.

⁴ - الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح ألبون أخرج

أحاديث الطبعة، عبد المجيد ببيم، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، ط7، 2010، ص 152

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 136. وينظر: اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 71

⁶ - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 302 - 303

أدركوا أن ميزان القوة لم يعد في صالح الأمير، وأن خسارة المقاومة في الغرب قد أدت الى ضعفة سلطته، فجاهروا بالتعاون مع العدو، وانحلت عرى التحالفات القديمة¹.

وهكذا بدت سنة 1836م يلفها الغموض، وبات مصير المقاومة محل تساؤل لدى كثير من النفوس الضعيفة، ومن هنا أدرك قائد المقاومة حجم المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها مستقبل المقاومة، بعد وقوع المدن السابقة في قبضة العدو وأعدائه، فعمل على إقامة مراكز للمقاومة فأسند مهمة إصلاح حصن تيزي وزو والبويرة لباي سيباو، في حين قام البركاني بإعادة بناء حصن البرواغية، وإهتم سيدي مبارك بتشييد قلعة تازة².

ويبدو أن الأمير قد وضع الحسابات الدقيقة لمواجهة الظروف الإستثنائية بإيجاد البديل المناسب بإقامة عاصمة جديدة في تاقدمت تكون في منأى عن المحتل وخدامه وأدرك في وقتها الخطر الذي سيتعرض له إذا وضع مؤنه في مدن قريبة من المراكز الفرنسية³. التي تم دعمها بقوات إضافية تتكون من جيش الإحلال وعناصر أهلية.

فما هي دوافع اختياره لتاقدمت ؟

9-1- تاقدمت عاصمة الأمير الجديدة.

إن اختيار الأمير لأماكن إقامة الحصون لم يكن اعتباطاً، وإنما جاءت بناء على نظرة ثاقبة وعلى دراية الأمير بخصوصيات المناطق وتوزيعها الجغرافي من الناحية الاستراتيجية والعسكرية منها على وجه الخصوص، فهي تقع ضمن منطقة وعرة المسالك ومحصنة طبيعياً لا يمكن لجيش الاحتلال الوصول إليها بسرعة مع إنعدام الطرق بها⁴. فالأمير يبدو أنه مطلع على تاريخ الجزائر القديم، أو يوجد من أشار عليه من مقربيه على ذلك كون أن تلك الحصون المشيدة من الشرق الى الغرب وعلى رأسها تاقدمت، التي جاءت

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 180.

² - A. N. O. M. 1H75: « Historique de Tagdempt. »

³ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 112

⁴ - حسيني عائشة، «تاقدمت عاصمة الأمير، مجلة الخلدونية»، عدد خاص أكتوبر 2009م جامعة ابن خلدون تيارت

متاخمة لليمس الروماني المعروف بالخط الدفاعي الثاني الذي تم إنجازه في بداية القرن الثالث الميلادي.

يمكن لها أن تمثل حلقة متينة في الحزام الدفاعي الذي أقامه الأمير، وإذا تفحصنا الخرائط القديمة نجد أن تاقدمت تقع بالقرب من شبكة الطرق التي أنشأها الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس 193_211م خاصة الطريق الممتد من بوغار الى تيارت¹.

ومن ثم شرع في تنفيذ خطته القاضية بإنشاء قواعد آمنة في المناطق الداخلية تكون بعيدا عن الفرنسيين، وتشديد قبضته على القبائل الممتنعة عن دفع المعونات التي تحتاجها المقاومة، ولقد أبلغ الأمير القنصل دوماس بخطته الرامية الى بناء تاقدمت فقال له: "لقد أقمت على حدود التل عددا من الحصون كلفتني أموالا طائلة بينما كنت أواجه صعوبات جمة كان الهدف من إقامتها إشعار قبائل الصحراء المضطربة بالسلطة والابتعاد عن هجماتكم. ولكنكم قد حطمت هذه الحصون فيما بعد..."². لقد شيد مجموعة من الحصون وهي تقع من الغرب الى الشرق سبدو لحماية تلمسان، تاقدمت للدفاع عن معسكر، تازة للتحكم في الجزائر العاصمة، وبوغار على الحد بين التل والصحراء وبسكرة في جنوب قسنطينة، غير أنه ركز أكبر قدر من جهوده على تاقدمت³. كما أن خطة الأمير كانت تستدعي ترك المدن القريبة من الساحل، مع حتمية التحرك نحو الداخل متى استؤنفت الحرب مع المحتل لأنه سيكون من المستحيل عليهم الوصول إلى الصحراء بسبب صعوبة التنقل الذي يتقل كاهل جيشهم ويعرقل تقدمهم⁴.

إن موقع تاقدمت سيؤهلها لتكون مدينة كبيرة بمثابة سوق تتوسط التل والصحراء وقد وصفها غارسن (Garcin) "كحصن" يبدو أنه يوفر للأمير المكان الآمن المفضل على كل

¹- Courtois Christian: « Les vandales et L'Afrique. Paris. » 1959. P79

²- هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 179

³- عبد القادر بوطالب، الوجع السابق، ص 90

⁴- هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 180

المدن التي بحوزته¹ وستكون مركزا تجاريا هاما في المنطقة وشوكة في عين قبائل الصحراء المستقلة²، وسيأتون الى تاقدت مضطرين للحصول على حاجياتهم من القمح والشعير، فلا مفر لهم من تقديم عروض الولاء والطاعة للأمير الذي سيجعل منها عاصمة المقاومة الوطنية، التي ستطلق منها هجومات الجهاد ومراقبة القبائل الصحراوية. كما لم يفت الأمير أنه كان بإمكانه مفاجأة القبائل العاصية، وأخذ ماشيتهم منهم فكانت هذه العقوبات الرادعة التي طالت بعض القبائل عبرة للأخرين حيث سارعت القبائل الصحراوية الى تقديم الخضوع³، فإحتلت تاقدت أهمية كبرى من بين المواقع العسكرية الجنوبية التي شيدها الأمير، ولقد أشاد محمد بن الأمير بهذه الحصون فقال: " حصن تاقدت أعظم الحصون المذكورة وأقواها وأحسنها موقعا وأوقفها لوصل تجارة الصحراء بتجارة السودان"⁴.

أما في ما يتعلق بعلاقة الأمير بأهل تيارت لقد سبق وأن أشرنا أن معظم القبائل بايعت الأمي ووقفت إلى جانبه، وسبق له أن زار المنطقة قبل أن يعقد الصلح مع ديميشل، وكان على دراية كاملة بما يحدث في المنطقة، ونزل ضيفا على أهل المنطقة وهذا ما ذكره في مذكراته حيث قال: ... «جمعنا وسرنا ننتظر الطوائف الشلفية، ونرى ما هم عليه، فجعلنا العيد بأولاد الشريف بجبل قزول وعلى رسلنا الى أولاد لكرد وأولاد عمار وبسام والكرايش ومن والأهم وقفنا بسلام وعافية ونصر قاصدين وهران للكلام مع ديميشل...»⁵

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبداية الإستعمار 1827-1871م، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، دار الأمة للنشر والتوزيع، مجلد 1، ط 2013، ص ص 319-320

² - هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 180. وينظر: مذكرات الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ها مش، ص 87

³ - المصدر نفسه، ص 180.

⁴ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 204

⁵ - مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 146

9-2- إعادة بناء مدينة تاقدمت:

شرح الأمير في بناء تاقدمت في شهر ماي سنة 1836م¹، وهو الذي وضع اللبنة الأولى لهذه القلعة التاريخية، وهو بنفسه الذي كان يضع تصاميم هذه التحصينات، ولقد شجع القبائل القريبة من محيط المدينة ومنها قبيلة بني مدين، فليتة، عكرمة الشراقة وقبيلة صدامة²، على المساهمة في البناء مقابل إعفائهم عن جزء من الضريبة.

ويتضح من ذلك أن القبائل المحيطة بالمدينة هي قبائل منطقة تيارت التي سارعت الى تقديم المساعدات اللازمة التي يحتاجها الأمير، ثم التي يليها من قبائل معسكر الذين أرسلوا السلال والمعاول وأرسلت المدينة ومليانة الأجبان والفاكهة المتنوعة إضافة الى الخبز الأبيض الجيد ووجبات اللحم أحيانا هي أطعمة وأجور العمال³.

وكان يطمح في أن يجعل من تاقدمت مدينة عظيمة كشف عنها في حديثه أجراه مع سجين فرنسي، يدعى نابليون ماري دي فرانس الذي دونه هو الآخر في كتابه (سجناء عبد القادر) طبعة 1837م المترجمة الى الإنجليزية من طرف ليدي ديف قوردون في 1845م والتي نقلها تشرشل: "مازال عندي الأمل في أن أعيد تاقدمت الى مجدها القديم هنا سأجمع القبائل، فنحن هنا في مأمن من هجومات الفرنسيين، ومن هذه الصخرة المرتفعة سأنقض كما ينقض الصقر من على عشه فوق المسحيين فأطردهم من الجزائر، ومن عنابة ووهران⁴، وبعد الإنتهاء من أشغال البناء إنتقل الأمير مع عائلته وحاشيته إليها، وبدأ السكان يتوافدون إليها، عائلات عربية ومورية وكراغلة جاؤوا من معسكر ومزرغان ومستغانم وإستوطنوا بها⁵، أما عن عدد سكانها فلا توجد أرقاما يعتد بها عدا ما ذكره الكلونيل سكوت،

¹ - تشارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 182

² - A. N. O. M. 1H75: « Historique de Tagdempt. »

³ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر، 1830-1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات A. N. E. P، 2008، ص 89

⁴ - تشارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص، 183. وينظر: عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص 90

⁵ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 89

والذي قال أن تعدادهم لا يتجاوز 5000 نسمة بينهم 200 - 300 من الإسرائيليين¹، ممن أبعدهم الأمير عن تلمسان ومعسكر لما كانوا يقومون به من أعمال مشبوهة واتصالهم بالفرنسيين. أما شارل أندري جوليان فذكر حسب ما أورده غارسن (Garcin) أن عدد سكانها بلغ حوالي 2000 نسمة².

(10) قبائل تيارت تسند هجوم الأمير عبد القادر في عين ماضي:

بعد أن أبرم الأمير عبد القادر معاهدة تافنة مع الجنرال بيجو 1837م، شرع في مد نفوذه إلى الجهات الجنوبية الشرقية، حيث أن البعض في الجنوب التيطري لم يرض بما جاء في المعاهدة التي أبرمت بينه وبين الفرنسيين، ورفضوا دفع ما عليهم من ضرائب، وحاولوا تشكيل تحالف قبلي بزعامة ابن عودة المختاري الذي وافق على ترأسه³، مما سبب حرجا كبيرا للأمير، فجند الأمير قوات كبيرة لمواجهة الموقف، وقبل استعمال القوة راسل العصاة عن طريق الكتابة ودعاهم من خلالها إلى العدول عن مواقفهم، والاستجابة لمطالبه المتمثلة في دفع الضرائب والاعتراف به كسلطان شرعي وأنه سيثملهم بعفوه أن هم عادوا إليه، وقد أنهى رسالته بما يلي: " لاتضعوا ثقتهم في عدد مقاتليكم، إن ما آتيكم به الضعف، وسأنتصر عليكم لأن الله معي، وإنني لا أقوم إلا بطاعته، لا تتصوروا أنه بإمكانكم أن تفلتوا مني، أقسم على ذلك، إنكم لستم بالنسبة لي أكثر من كوب ماء في يد رجل ظمآن"⁴.

ولم يتلق الأمير جوابا على رسالته التي بعثها إليهم، وبعد أن استنفذ الأمير الحلول السلمية هاجم خصومه واستمرت المعركة ثلاثة أيام، كانت كافية لإجبارهم على الخضوع والاستسلام فعفا عن محمد بن عودة المختاري، وعينه آغا على قبائل الجهة، وكتب له عهدا بذلك⁵.

¹ - الكلونيل سكوت، المصدر السابق، ص 88.

² - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 320.

³ - المرجع نفسه، ص 258.

⁴ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 141.

⁵ - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 331.

ثم واصل الأمير جهوده في بسط نفوذه على عين ماضي في وقت مبكر وذلك منذ 1836م، ويبدو أن هناك صعوبات جمة وقفت أمام الأمير في تنفيذ مشروعه القاضي بضم منطقة الأغواط ذات التوجه السياسي، وعين ماضي ذات النفوذ الروحي، والمعروف أن الأغواط كانت بها عائلتين ذات تأثير قوي على سكان المنطقة منها عائلة أحمد بن سالم ذات النفوذ السياسي، وعائلة ابن الحاج عيسى ذات التأثير الروحي.

وبما أن الأمير من أشرف المرابطين فقد فضل تقليد الحاج العربي بن الحاج عيسى حفيد المرابطين لقب خليفة الأغواط¹، الذي كان له نفوذا قويا على قبائل الصحراء، التي لبث نداء الجهاد الوطني تحت راية الأمير، ولكن الأمر الذي ربما خفي عن الأمير، هو أن هناك تنافسا حادا بين الرجلين الحاج عيسى ومحمد الصغير التيجاني على الزعامة في المنطقة فالحاج عيسى لم يترك الوقت يمر وتوجه إلى المدينة، حيث أطلع الأمير هناك بأن التيجاني يمكن أن يشكل خطرا على العروش الصحراوية المشاغبة²، فاتصل الأمير بشيخ التيجانية³ الذي أبى الخضوع والإجابة على رسائل الأمير عبد القادر⁴، والراجح أن توتر العلاقة بين الطرفين تعود الى الأحداث التي عرفتتها منطقة غريس، التي جعلت أتباع التيجانية يقفون موقفا عدائيا من قبيلة هاشم لأنها لم تقدم الدعم اللازم للشيخ محمد التيجاني الذي تعرض لمهاجمة قوات الباي حسن بن موسى، مما تسبب في قتله وهلاك أتباعه في معركة عواجة 1827م.

ومما أثار نقمة الأمير، هو حصوله على معلومات وردت إليه من مساعده الحاج العربي بن عيسى الأغواطى شيخ قبيلة الشراقة، تفيد بأن التيجاني أصبح يشكل خصما

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 203.

² - ألبكس بيلمار، المصدر السابق، ص 154.

³ - التيجانية: طريقة دينية أسسها سيدي أحمد التيجاني ما بين سنة 1737م و1815م، ومركزها عين ماضي. انتشرت تعاليمها في كل من المغرب وإفريقيا السوداء، والحجاز، وتركيا، وكانت حليفة لفرنسا حتى أن حفيد الشيخ سيدي أحمد تزوج من الفرنسية اميليا بيكارسنة 1872م، ولها مركز ثان في تماسين قرب مدينة توقرت. ينظر: يوسف مناصرية، "ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر"، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، السنة 5، العدد 9/8، ربيع الأول 1404، ديسمبر 1983

⁴ - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 331

ومنافسا كبيرا للأمير في أوساط العروش الصحراوية المشاغبة، لكن العارفين بشؤون عين ماضي وقصورها، يدركون جيدا أن صاحب القصر لا تتجاوز سلطته جدران المبنى الذي يقطن فيه ولما شعر التيجاني بأن الأمير قادم إلى قصور عين ماضي اعتصم بها هو وأتباعه الذين يبلغ عددهم حوالي ستمائة رجل، وجأهروا بالعداء، وصمموا على المقاومة واتصل بالفرنسيين وعرض عليهم التعاون لوقف تقدم الأمير نحو الجنوب¹، ولما تيقن الأمير من ردودهم السلبية، قرر مواجهتهم بسرعة قبل أن يستفحل أمرهم، ويقتدي بهما لغير². فجهز الأمير 2000 من المشاة و150 فارس نظامي بقيادة قائد صدمة الذي كان على رأس جيش يتكون من القبائل المجاورة لتقدمت³، إضافة إلى 1500 جمل محملة بالذخيرة والدقيق والشعير والماء، ومن القبائل التي انضمت إلى جيش الأمير نذكر منها⁴.

- | | | |
|-------------------|----------------|-------------------|
| (1) أولاد بوزيري. | (2) الأحرار. | (3) أولاد الخليف. |
| (4) أولاد الشريف | (5) أولاد لكرد | (6) الحوارث |
| (7) بني الأنصار | (8) بني مدين | (9) بني ونجل |
| (10) خلافة | (11) الكرايش | |

قبل توجه الأمير إلى عين ماضي، بلغه أن عناصر من الكرايش حاولت قتل قائدهم فذهب إليهم وعاقب المعتدين، واستولى على 500 رأس من البقر 1100 من الغنم 120 رأس من الإبل⁵. ثم عاد وواصل سيره نحو عين ماضي التي وصلها بتاريخ 24 جوان 1838م وأول عمل فكر فيه الأمير عند وصوله أمام عين ماضي هو قطع المياه عن السكان، لكن القصر كان يتوفر على بئر ظلت تزود المحاصرين بالمياه طيلة مدة الحصار،

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 203.

² - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 331.

³ - Capitaine Daumas, Consul à Mascara (1837-1839). Op,cit. 1912. PP 209,218

⁴ -Ibid. PP 219,221

⁵ -Ibid. P 224

ثم لم يبق أمام الأمير سوى الاقتراب بنزع حدائق النخيل التي كانت تحيط بالساحة¹، ولم يتوصل إلى ذلك إلا مقابل خسائر معتبرة تمثلت في فقدان إثنين من العناصر المؤثرة ينتميان لقبيلة الأحرار، وعدد من الضباط والفرسان، في حين لم يفقد التيجيني سوى واحد من أتباعه، وبعد المعركة، بعث الأمير إلى التيجيني سبحة كعربون على حسن نيته لتفادي الاقتتال، لكن التيجيني رفض اقتراح الأمير وذكره بأنه شريف وسيظل مقيما في بلاده، وعلى الأمير أن يعود من حيث أتى².

ولما طال أمد الحصار اضطرت بعض القبائل منها أولاد سيدي الناصر، والزناركة، وأولاد يعقوب، وبني لغواط إلى التخلي عن الأمير من أجل التزود بالشعير والقمح، ولم يبق إلى جانب الأمير سوى قبائل الأحرار³.

وفي الوقت الذي استنفذ فيه الأمير ما عنده من سلاح وذخيرة أثمرت رحلة الحاج الطاهر⁴ إلى فاس في الحصول على 12 عشر بغلا محملة بالبارود وأخشاب موجهة لصناعة البنادق في معسكر وتقدمت، كما حصل الأمير من المولى عبد الرحمن على أربعة مدافع وصلت إلى تلمسان، ثم إلى تاقدمت، الآن هي في طريقها إلى عين ماضي، إلى جانب قافلة كبيرة من الذخيرة والألبسة والأحذية⁵، كما تلقى الأمير دعما من الفرنسيين يتمثل في ثلاثة مدافع⁶ مما جعل كفة الحرب تميل إليه. في حين قدم قدور بن صحراوي زعيم قبيلة الأحرار ما قيمته 200 ألف بوجو. فكان لهذا الدعم السخي أثاره الإيجابية لصالح الأمير الذي استغل هذه المستجدات في ممارسة مزيد من الضغوط على التيجاني الذي أبدى

¹ - أليكس بلمار، المصدر السابق، ص 154.

² - Capitaine Daumas. Op.cit. P251

³ - Ibid. P 330

⁴ - الحاج الطاهر، هو شقيق الحاج البوخاري قائد معسكر، رجل يحسن التصرف في المسائل المالية، كلفه الأمير بعمليات التجارة، سافر إلى المغرب وجبل طارق، لعقد صفقات تتمثل في شراء الأسلحة ومستلزمات الحرب.

ينظر: النقيب دوماس، المصدر السابق، ص 647.

⁵ - Ibid. P 291.

- الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 131

⁶ - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 131.

استعداده للدخول في مفاوضات من أجل إخلاء الحصن. وتم الاتفاق على رفع الحصار عن مركز عين ماضي في اليوم الثاني من شهر ديسمبر 1838م ليدخلها الأمير عبد القادر مع جيشه في 12 جانفي 1839م¹.

وخلال حصار الأمير عبد القادر لعين ماضي، كان ليون روش²، يتجسس على الأمير وعلى اتصال بقنصل فرنسا دumas في معسكر حيث أبلغه قائلاً: "إن الأمير في حاجة إلى السلم تمكنه من جمع الضرائب لتعويض خسائر حملته على عين ماضي، وأن يتمكن الناس من جمع حصادهم، وتعطي مصانع الأسلحة ثمارها... فإن السلم بالنسبة للأمير ضروري يجب المحافظة عليه ما استطاع"³.

ولم يتأخر زعيم المخزن المزابي المتعاون مع الفرنسيين الاستعلام عن الأمير وقواته ووجه رسالة إلى الجنرال كلوزيل (27 نوفمبر 1838م): " نخبرك على الحاج عبد القادر مازال في عين ماضي، مدور بالبلاد... وأهل عين ماضي لا ينقصهم شيئاً... ونحو أربعة مائة من عسكر الأرباع عند التيجاني يحاربون معه، وأما الأعراش الذين كانوا مع الحاج عبد القادر كلهم افترقوا عليه، وما بقي إلا شيخ أولاد خليف، وشيخ أولاد شعيب، وزوج متاع لحرار، وشيوخ أولاد الشريف، باقين مع الحاج عبد القادر بخيولهم فقط ولم يكن معهم الجيش وهذا الخبر صحيح والسلام"⁴. وهذا يدل على أن عيون الغدر كانت تراقب الأمير وتمتد قادة الاحتلال بالمعلومات، مما يجعل مهمة الأمير صعبة للغاية.

¹ - ناصرالدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 222

² - ليون روش: ليون روش شخصية مغامرة، يتمتع بنكاء حاد وجرأة في نشاطه المستمر. ساعدته معرفته العميقة للغة العربية على فهم ذهنيات وعادات المسلمين، أن يكون أحد الرجال اللامعين في هيئة المترجمين العسكريين الذين أدوا خدمات جليلة للجيش الإفريقي.

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل (Grenoble) بفرنسا في 27 سبتمبر 1809م (1224هـ) من أبوين فرنسيين، توفي < في نفس المدينة في 26 جوان 1901م (1319هـ). بدأ دراسته في ثانوية غرونوبل واتمها في ثانوية تورنون (Tournon) التي نال منها شهادة البكالوريا سنة 1828م (1244هـ)، ودخل معهد الحقوق في غرونوبل لمة ستة أشهر، ثم انقطع عن الدراسة وينظر: يوسف مناصرية، المرجع نفسه، ص 5

³ - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 17

⁴ - الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 333

11) جيش الاحتلال يسيطر على مناطق نفوذ الأمير في تيارت:

بعد مرور إحدى عشرة سنة من القمع والبطش والإبادة الجماعية، لإخضاع المقاومة التي استعصت على قادة الاحتلال، لجأ دعاة الاستعمار والتمسك بالجزائر الى إعلان الحرب على عبد القادر والتوغل في كل البلاد واحتلالها احتلالا تاما، وبطريقة تسمح لفرنسا بالاحتفاظ بمواقعها في شمال إفريقيا. وظهر جليا أن الماريشال فالي¹، لم يكن مؤهلا لتنفيذ سياسة فرنسا في الجزائر في ذلك الوقت، ويعتبر هذا القرار في غاية الأهمية، حيث أن بيجو²، كان قد صرح سنة 1840م لما كان نائبا في المجلس الوطني بأن سياسة

¹ - الجنرال فالي: ولد في 17 ديسمبر 1773م بقصر بريان (Brienne –le-Château) التحق بسلاح المدفعية برتبة ملازم في سبتمبر 1792م، تولى منصب الحاكم العام للجزائر الى غاية 29 ديسمبر 1840، بفضل حماية الملك الفعالة له وبدأ مساره المهني كأسلافه في ظل الإمبراطورية، وعين جنرالاً في سن 36 سنة، وبرز نجمه خلال الحرب الإسبانية إلتحق بدوق نمور (Duc de Nemours) خلال الحملة على قسنطينة، ووضع خلالها تحت أوامر دامريمون (Damrémont)، وكان فالي (Valée) مستعدا للتعامل مع أحمد باي، عن طريق إعادة البابليك له، وكذا عاصمته وأسلحته، شريطة دفع جزية مبلغها 100000 فرنك في السنة، ومن إنجازاته العسكرية إستلائه على سكيكدة يوم 8 أكتوبر 1838م ثم إحتمل جيجل في شهر ماي 1839م وتم تثبيت قادة عرب مولين لفرنسا على المناطق المحتلة في الشرق الجزائري، توفي في باريس 1846. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 247، 254، 255. و

Nacisse Faucon. Op.cit. PP 617-618

² - بوجو: ولد بيجو (Bugeaud) في ليموج (Limoges) عام 1784م، ينتمي لعائلة ميسورة الحال من نبلاء الريف تمتهن ببراعة حرفة الحدادة، ولقد عاش حياة مزارع بسيط أكثر منها حياة ابن نبيل. ،. تربي تربية الريفي ذو العزيمة القوية، التي تكسوها الكثير من القسوة وخاصة وأنه تربي يتيما، وكان من طموحاته الإلتحاق بالجيش من أجل تحقيق غاياته ووالوصول الى أعلى المراتب، لذلك التحق بالجيش وهو في سن العشرين من عمره في جوان 1804م، ولقد خاض وهو في رتبة جندي عمليات حربية عام 1805م، وكانت الدروس التي استخلصها من الحرب التي خاضها في اسبانيا هي التي استغلها أحسن استغلال، في حملاته العسكرية في إفريقيا، وكان لا يتقبل على الإطلاق أن تنتقد أعمال النهب والاعتصاب أو ما يرتكبه جنده من أعمال وحشية. فقد واجه المقاومة الجزائرية تحت راية الأمير عبد القادر في معركة السكاك في 06 جويلية 1836م فوجد في الجزائر الفرصة لتحقيق غاياته والوصول الى رتبة جنرال، وكان يتقن في ارتكاب المجازر، فاوض الأمير عبد القادر على إتفاقية تافنة في 30 ماي 1837م، ثم عين حاكما عاما في 22 فيفري 1841م، اشتهر بسياسته التوسعية بإحراق القرى والمزارع، والاستيلاء على أراضي السكان بدون تعويض، ، وأنه شئنا أم ابينا لا بد أن نغادرها مهما طال الزمن أم قصر .

ينظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 284، 290، 291، 296.

- Nacisse Faucon. Op.cit. PP 140-142

الاحتلال الجزئي لا فائدة منها¹، وأن فرنسا يجب أن تلجأ إلى الاحتلال التام، باستخدام كافة الوسائل المتاحة، وبهذا يكون بوجو قد قبر معاهدة تافنة مفضلاً لتبني سياسة جديدة تتمثل في إتباع أسلوبين لمواجهة مقاومة الأمير عبد القادر وهما:

1- استخدام الوسائل السياسية بإقامة تحالف مع قادة الأهالي واستمالة الزعامات القبلية من خلال منحها امتيازات كبيرة، مثلما فعل فالي (Valée) مع خلفاء الباي أحمد² وأدرك الجنرال حينها أن قوة الأمير تكمن في التحام القبائل مع المقاومة، مما يجعل مهمة مد الاحتلال إلى الداخل أمر في غاية الصعوبة، فكان يرى عملية تفكيك هذا التلاحم تستدعي البحث عن وسائل جديدة، ومنها تقديم إغراءات مادية وحوافز معنوية لتشتيت قوة القبائل المتلاحمة، وزرع الخلافات الداخلية فيها فلكي تضرب هذه النقاط الحساسة من كيانها السياسي لأبد من زعزعة بنيانها، وبالتالي يتم إفشال العمل العسكري بفرض عامل التحالف ويتحول جزء من المحاربين إلى حلفاء للاحتلال، يمكن استعمالهم مستقبلاً في شل حركة المقاومة الشعبية.

2- استخدام العنف وفرقه الجهنمية ستجوب البلاد لتدمر وتحرق المحاصيل وفق خطة مدروسة وتشتت قطعان المواشي، وتمنع العرب من الزراعة وتقطع الأشجار وتتلغ محاصيلهم وتعزل الناس وتجوعهم³، وتقوم بتدمير البيوت وتسويتها بالأرض لخلق جو من الرعب والهلع، مادامت تؤيد أو تتعاطف مع المقاومة وزعيمها ومن الأهداف التي وضعها بيجو ضمن استراتيجيته هي ضرب معقل الأمير التي شيدها من حصون وقلاع⁴، والتي كانت تحيط بها مجموعة من القبائل التي احتضنت المقاومة مثل أولاد

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر الجزائر، ط6، ص 44

² شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 223

³ برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشال الخوري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر، ط2، 2001، ص209

⁴ الحصون التي أقامها الأمير: سبدو38 كلم جنوب غرب تلمسان، سعيده74 كلم جنوب شرق معسكر، تازة65 كلم جنوب شرق مليانة، بوغار82 جنوب المدية، بسكرة جنوب قسنطينة، تاقدمت جنوب شرق وهران. ينظر: أديب حرب

خليف الأحرار وخلافة وبني مدين وأولاد مسعود التي تقدم له كل ما يحتاجه من مؤن ودعم مادي ولإنجاح هذه الاستراتيجية جندت الحكومة الفرنسية كافة الوسائل والمعدات، ووضعت تحت تصرف بيجو 85000 رجلاً¹.

وقد قدروا أن هذه القوة الضخمة كفيلة بالإسراع لا بهزيمة الأمير فقط ولكن بمطاردته خارج الميدان. كما استغنى بيجو عن المعدات الثقيلة التي تعيق تحرك الجيش²، مستفيداً ربما من خطة الأمير التي تعتمد على حرب العصابات وتوزيع الجيش في مجموعات صغيرة، والتخلص من إدارة التموين وهذا ما توصل إليه لاموريسيار حين قال: "إن العرب لا يحملون تموينهم معهم، فلم نحن؟ ولذلك فانه منذئذ أصبح يبقى في الميدان شهر"³.

11-1- إحراق مدينة تاقدمت:

ومن بين أبرز الأهداف التي خطط بيجو لضربها تأتي الحصون في مقدمة استراتيجيته، ولهذا لم تكن من الأهمية التي كانت عليها تاقدمت (Tagdempt) الموجودة على بعد 12 كلم إلى الغرب من تيارت. فافتتح عملياته العسكرية سنة 1841 بمحاولة إعادة تموين مدينتي المدية ومليانة، وكلف الجنرال براقي دوهيلي (Baragney d'Hilliers) بالهجوم على بوغار وتازة⁴ وقرر الجنرال بيجو الذي خلف المارشال فالي سنة 1840 كحاكم عام للجزائر لقيادة الحملة العسكرية بنفسه، فوصل يوم 15 ماي 1841 إلى مستغانم أين كانت تتمركز القوات الفرنسية، وفي نفس اليوم وصل الجنرال لاموريسيار مع قواته التي كانت

التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، دار الرائد للكتاب، ج2، ط3، 2007، ص ص230، 232.

¹- شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 248. ينظر: أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 194

²- نفسه، ص 248.

³- نفسه، ص 249

⁴- تازة: يقع حصن تازة على مسافة 12 فرسخاً في الجنوب الشرقي من مليانة، عند منتصف الطريق من قصر بوغار إلى ثنية الأحد، وقد أنشأ فيها الأمير عبد القادر فيها تحصينات تشتمل على قلعة كما بنى فيها طاحونة يحركها الماء وعدد من المنازل، وكان الخليفة بن علال، هو الذي كلف بالإشراف على عمليات البناء والتشييد في تازة، وقد احتل الجيش الفرنسي هذا الحصن وخرب قلعته في 25 ماي 1841م.

ينظر: الكلونيل سكوت، المصدر السابق، هامش، ص102

مرابطة في وهران وهي تتكون من 12 فيلق يضم حوالي كل واحد منهم 600 عنصر وكتيبة من قناصة إفريقيا وفرقة من صباحية وهران التي تتألف من 500 عنصر عربي¹. وهي بذلك تشكل فرقتين عسكريتين الأولى بقيادة الدوق نمور (Duc de Nemours) والثانية يقودها الجنرال لاموريسيار. ثم توجه الى إقليم وهران ليقود حملة عسكرية في الغرب. وبعد إتمام الاستعدادات، وقبل انطلاق الحملة العسكرية كان الجنرال مترددا بين الذهاب إلى تاقدمت أو إلى معسكر وفي النهاية حسم موقفه بالذهاب إلى تاقدمت وذلك بتاريخ 18 ماي 1841م، حيث تمكن من عبور المناطق الوعرة بنجاح ويعود الفضل في ذلك الى الاعتماد على دقة الخرائط الطبوغرافية، ووصلها في 25 ماي 1841²، وقام بتدمير الحصن والبنائات التي تضررت من النيران، ولما عاد طلب الاستشارة من مصطفى بن إسماعيل حول مسألة الذهاب إلى تاقدمت أولا أو معسكر فأشار عليه بما يلي: "... أثناء تمرد بن شريف الدرقاوي على قيادة الباليك بزعامة مصطفى العجمي انعقد اجتماع لهذا الغرض ضم أعيان أتراك وعرب لمناقشة ما يجب فعله الذهاب إلى معسكر أو محاربة القبائل فوق إجماع على الذهاب إلى معسكر"³.

وبتاريخ 26 ماي عادت القافلة إلى مدينة معسكر مرورا بمشعر الصفا وسيدي الجيلالي بن عمار وفرطاسة، ووصلت يوم 30 ماي وهناك اصطدمت بمجموعة من الثوار التي حاولت الدفاع عن المدينة التي تم إبعادها. هذا عن الجانب الفرنسي، أما من داخل معسكر الأمامي يذكر سكوت وصول معلومات عن تحركات الجيش الفرنسي في اتجاه تاقدمت، ولما كان الأمير وأعوانه يتوقعون مثل هذه الحركة، فقد اتخذت كافة التدابير اللازمة لإخلاء الموقع وحمل الناس ما خف من الذخيرة الحربية، والمؤن التي كانت فيها بأقصى ما يمكن من السرعة والنظام فساد العملية جو من الهدوء، وبعد الظهر تمت عملية التدمير

¹ - S. H. D. GR1230. Bis: « Notice historique sur la région et la ville de Mascara. » P57

² - شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 329. ينظر: الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 183.

³ - S. H. D. GR1230. BIS. Op,cit. P58

بإحراق القلعة ومصنع الأسلحة بأمر من الأمير عبد القادر¹ وبذلك تحولت تاقدت إلى كتلة هائلة من الدخان والرماد التي تركها السكان وراءهم لتحية الجيش الغازي²، ولما وصلت الحملة الفرنسية إلى مشارفها وقعت اشتباكات بين الطرفين أسفرت عن سقوط ستة جرحى من الفرنسيين الذين تركهم جيشهم وراءهم لمصيرهم، وبترك المجال للمزاري الذي وصف هذا النزاع قائلاً: "... وفي اليوم الثاني من الربيع الثاني الموافق للخامس والعشرين من ماي خيمت المحلة بتاقدت ووقع القتال بينهما وبين الأمير إلى أن قضت المحلة للفايت ثم دخلتها عنوة وخربتها وأضرمتها نارا وأزالت رونقها وصيرتها دثاراً، وأفسدت ما بها من معالم السلاح وتركتها خاوية على عروشها..."³. ووجد الجيش الفرنسي في تاقدت على قوس البرج كلباً وقطاً معلقين في إشارة من العرب أن دولة الأمير كالكلب والقط إنها عداوة لا تنتهي⁴.

بينما يذكر سانت أرنو أن القط هدية لابن الملك والكلب من نصيب الحاكم العام⁵. ودخلها الجيش الفرنسي الذي توزع بين منازلها المهذمة وعلى طرقاتها المهجورة، عندها أمر الجنرال بيجو سلاح المهندسين بتفجير الألغام لتدمير تحصينات المدينة، ولم يجد الجيش الفرنسي من يقتله فصب جام غضبه على الكلاب حسب ما ذكره سكوت: "لو أراد الملك لويس فليب مكافأة جيشه الباسل على الحملة التي شنّها على تاقدت فإنني أنصح أن يصدر لهذه الغاية ميدالية ينقش على أحد وجهها عبارة تاقدت والأخرى صورة كلب⁶، هذه هي الحرب القذرة التي طبّقها الفرنسيون في الجزائر التي لم يسلم منها لا إنسان ولا الحيوان، هذا ماجناه الشعب الجزائري من فرنسا التي أدارت ظهرها لقيم الحرية التي ظلت حكراً على المتروبول، وكشّرت عن وجهها الأسود الاستبدادي في علاقاتها مع الضفة الأخرى من

¹ - مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 161. وينظر: الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص 97

² - مذكرات الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص 97

³ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 183

⁴ - Camille Rousset: « la Conquête de l'Algérie, 1841- 1857. » T. 1. Paris 1889. P34

⁵ - Lettres du Maréchal de saint Arneau. 1832-1854. 2^{ème} édition. T. 1. Paris 1958. P317

⁶ - الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص 101

البحر المتوسط. وكان من نتائج هذه الحملة العسكرية، أنها قدمت لهم معرفة أكثر عن جغرافية الجزائر التي تتكون من ثلاثة أقاليم طبيعية متنوعة: وهي منطقة التل الصالحة للزراعة ومنطقة الهضاب الواسعة التي توفر على مراعي هامة للمواشي الى جانب الحلفاء وصحراء شاسعة. كما أنها أسفرت عن خضوع كثير من القبائل واعتراف شيوخها بالسلطة الفرنسية منها قبائل الأحرار¹.

ومن جهة أخرى قدم الجنرال بيجو مذكرة إلى وزير الحرب الفرنسية تتضمن كامل التفاصيل بالأحداث التي عرفت تاقدمت ومدينة معسكر وعن الانتصارات التي حققها ضد شعب أعزل، قاتل ودافع عن وجوده بكل الوسائل المتاحة، وحول احتلال معسكر وصف الهجوم الذي قاده ضد الأمير عبد القادر بالناجح، حيث اتخذ الأمير من جبال معسكر موقعا دفاعيا تسنده قوة تتألف من 400 فارس قدمها له خليفته الحميدي من تلمسان وحاول بيجو إتباع نفس الخطة التي طبقها في فرطاسة لكن دون جدوى، وتمكن من احتلال معسكر مستعينا في ذلك بقوات هامة².

11-2- الاستراتيجية العسكرية الفرنسية لإجبار الأمير على توقيف القتال:

بعد تدمير تاقدمت أصبحت مدينة معسكر التي احتلها في 30 ماي 1841م المحطة الثانية والتي ولم يتجه إلى تحطيمها كما فعل سنة 1835، بل قرر هذه المرة الاحتفاظ بها كمركز عسكري، وقبل مغادرتها ترك فيها فيلقين السادس والواحد والأربعين تحت قيادة الرائد جيرى (Géry)³، وثلاث كتائب من الهندسة ومدافع وكميات من المؤن تكفي لمدة 50 يوما، ثم أسند القيادة العامة لهذه المنطقة للعقيد تامبور (Tempour)⁴، وبذلك لم تدرج مدينة معسكر في مخطط التدمير، الذي وضعه الجنرال بيجو الذي يبدو أنه قرر إعادة النظر في النظام المعمول به سابقا، حيث أن القوات المرابطة في المدينة ومليانة والمناطق الساحلية، لم

¹ - وابل بختة، المرجع السابق، ص 31.

² - S. H. D. GR1230. Bis. Op,cit. P59

³ - برونو إتيين، المرجع السابق، ص 211.

⁴ - Ibid. P60

تكن كافية للقيام بعملية الحراسة، والهجوم على مناطق الداخل في آن واحد ولهذه الأسباب أقدم بيجو على نقل القيادة العامة لفرقة وهران إلى مدينة معسكر بالذات¹ وتبعاً لذلك تم جلب كافة الجيوش إليها، وهكذا يكون بيجو قد وفر الوقت والعدة والعتاد للجيوش وقربهم من مركز العمليات العسكرية، التي أصبحت بدورها قريبة من القبائل التي وقفت الى جانب الأمير عبد القادر.

وتبعاً لذلك فعلى الرغم من تجنيد بيجو لجيش جرار فإنه لم يحقق في واقع الأمر سوى نجاحات ظاهرية من خلال تخريب معقل الأمير وحصونه الدفاعية، وأما القبائل التي خضعت للفرنسيين فإنها أجبرت على ذلك تحت قوة الحديد والنار، ولم تكن تتأخر عن تقديم الدعم ومناصرة المقاومة كلما سنحت لها الفرصة بذلك.

وبعد سيطرتهم على المدن الهامة في إقليم وهران، وهي معسكر وتلمسان ومستغانم بات هذا المثلث تحت رحمة مارشالات الثلاثة التي اختيرت بعناية فائقة وهم لامورسيار وبيدو (Bedeau) وأربوفيل (d'Arbouville)²، فبدأ عمليات ملاحقة الأمير وأعوانه البوحميدي وبن تامي وفرض رقابة شديدة على العشائر بين الساحل ومعسكر ونهب وسلب ممتلكات الأهالي، وتفريغ مخازن الحبوب، أملاً في تحقيق استسلام كامل وشامل لكل المنطقة.

لكن السؤال المطروح لماذا رفض الأمير مواجهة قوات الاحتلال وجها لوجه ؟

يبدو أن هذا الموقف يعود الى اعتبارين أساسيين:

أولهما أن جيش الاحتلال رمى بكل ثقله العسكري في إقليم وهران، حيث أن تعداد الجيش الفرنسي أصبح يفوق بكثير جند الأمير من حيث العدد، ناهيك عن تنوع وضخامة المعدات العسكرية، هذا فضلا عن وجود جيش مدرب ومنظم وبعض قادته شاركوا في حروب أوربية، لذى فضل الأمير عدم مواجهة هذه الطوابير في ميدان مكشوف لأن حظوظه

¹ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 198

² - François - Aimé- Frédéric- Arbouville

من مواليد باريس 1798/2/14م كان ضمن الجيش وعمره لايتجاوز 16 سنة، حضر الإنزال الفرنسي بسيدي فرج، حكم مستغانم سنة 1842م، وكان على رأس قسمة سطيف ما بين 1844-1846

في تحقيق النصر تبدو شبه مستحيلة. فكان تكتيكة العسكري يركز على المحافظة على جيشه النظامي وعلى ولاء القبائل له ولا يدخل المعركة إلا إذا توفرت شروط تحقيق النصر. والاعتبار الآخر استراتيجي، ترك الجيش الفرنسي يتوغل في الداخل ويتوسع بحيث توزعت قواته في الجبال والشعاب وعداد القبائل له مما يجعل عملية البقاء محفوفة بالمخاطر فيضطر للعودة الى الشواطئ¹.

(12) معركة فرنده 25 فيفري 1842:

وصلت إليها قوات لاموريسيار التي كانت تتكون من ثلاثة طوابير، فجر يوم 25 فيفري، فتم تطويق قبيلة بوزيري، التي كانت تضم تسعة وخمسين دوارا، بلغ عددهم حوالي 6000 نسمة مستخدمة طلقات المدافع²، لكن قبيلة بوزيري رفضت عروض الاستسلام التي قدمها الجنرال لاموريسيار، الذي يبدو أنه كان مصمما على إخضاع القبيلة التي كانت تستوطن المنطقة لما لها من أهمية استراتيجية من الناحية العسكرية واللوجستية في المد الاحتلال إلى المناطق الجنوبية، فاشتبك الطرفان وتمكن جيش الاحتلال المدعوم بالآلة العسكرية من إلحاق الهزيمة بالسكان العزل، وأسفرت هذه العملية العسكرية عن مقتل 80 فردا واستولى جيش الاحتلال على 12000 رأسا من المواشي، وأعتقل الكثير من النساء والأطفال، وفر من استطاع الفرار ولجأ البعض الى الكهوف المجاورة لفرنده، ونتيجة لسوء الأحوال الجوية ظلت فصيلة من الجيش 13 طريقها بقيادة الملازم دليني (Déligny). وفي صبيحة الغد عثر جيش الاحتلال على ثلاثة جنود وعشرين من الأسرى قد فقدوا الحياة من شدة البرد، كما نفق كثير من الخيول والبغال والمواشي³. وعلى إثر هذه النكبة أعلنت قبيلة بوزيري خضوعها للاستعمار، فاستردوا نساءهم وما تبقى من مواشيهم، فكان لهذه الأحداث نتائج خطيرة وأثر سيئ على مواصلة المقاومة، خاصة لدى القبائل المتعاونة مع الأمير عبد

¹ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص

² - Camille Rousset. Op,cit. P98

³ - Camille Rousset. Op,cit. P99

القادر. كما تلتها سلسلة خضوع لأغلب القبائل الثائرة المجاورة ومنها الحوارث وجميع صدامة والحشم وكثير من أهل اليعقوبية¹ وفي 27 فيفري عاد لاموريسيار إلى معسكر في 28 من نفس الشهر.

(13) التوسع الفرنسي في منطقة تيارت 1842:

وفي أوائل سنة 1842م وبعد أن تحسنت الظروف المناخية واصل الجنرال لاموريسيار تنفيذ خطته العسكرية، فسار على رأس جيش كبير في 10 فيفري لملاحقة الحشم الغرابة الذين اتجهوا شمالا رفقة ابن تامي ولجأ فرع منها عند فليته، والباقي نزلوا عند قبيلة صدامة²، فانتهاز الفرصة لمعاقبة القبيلتين اللتين وفرتا الحماية لعناصر الحشم الفارة من بطش الجنرال لاموريسيار، ولما تولى داربوفيل (d'Arbouville) القيادة في مستغانم بدلا من الجنرال بيدو (Bedeau) الذي جمع جيشا يتكون من أعداد كبيرة حاول استهدافهم بفرطاسة إحدى مواطن فليته ولم يحصل سوى على خضوع جزئي³.

وفي اليوم الموالي انفصل لاموريسيار عن داربوفيل وقصد تاقدمت ثم واصل مسيره حتى بلغ مدغوسة فاعترضت سبيله سقوط كميات كبيرة من الثلوج، فأعاقت تقدمه بضعة أيام⁴، وفي 15 ماي خرج الجنرال لاموريسيار من معسكر قاصدا نواحي تيارت، فالتقى بالأمير عبد القادر في عين الكرمة من بلاد عكرمة ونشبت معركة بين الطرفين أسفرت عن مقتل خليفة الأمير عبد القادر ابن عبد الباقي وخزنداره بن عبو، أما عن جانب المخزن فقتل ابن عبد الله ولد البهليل ومسعود ابن شهيدة والعربي بن يحيى⁵، وبتاريخ 29 ماي عاد إلى مدينة تاقدمت، وقام بتدمير البناءات التي تم إعادة بنائها وبناء على معلومات تحصل عليها، عثر على بعض التجهيزات الموجهة لصناعة الأسلحة وكميات من النحاس والحديد التي

¹ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 199م.

² - Pellissier Reynaud. Op,cit. P12.

³ - Pellissier Reynaud. Op,cit. P 13

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 198م.

⁵ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 201م.

نقلها إلى معسكر، ثم واصل سيره باتجاه الجنوب الشرقي، وتمكن قبل عودته من السرسو من إخضاع كثير من القبائل منها أولاد الشريف الشراقة والغرابة وبني مدين¹.

وفي شهر أوت تلقى مصطفى بن اسماعيل أمراب الخروج فجهز قوة تتكون من الأحرار والدواير على رأس 600 فارس مقاتل، وتوجه رفقة لاموريسيار الى طاقين فعاد الأمير إلى الناحية الغربية وقام بإحراق مدينة البرج، ثم نصب كمينا لجيش لاموريسيار عند عودته إلى معسكر ولم تذكر المصادر الفرنسية أي شيء عن هذا الكمين².

وفي كوجيلا فاجأتهم مجموعة من الثوار وأطلقوا النار عليهم فقتلوا فارسا من عناصر الحشم الذي كان ضمن القوات الغازية ثم لاذت بالفرار، وهاجموا الأحرار الذين استولوا على ممتلكات أولاد الشريف المذعنين للأمير³، وأجبروهم على الحضور أمام قائد الجيش الفرنسي لقبول شروط الاستسلام.

ولما حاول الأحرار البحث عن مطامر الحبوب في المناطق الجبلية، تعرضوا لإطلاق النار فجرح إتان وقتل عنصر من الصباحية، وعاد الجيش الفرنسي أدراجه دون بلوغ أهدافه، ولكي يثبت أن حملته كانت ناجحة راح يبحث في الضيعات والجبال لعله يجد ما يبهر به انتصاراته الوهمية، فوقع اختياره هذه المرة أثناء عودته على قبيلة خلافة التي أجبرها على دفع 200 رأس من الأغنام وخمسة عشرة قنطار من الشعير كضريبة كما أخضع أولاد عابد وهم فرع من خلافة في وادي الدفلة شمال فرنده على بعد أربعة كلم⁴. ثم واصل الجيش الفرنسي مسيرته الفاشلة باتجاه الشمال، فأرسل بتاريخ 21 جويلية كوكبة من الفرسان تتألف من 40 عنصرا من الصباحية، للقبض على وكيل بوثليجة مساعد الأمير في منطقة تاقدمت الذي فر قبل وصولهم فاستولوا على جميع ممتلكاته وأسروا جميع أفراد الدوار، وبناء على معلومات تحصل عليها المقدم رنو (Regnault) من أحد أفراد المنطقة المدعو جلول، توجه

¹- S. H. D. 1H83. Op,cit

²- S. H. D. GR1H230. Bis. Op,cit. P80

³- حياش فاطمة، المرجع السابق، ص 24.

⁴- S. H. D. GR1H212. Op ,cit

إلى منزل بوثلجة وقام بمصادرة جميع ممتلكاته، ولم يغادر المنطقة إلا بعد فرض غرامة على قبيلة بوزيري، وأجبرها على دفع 200 رأس من الأغنام وخمسة عشر قنطار من الشعير¹.

ويبدو أن عملية إخضاع القبائل من قبل فرنسا لم تكن لتفوح لأن الأمير كان يعود إليها ويحصل على طاعتها من جديد فتقدم له مستحققاتها وتزوده بالخيول والجمال، وبتاريخ 21 أوت وصلت معلومات تشير إلى أن الأمير عبد القادر جاء لكي يخيم في مدغوسة بالقرب من القوات الفرنسية، فلجأت إليه جماعة من قبيلة خلافة، وعلمت قبيلة أولاد الشريف وجزء هام من قبيلة بن عفان وبني مدين بذلك، ولم يكن في مقدورهم مواجهة الأمير عبد القادر، خاصة بعد الهزيمة التي تلقاها الخروبي وأولاد خليف على يد الأمير².

أما قبيلة الأحرار ففرت باتجاه الغرب، فواصل الأمير سيره في سهل السرسو وتمكن الأحرار من إجبار بعض خيم خلافة التي حاولت الانضمام إلى الأمير بالتوجه إلى مواطنها، والتحقت بهم خمس خيم من الحشم الشراقة. وفي الليل تحركت كتيبة من الفرسان بقيادة النقيب (Forton) للقبض على العناصر التي لجأت إلى قبيلة خلافة³.

وفي 23 من شهر أوت التحق قادة الأحرار بالمعسكر الفرنسي، ثم انتشروا في وادي لقرون ففاجأهم الأمير عبد القادر وقتل منهم تسعة أفراد واستولى على تسعة أحصنة وثلاثون جملا، فدب الرعب في صفوفهم، وأحجموا عن مرافقة الأرتال العسكرية الفرنسية التي كانت تتأهب للانطلاق بحثا عن المطامر ومخازن الحبوب، خوفا من الأمير عبد القادر الذي أوفد 200 فارسا إلى مواطن الأحرار الذين حاولوا القيام بعمليات عسكرية، كانت نتيجتها فقدان 24 عنصرا منهم وعدد من الخيول⁴.

¹ - Ibid

² - A. N. O. M. GR1H212: «Colonne de Mascara sous les ordres du général De Lamoricière du 15aout au 6 septembre 1842. »

³ - Ibid

⁴ - Ibid

ومن جهة أخرى قام الآغا بلقاسم على رأس قوة تتكون من 300 فارس مدعومة بـ100 رجل من الصباحية، لمعاينة قبيلة خلافة المتمردة، وتمكن من الاستيلاء على 100 رأس من البقر و800 رأس من الأغنام 60 جملا وقبض على 95 من رجال خلافة¹.

14) تيارت في 1843 بين الولاء للأمير عبد القادر وتزايد الضغط الفرنسي:

تم تدشين سنة 1843 بتمرد معظم القبائل التي أخضعتها فرنسا، ما بين معسكر تيارت والشلف، حيث تمكن الأمير عبد القادر من إعادة القبائل المنشقة تحت الإرهاب الفرنسي إلى المقاومة، وحثهم على بقائهم على ولائه له منه بمقاومة الفرنسيين، فقد غزا التمرد كل مكان حل به الأمير، فثارت القبائل من جديد ملبية نداء الجهاد، فكسب بذلك الميدان، فأدرك وقتها قادة الجيش الاحتلال أن جهودهم ذهبت سدا، وأنها عملية عبثية، ولذا وجب التفكير في وضع استراتيجية جديدة تحفظ لفرنسا مكاسبها، من خلال تواجد عسكري دائم في المناطق التي يتم غزوها وفي هذا الصدد قال الجنرال لاموريسيار: "ينبغي إيجاد موقع يتوسط المدن الأربع وهي مستغانم، معسكر، مليانة والمدية ويكون كفيلا بأن يسمح بأن تتوحد بعد ثلاثة أيام من السير، هجومات الجند الذين ينطلقون من هذه المدن مع هجومات الأرتال التي تخرج منها"².

ومنذ ذلك الحين أصبح ما طرحه لاموريسيار قاعدة ثابتة لدى الجنرال بيجو واعتبر التواجد العسكري الفرنسي أمرا ضروريا بين القبائل لمنعها من التمرد ومراقبة تحركاتها وقطع الاتصالات بينها وبين الأمير عبد القادر وخلفائه. وبادر على الفور بإنشاء مدينة أورليون فيل، في حين قرر الجنرال لاموريسيار بناء معسكر تيارت في موقع تتقارتيا (Tingartia) الرومانية في نقطة اتصال بين التل والسهوب³. وكانت برقية قد وصلت بتاريخ 06 مارس

¹ - Ibid

² - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 333، 334.

³ - المرجع نفسه، ص 334.

1843 إلى المكلف بالمصالح الاقتصادية العسكرية بمعسكر تحته على تشييد مركز عسكري في ضواحي تاقدمت، ثم تلقى أوامر تطلب منه إنشاء ملحق عسكري بتيارت.

وتم ضبط قائمة لعدد من الضباط ومختلف الصالح الإدارية والصحية والاجتماعية، إضافة إلى عدد من الممرضين تحت قيادة جوكيار (Jonquière)¹ وكان الغرض من إنشاء هذا المركز العسكري إضافة لما ذكر سابقا، أن يتحول إلى قاعدة عسكرية تتطوق منها الحملات لإخضاع القبائل وتزويدها بالمؤن والذخيرة، وتوفير العلاج للجرحى والمصابين، وبتاريخ 23 أبريل أسند الجنرال لاموريسيار قيادة هذا المركز إلى الرائد ميسيا (Maissiat) على رأس قوة تتكون من 1200 رجل من جيش إفريقيا وقوات من المدفعية والهندسة².

ومن جهة أخرى حاولت القوات الفرنسية المتمركزة في سهل التات بالقرب من فرندة تحت قيادة العقيد جيري ومصطفى بن إسماعيل، قطع الطريق أمام الأمير على ما يبدو، لكن الأمير تحرك جهة الشمال، ولما علم الحاج جلول قايد فرع من فليطة بقدوم الأمير الذي نزل جهة المناصفة لمعاقبة فرع من فليطة المتعاونة مع الفرنسيين، أخطر الجهات الفرنسية بذلك³، فتحرك رتل عسكري بقيادة الرائد (Creny) الذي اتخذ من فرطاسة مقرا لقواته لحماية القبائل المتعاونة معهم، في حين تلقت الفرقة العسكرية الأخرى أمرا بالتوجه إلى سيدي الجيلالي بن عمار، وبقي مصطفى بن إسماعيل مع الرائد (Bose)، وفي صبيحة اليوم التالي سمعت طلقات نارية بالقرب من فرطاسة، فتقدم الرائد (Creny) الذي حاول الانسحاب من منطقة الخطر⁴، ففاجأهم الأمير عبد القادر الذي اقترب كثيرا من القوات الفرنسية المتحصنة وراء الصخور التي كانت تغطيها كثير من الأشجار ووقعت اشتباكات غير متكافئة بين الطرفين أسفرت عن مقتل 30 عنصرا من قوات الأمير، أما عن الجانب الآخر

¹- A. N. O. M. 1H83. Op,cit

²- A. N. O. M. 2M181: « Notice historique et statistique de la commune mixte de Tialet » 31janvier 1877

³- S. H. D. GR1H212: « Journal des opérations militaires de la colonne mobile de Mascara sous les ordres de M. le général de la Moricière du 6 avril au 30mai ».

- Pellissier Reynaud. Op, cit. P21

وينظر:

⁴- S. H. D. GR1H212. Op, cit

فقتل خمسة عناصر وجرح حوالي ثمانية أفراد من بينهم الحاج جلول¹، ولم يبق أمامهم سوى الفرار والالتحاق بالقوة الفرنسية التي كانت تعسكر في سيدي الجيلالي بن عمار. لقد أصرت القيادة الفرنسية على مواصلة القتال مستخدمة كافة الوسائل لإخضاع القبائل من رشوة وتهديد لكسب ولائها، وجعلها قوة دعم وإسناد، في حين كانت القبائل تقاتل من أجل الدفاع عن ممتلكاتها ووجودها وحريتها من أجل التخلص من هذا الاحتلال البغيض.

وفي نهاية شهر أفريل علم الجنرال لاموريسيار بتواجد الأمير عبد القادر في سهل غريس، على رأس قوة تتكون من 1800 فارس الذي تمكن من القبض على قبيلة الحشم من أجل إعادتها إلى صف المقاومة، فطلب لاموريسيار من العقيد بدو (Bedeau) بالتقرب من الجعافرة، ومن العقيد (Géry) التحرك لتوفير الحماية للقبائل المجاورة لمعسكر، ومع ذلك فاجأ الأمير القوات الفرنسية رغم الاستعدادات التي وضعها لاموريسيار الذي كان يعتقد أن قبيلة الحشم لازالت حليفة لفرنسا، وأحجمت قيادة جيش الاحتلال عن ذكر الخسائر التي تكون قد تكبدتها مكثفيه بوصف هجوم الأمير بالناجح²، ولذلك قرر يوم 21 أفريل التوجه إلى تيارت، خوفا من أن تسلك قبائل المنطقة (الأحرار، خلافة وصدامة) نفس السبيل الذي نهجته قبيلة الحشم.

وبتاريخ 01 ماي خيم بالقرب من فرندة لتوفير الحماية لحلفائه، من هجومات الأمير عبد القادر والحشم وظل على اتصالات مع الأحرار لتأمين عودتهم إلى التل، وأثبتت التجارب أن كل غارة يقوم بها الفرنسيون يتبعها بالتأكيد هجوم خاطف من الأمير الذي ينتهي غالبا بعودة القبائل إلى نصره المقاومة. ومما لاشك فيه أن التحالفات التي تتحدث عنها فرنسا، كان الهدف منها مغالطة القبائل لعزلها عن المقاومة، ولاتحدث إلا تحت القمع والتهديد وشراء الذمم أحيانا.

¹ - Ibid

² - A. N. O. M. H209: « Suite du journal des opérations de marche de la colonne expéditionnaire pendant la 2^{ème} quinzaine de juin et de la 1^{ère} quinzaine de juillet 1843. » P6

وبتاريخ 03 ماي حاول الأمير عبد القادر أن يعيد القبائل التي انضمت إلى فرنسا إلى صف المقاومة، فبادر بهجوم خاطف على قبيلة خلافة التي كانت تخيم في مدغوسة فسارع جيش الاحتلال إلى نجدتها، ودارت معركة بين الجانبين أسفرت عن انسحاب الأمير تاركا وراءه 40 فارساً¹. وفي الشمال الشرقي من تيارت انفصل الجنرال بورجولي (Bourjolly) عن الحاكم العام، لتوفير الحماية للقبائل المتمركزة على جانبي نهر الشلف ثم قام بمهاجمة قبيلة فليته، أما الحاكم العام فواصل مسيره حتى توغل في مواطن الكرايش، وازدادت الضغوط الفرنسية وحشية لإجبار قبائل بني مسلم وحلوية والكرايش على الخضوع والاستسلام بعدما أصابها الجوع ونال منها التعب².

وبتاريخ 03 جوان رصد جواسيس فرنسا خلفاء الأمير وهم بن علال ومصطفى بن التامي والخروبي، على بعد ثلاثة فراسخ من المعسكر الفرنسي، فحاول المقدم (Lefto) القبض عليهم ليلاً، لكن خلفاء الأمير انسحبوا نحو جهة مجهولة، فأفسدوا بذلك خطة المقدم (Lefto)³.

وفي 28 جوان هاجم الأمير قبيلة الأحرار بالقرب من تيارت، فأسرع لاموريسيار إلى طلب النجدة من قبيلة الدواير والزمالة بزعامة الآغا المزاري، كما أن هذا الهجوم الخاطف منع لاموريسيار من التوجه نحو بني وراغ، ولم يبق أمام لاموريسيار المدعوم بقوم المزاري سوى التوجه نحو أعالي وادي رهيو للانتقام من السكان والاستيلاء على مواشيهم⁴.
وبتاريخ 22 جويلية قدم أربعة زعماء من قبيلة الكرايش أربعة خيول كضريبة فرضها عليهم الحاكم العام، كما قدم قايد حلوية الشراقة 10 خيول كعربون عن خضوعهم. ومن جهة أخرى بعث القائد الأعلى لتيارت العقيد ميسيا رسالة إلى الجنرال لاموريسيار يحثه فيها على المجيء فوراً إلى تيارت لتقديم المساعدة من أجل إخضاع القبائل المجاورة والقبض على عدد

¹-Ibid. P6

²- Ibid. P10

³- A. N. O. M. H209. P11

⁴- Ibid. P14

من العناصر واعتقالهم، ثم استعمالهم كورقة ضغط لإجبار القبائل المنشقة على الطاعة¹. لكن قادة الاحتلال وجدوا صعوبة في كبيرة في السيطرة على القبائل المتمردة، فبدأ التفكير في ضرب القبائل الشرسة التي لازالت تشكل خطرا على جيش الاحتلال، فركزوا جهودهم على إخضاع قبيلة فليطة في غرب تيارت التي سببت لهم متاعب كبيرة وأفسدت خططهم الرامية إلى تثبيت الاحتلال، فتم محاصرتها بواسطة أرتال عسكرية ضخمة يقودها الجنرال لاموريسيار، الذي أجبرها على الاستسلام²، والانتقال إلى المنطقة الشرقية لمحاصرتها ومن ثم القضاء على التمرد فيها. وكتب الجنرال بيجو بعد إخضاع قبيلة فليطة تقريرا ضمنه عبارات الارتياح حيث قال مخاطبا الجنرال لاموريسيار: " لقد تلقيت تقريركم المسجل بتاريخ 19 جويلية حول العمليات العسكرية التي استهدفتم فيها قبيلة فليطة... لقد قرأته بتمعن وكم سرني عملكم المنسق مع الجنرال بورجولي مما استوجب بعث نسخة منه إلى وزير الحربية... وإني أعتبر خضوع قبيلة فليطة يعد نصرا مؤزرا لأنها قبيلة شديدة المراس"³.

ورأت قيادة الجيش الفرنسي أن هذا النصر سوف يعزز من تواجدتها بالمنطقة، ويدفع بباقي القبائل الأخرى على وضع السلاح ويمنع الأمير من مواصلة جهوده في هذه المناطق التي توجد بها قبائل لازالت تشكل خطرا على قوات الاحتلال وحلفائها، وسيقدم دعما للنجاحات التي أحرزها العقيد (Missiat) في نواحي تيارت⁴، وسمح هذا النصر أيضا للقوات الفرنسية بالتوجه نحو الجنوب الشرقي والجنوب وجنوب معسكر، بعد وصول معلومات عن تحركات الأمير في هذه الاتجاهات، فانطلق العقيد (Pellissier) باتجاه أعالي واد رهيو على مقربة من تيارت لدرع أي خطر قد يأتي من هذه الجهة، أما قوات العقيد كورت (Korte) الذي كان على رأس كتيبة تتكون من 200 فارس فتوجه ناحية غرب ثنية الأحد، أما العقيد

¹ - N. O. M. H209: « Journal de la brigade active de l'ouest de l'Ouarsenis commandée par le colonel Pellissier du 13 juillet au 11 aout 1843. »

² - A. N. O. M. 1H83

³ - A. N. O. M. 1H89

⁴ - Ibid

يوسف فخرج على رأس كتيبة تتألف من 400 فارس نظامي في منطقة السرسو التي تمتد جنوب شرق تيارت¹.

وبهذه الإجراءات فلم يعد المجال مسموح به أمام تحركات الأمير. وفي نفس الوقت تلقى الجنرال لاموريسيار أخبارا من العقيد ميسيا تشير بأن خلفاء الأمير قد توجهوا ناحية الغرب، مما فسح المجال أمام زعماء قبائل تيارت الذين اشتد عليهم الخناق من كل جهة، بإجراء اتصالات مع قادة الجيش الفرنسي ومنهم قبيلة أولاد لكرد، أولاد خليف، بعد خضوع أولاد الشريف، بني مدين وأولاد بن عفان، فتوجه لاموريسيار إلى تاقدمت ثم إلى مخيمه بمشرع الصفا حيث التقى هناك بمحمد بلحضري ابن أحمد ولد قاضي²، الذي يبدو أنه توسط لهذه القبائل لمقابلة الجنرال وانتهت المحادثات بقبول وجهاء القبائل شروط الاستسلام، الذي لم تتقيد به القبائل كلما سنحت الظروف بذلك، حيث أن معظم قبائل تيارت أعلنت تمردها عند قيام ثورة بومعزة.

15) زمالة الأمير عبد القادر بين النشأة والسقوط:

إن سنة 1842م كانت شديدة الصعوبة خاصة بعد سقوط التحصينات التي أقامها الأمير وخضوع معظم القبائل في المثلث الواقع بين وهران ومستغانم ومعسكر وازدادت الأمور سوءا عند احتلال سبدو ثم ندرومة، فاشتد عليه الخناق وتم حشره في جهة الحدود الغربية مما جعل الأمير عبد القادر يدرك مدى صعوبة الاحتفاظ بعاصمة قارة، وكان لسقوط حصونه وقلاع العسكرية وخاصة تاقدمت، إيذانا بتغيير استراتيجيته العسكرية والتفكير في البحث عن عاصمة أخرى تكون هذه المرة متنقلة تسمح له بالتنقل والتخفي عن أعين جيش الاحتلال. فأسس لهذا الغرض الزمالة³، أو العاصمة المتنقلة وكانت تشتمل على جميع

¹ - Ibid

² - S. H. D. GR1H21

³ - أصبحت الزمالة عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة، عقب تدمير معسكر وتاقدمت واحتلالهما. وقد كانت الزمالة تشتمل على جميع المنشآت والمؤسسات العمومية التي تحتوي عليها عاصمة الأمير السابقة، بما في ذلك المدارس والمساجد ومصانع الأسلحة وورش التصليح ومصانع السروج والمدابع ودكاكين الخياطين والحدادين. وكذلك كانت تعقد في الزمالة أسواق دورية للتبادل التجاري يقصدها السكان المقيمون على أطراف الصحراء لمبادلة منتجاتهم بمنتجات الزمالة

المنشآت الضرورية التي تحتوي عليها عاصمته، من أسلحة وسراجين وخياطين وكل العمال الضروريين لتنظيمها، وكانت تقام فيها سوق يرتادها العرب المقيمين على حافة التل. وفيما يخص الحبوب، فقد كانت تحمل إليهم وإما أن يذهبوا للتزود بها بأنفسهم لدى عروش الشمال¹.

وكانت الزمالة توفر مكانا آمنا لكل من قصدها من نساء وأطفال وشيوخ، وتتوفر على كنوز هامة من ممتلكات وقطعان الماشية²، وبذلك أصبحت تمثل مركزا لاستقطاب السكان الذي بلغ عددهم حسب ما ذكره الأمير بنفسه قائلا: "عندما تمت مهاجمة الزمالة من طرف الدوق دومال، كان عدد السكان التي كانت تضمهم لا يقل عن 60000 نفس... ولم يتم نزع حتى العشر منهم كانت معي عروش الحشم، بني مدين،... الصدمة، الخلافة، أولاد شعيب، أولاد خليف"³.

أجبرت كل هذه القبائل على الخضوع بالقوة لجيش الاحتلال، بعد ما كانت تزود الأمير عبد القادر بما يحتاجه من مؤن ومعلومات استخباراتية عن تحركات القوات الفرنسية وفي هذا الصدد يقول الأمير عبد القادر: "... كل العروش التي استسلمت لكم. وكانت هذه الأجزاء مكونة من مرابطين، من طلبية، ومن قواد وأخيرا، لم يكونوا يرغبون في العيش تحت قوانينكم. وقد كانوا مفيدون لي كثيرا، لأنهم كانوا بسبب تأثيرهم على بلدانهم قد حافظوا على علاقات وكانوا يفيدونني بمعلومات عن تحركاتكم"⁴.

ومصنوعاتها، وإلى جانب ذلك كانت الزمالة تأوي الدواوين الحكومية وخزينة بيت المال وخزائن الولايات ومستودعات الخلفاء ورجال الدولة من الأموال والمجوهرات...، وكان عدد سكان الزمالة عندما استولى عليها الفرنسيون يتراوح ما بين 60-70 ألف نسمة، تنتشر خيامهم في المنطقة التي تمتد بين تاجوين والبيضاء في الشلف، سقطت الزمالة في يد الدوق دومال 16 ماي 1843م. ينظر مذكرات الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص 155

¹ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 203.

² - شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 256.

³ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 202.

⁴ - أليكس بيلمار، المصدر السابق، ص 202.

وكانت الزمالة منظمة بنظام محكم وترتيب متسق، على شكل دوائر أصغرهما في الوسط الذي عرف بالدائرة المركزية حيث يوجد الأمير وعائلته¹، ويحيط به أعونه المخلصين له من أمثال مصطفى ابن التهامي²، والميلود بن عراش³، ومحمد بن علال⁴. ولم يدخر عبد القادر وسعا في تشجيع الهجرة والدعاية لها⁵. وفي الأخير أصبحت الزمالة تمثل مركز هام لمراقبة القبائل التي كانت تفكر في الانضمام إلى الفرنسيين. وكان لاموريسيار مهتما كثيرا بتعقب الأمير بحثا عن الزمالة، وحاول الاستيلاء عليها في عمليتين فاشلتين، ومنذ ذلك الحين أصبحت تشكل هدفا للجيش الفرنسي، مما جعل الأمير عبد القادر يتخذ قرارا بنقلها إلى جبال عمور حتى تكون في مأمن عن العدو، وقد أحاط الأمير معسكره بالسرية التامة⁶. لكن التجسس على الأمير عبد القادر لم يتوقف يوما ما وها هي عيون الغدر المتمثلة في الشيخ عمر بن فراح، ترشد العدو إلى مكان تواجد الزمالة⁷، وعلى الفور

¹ - وابل بختة، المرجع السابق، ص 33.

² - مصطفى بن التهامي: هو السيد الحاج مصطفى بن أحمد (أوحماي) بن التهامي ولد حوالي سنة 1796م كان والده مفتيا في عهد العثمانيين ولما أسس الأميرالمجلس العالي الأميري (مجلس الدولة) كان من بين الأحد عشرعالم الذين عينوا نوابالمملكة (التحفة).

والسيد مصطفى نفسه كان معلما بوهرا في عهد العثمانيين، ولما بوع الأميرعنه على رأس ديوان الإنشاء، وبعد وفاة الخليفةابن فريحة في حادثة خلال حصار تلمسان، عينه الأمير خليفة له على مقاطعة الشرق بحاضرة معسكر، ثم قائدا للدائرةبعد هزيمة الزمالة، وهو ابن عمه الأمير وأحد المرابين والمخلصينه. ينظر: مذكرات الأميرعبد القادر، المصدر السابق، ص 166.

³ - الميلود بن عراش: ولد ببني شقران في أسرة متواضعة، نشأ في رعاية الحكم العثماني، عينه الأمير آغا الشرق (أم عسكر) أسنداليه الأمير الشؤون الخارجية، فأشرف على إبرام معاهدة ديميشال والتافنة، حمل الهدايا إلى ملك فرنسا لويس فليب. وتعاطيه التجارة سمح له بربط علاقات وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود وفرنسيين جلبت له الشكوك والإتهام بثراء مصالحه. ينظر: مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص 171

⁴ - محمد بن علال: من أبناء سيدي مبارك أحد رجال الرجال الصالحين بمدينة القليعة، أستشهدفي 11نوفبر 1843مبمعركة سيدي يحي، كان خليفة الأميرعلى مليانة كان من الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة يمكن عده مع البوحميدي ومصطفى بت التهامي من القادة الأوائل الذين تحملوا مع الأمير العباء الأكبر في تنظيم حركة المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي. ينظر: مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 166

⁵ - شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 257.

⁶ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 236

⁷ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 237.

سارع جيش الاحتلال إلى التحضير وإعداد قوة عسكرية كان على رأسها الدوق دومال، وفي 10 ماي انطلقت من بوغار وعند وصولها لم تجد شيئاً فجاءهم الشيخ صاحب الغدر ليعلن لهم بأنها بالقرب من نبع طاقين¹.

فتوجه دومال من غير تردد نحو الزمالة ولما دان منها خرج سكانها مبتهجين ظناً منهم أن خيالة الأمير عادت بعد أن حققت انتصارات مظفرة لكن عندما اقتربوا من السكان ظهرت لهم الحقيقة الرهيبة وتحول الشعور بالفرح إلى نكسة حقيقية، وكان من نتائجها قتل 300 من سكانها وأسر 3000 منهم، وغنم العدو غنائم كبيرة² وتلاحقت المحن على الأمير عبد القادر بانهزام بن علال وموته.

لم تنال منه هذه النكبات بل واصل جهاده أملاً في أن يبعث الله له من يشد آزره ويعينه على مواصلة المقاومة فنجح في جر المغرب الى مؤازرة المقاومة³، وظهر الشريف بومعزة في منطقة الظهرة وسهل شلف الذي أعاد للمقاومة حيويتها ونشاطها.

16) انضمام قبائل تيارت لثورة بومعزة 1845:

مرت أكثر من أربع سنوات عن تعيين الجنرال بيجو حاكماً عاماً على الجزائر، الذي نفذ خطة عسكرية جهنمية لإخضاع الأهالي لسلطة الاحتلال، كلفته كثيراً من المعارك والمتاعب وأنهكت جيشه، فأدرك في الأخير أن صرح النفوذ العسكري الذي شيده بقوة الحديد والنار وبكثير من الوحشية، أخذ يتضعع من جديد، حيث كبדתه المقاومة خسائر فادحة في الأرواح على إثر معركة سيدي ابراهيم، وألقت هناك فرقة فرنسية سلاحها، دون إطلاق رصاصة واحدة في عين تموشنت، وكان عدد الأسرى قد بلغ 600 شخص⁴.

¹ - شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 275. وينظر:

-PellissierDe Reynaud. Op,cit. P70

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج1، ص 260. وينظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 335

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص، 361-362.

⁴ - شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 295.

ويعود السبب في إيقاد شعلة المقاومة الى الشريف بومعزة¹، الذي جند عدد من الأتباع وياشر بمهاجمة المراكز الفرنسية، وذاع صيته في أرجاء مختلفة من الجزائر كما كان لهذه الثورة صدى لدى قبائل تيارت، حيث أعلن مولاي أحمد زعيم قبيلة الكسالنة أنه خليفة الثائر بومعزة فحرض كثير من قبائل المنطقة على الثورة، وظل يثير القلاقل لفرنسا فألقي عليه القبض سنة 1850م من قبل السلطات الفرنسية وحكم عليه بالسجن لمدة عامين قضاها في فرنسا².

كما لم تتأخر قبيلة عكرمة في تقديم الدعم لثورة بومعزة، ولما اشتد عليها الخناق لجأت الى قبيلة فليقة وصدامة. أما قبيلة أولاد لكرد فقد غادرت موطنها والتحقت بالجناب وظلت على اتصال بالأمير عبد القادر. وانضمت قبيلة العويسات لثورة بومعزة، وخوفا من انتقام الفرنسيين منها فنزحت نحو الجهات الجنوبية³.

أما قبيلة الأحرار كبري قبائل المنطقة، فلم يكن موقفها من ثورة بومعزة واضحا فنزحت الى الجنوب مكتفية بمراقبة ما ستسفر عنه الأحداث، ووفرت للأمير إقامة عندها بعد حادثة سيدي ابراهيم وجهزت عدد من خيالتها التي رافقت الأمير عبد القادر في مسيره نحو متيجة وعند عودتهم الى مواطنهم، هاجمهم لاموريسيار وأجبرهم على تقديم الاستسلام، وتزويد الجيش الفرنسي بالقوم والمؤن، ودفع ضريبة قدرها 900000 فرنك⁴.

وانصرت قبيلة أولاد خليف ثورة بومعزة، ولكنها سرعان ما فرت نحو الجنوب لما أدركت أن نجاحها قليل، وكاتب الشريف بومعزة أعيانها في مراسلة يدعوها للجهاد المقدس قائلا: " كافة جماعة أولاد الشريف خصوصا الأعيان كالشيخ بغداد وبن عودة وفغول بن الطاهر ومحمد الطاهر وجماعة أهل الغيشة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وانعامه

¹ - ينتمي الشريف بومعزة الى أولاد خويدم بحوض الشلف اسمه الحقيقي محمد بن عبد الله بن وداح بن عبد الله، استقر أجداده مبكرا في منطقة أولاد يونس بجبال الونشريس، من أت باع الطريقة الطيبية والدراوية، امتدت ثورته زمنيا من 1844-1847م لتشمل منطقة الظهرة وحمض شلف وجبال الونشريس. ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 79.

² - A. N. O. M. 10H53. Op, cit

³ - Ibid

⁴ - Fabre. Op ,cit. P285

وإحسانه أضعافا وبعد وبورود كتابنا إليكم تاتوا بغرض جيد اعانة للجيش الأحمدي... على سنة والشرع ولا تقبل منكم أعزارا... وبالله ورسوله شاهدين عليكم، بأمر من أمير المؤمنين ناصرالدين محمد بن عبد الله¹.

وبتاريخ 29 أفريل أعلنت قبيلة صدامة عن قيام سلطان خاص بها، على غرار ما حدث في منطقة الشلف التي أعلنت عن قيام سلطانين، وتوج هذا الإعلان عن مقتل رئيس المكتب العربي لتتس والقضاء على كتيبة من الصباحية التي كانت توفر له الحماية. والتفت القبائل المجاورة لصدامة دعما لهذا الإعلان رافعين راية الثورة، ولم يقرر الجيش الفرنسي التحرك واعتقد أن هذا الأمر مبالغ فيه²، لكن بمجرد وصول الخبر إلى المقدم دوكوت (de Cotte) قام بإعداد حملة عسكرية تتكون من ثلاث كتائب وفصيلة من البطريات ومدفعية، ثم توجه نحو مواطن صدامة، وعند وصوله أبلغه آغا المنطقة بأن الثوار يزيد عددهم عن 6000 فارس، وبناءا على ذلك لم يغامر بقواته واعتبر أن أي هجوم لن يكون في صالحه، ولذلك قرر أن يتخذ لقواته موقعا على وادي مينا ريثما تأتيه الأوامر.

وفي هذه الأثناء قرر الجنرال لاموريسيار التوجه في اليوم الموالي لنجدة المقدم دوكوت، ثم راسل القائد الأعلى لوهران يطلب منه الدفع بالمزيد من القوات إلى سيدي بلعباس، كما وجه في ذات السياق أوامر إلى قادة كل من تلمسان ومستغانم³، وعلى الساعة السادسة مساء وصلت مراسلات من معسكر بتاريخ 29 أفريل أن القدم دوكوت لا يستطيع مواجهة هذا العدد من الفرسان، ويبدو أن هناك معلومات وصلت إلى المقدم دوكوت تشير بأن العدد أقل بكثير مما ذكر، وتأكد هذا الأخير من خلال إيفاد سرية استطلاعية أكدت له الخبر وأن عددهم لا يتجاوز 300 فارس بعين عسكورة، فأرسل عدد من القذائف باتجاه الثوار الذين انسحبوا إلى اتجاهات مختلفة⁴.

¹ - L'Echo d'Oran. 30/5/1846. N° 86. P1

² - A. N. O. M. H209: « Journal des marches et opérations militaires de la colonne sous les ordres de M. le lieutenant-général commandant la province d'Oran, avril, mai 1845. » P6

³ - A. N. O. M. H209. Op.cit. P7

⁴ - Ibid. P8

وبتاريخ 03 ماي تلقى الجنرال لاموريسيار برقية من الحاكم العام تفيد بأن المناطق الواقعة بين تيارت والظهرة في حالة تمرد¹، وأنه سيغادر الجزائر متوجها إلى الونشريس مرورا بمليانة، وهذا يدل على أن قبائل المنطقة كانت تنتظر وعلى استعداد لمواجهة القوات الغازية، كلما سنحت لها الفرصة بذلك، وها هي تلتف حول المرابط بومعزة الذي تعزز موقفه من خلال دعم الثوار له، في حين قام الجنرال لاموريسيار بجمع حوالي 1000 فارس نظامي ثم توجه إلى تيارت لتوفير المزيد من المؤن في هذا المركز. وهناك التقى بالمقدم دوكوت وقاما بمطاردة فرع من صدمة التي حاولت الفرار ناحية عين الحديد، فقسم قواته إلى ثلاث مجموعات²:

تتكون المجموعة

◀ الأولى: من القوم.

◀ والثانية: تضم كتيبة من قناصة إفريقيا التاسعة.

◀ الثالثة: وتشمل كتيبة من قناصة إفريقيا الرابعة.

◀ الثلاث مجموعات بقيادة المقدم دوكوت

في حين وضعت كتيبتين تحت قيادة العقيد برثي (Berthier) وهي بذلك تشكل جميع القوات الاحتياطية لكتائب الفرسان، كما تم استقدام الرائد دينوي (Dinoy) على رأس قوة هامة من سيدي بلعباس، ثم التحقت قوات أخرى بقيادة الرائد ملارب (Malherbe)، إن حشد كل هذه القوات لتعقب فرع من قبيلة صدمة يدل على الخوف الذي كان ينتاب الجيش الفرنسي أثناء تحركاته، تحسبا لأي مفاجئة قد تأتي من طرف الثوار والتقت كل هذه القوات في عين الحديد يوم 07 ماي على الساعة العاشرة صباحا³، وظلت هذه القوات تراقب الوضع دون معرفة تواجد الثوار، فوصلت معلومات مؤكدة عن مكان تواجدهم، مما استدعى تحريك قوات هامة بتاريخ 08 ماي باتجاه عين سبيبة الواقعة على بعد 8 كلم جنوب شرق

¹ - Ibid. P9

² - Ibid. P9

³ - A. N. O. M. H209. Op, cit. P11

فرندة، ثم عبرت إلى سهل التات أين تم محاصرة ثوار صدامة وألقي القبض على قادتهم، فأوفدوا ممثلين عنهم للدخول في مفاوضات من أجل تهدئة الأوضاع وانتهت المحادثات بفرض غرامة مالية قدرت بـ 100000 فرنك¹.

وبتاريخ ماي 14 تلقى الجنرال لاموريسيار مراسلة من الحاكم العام تفيد بأن قبيلتي الكرايش وحلوية أنظمتا لمقاومة بومعزة، وفي طريقه إليهما عدل من خطته بعدما سمع بتواجد الأمير في الجنوب²، وحاول قطع الطريق أمامه، خوفا من استنهاض القبائل هناك مما قد يؤدي إلى تشتيت القوات الفرنسية التي أصابها الارتباك في مواجهة حالة العصيان التي أبدتها معظم القبائل من خلال انضمامها لثورة بومعزة. وبتاريخ 02 جوان تحرك الجنرال بورجولي (Bourjolly) بعد صدور المعلومات إليه، وتوجه إلى قبيلة الكرايش الغرابية والشراقة لمصادرة أسلحتهم³، وعندما تأخرا في إيداع بنادقهم انتقمت منهم القوات الفرنسية بحرق حقولهم، وأجبرتهم على تسليم 400 بندقية⁴.

16-1-حادثة مقتل الملازم لاكوت (La Cotte):

كانت سنة 1845 نذير شؤم للفرنسيين، الذين اعتقدوا أنه لم يبق لهم سوى بعض جيوب المقاومة، والتي سيتم تجفيف منابعها في غضون أسابيع، ولم سيتمر الوقت طويلا حتى فاجأهم الشريف بومعزة بثورته التي أعادت للمقاومة نشاطها من جديد، فأخذ ينتقل بين القبائل في منطقة الظهرة والشلف ويحرض الناس على المقاومة، وبلغت به الجرأة أن ضرب تحصينات مستغانم⁵، فتعزز موقف الأمير الذي أخذ يضرب بقوة من جديد، وكان لحادثة سيدي براهيم الشرارة التي أوقدت النار في الهشيم. ففي جنوب تلمسان قامت القبائل التي تقيم في هذه المناطق بنصب كمين في سبدوللكتيبة المرابطة في المدينة وقتل فيها خصوصا

¹ - Ibid. P11

² - Ibid. P15

³ - A. N. O. M. H209: « Journal des marches et opérations militaires de la colonne de M. le maréchal de camp ,commandant la subdivision de Mostaganem du 1^{er} juin au 14 juillet 1845» P2

⁴ - A. N. O. M. 1H12

⁵ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 263.

قائد الكتيبة بيلو في واحد أكتوبر¹، وفي تيارت كان الكمين الذي نصبته قبيلة بني مدين، يعتبر ضربة موجعة لجيش الاحتلال حيث تم استهداف قائد المكتب العربي لأكوت لمدينة تيارت² التي كانت تحيط بها مجموعة من القبائل التي ظلت وفية للأمير عبد القادر، وظل مركز تيارت الذي يعتبر همزة وصل بين التل والصحراء، المكان الذي يتم منه تموين العمليات العسكرية في مناطق الجنوب والجنوب الشرقي.

وكانت قبيلة بني مدين التي أجبرت على الاستسلام وهي مكرهة تدفع الضرائب للسلطات الفرنسية بصفة منتظمة ولمدة عامين، ولما عادت المقاومة الى النشاط مع ثورة الشريف بومعزة الى جانب انتصارات الأمير عبد القادر، بدأت في التحضير للقيام بعمليات عسكرية نصره للمقاومة³. وفي 28 أكتوبر وصلت معلومات إلى الملازم لأكوت بأن هناك أمر ما يدبر عند قبيلة بني مدين، فتوجه بمعية 12 من حراسه وقصد القبيلة⁴، ولما وصل مع فرسانه استقبله رجالها بالأصابع على الزناد فهاجموهم وقتلوهم وحزت رؤوسهم⁵، ولم ينجو منهم سوى جند واحد يدعى مارتى (Marty) الذي لم يصل إلى تيارت إلا بمشقة الأنفس، وحاول لأكوت الفرار لكنه وقع في الأسر، وتم تسليمه للأمير عبد القادر⁶، الذي وفر له الحماية وعامله كقائد عسكري أسير وفق ما تقتضي الشريعة الإسلامية، وكان الأمير عبد القادر يفضل أسر الجنود الفرنسيين على قطع رؤوسهم مراعيًا في ذلك الجانب الإنساني والأخلاقي، وهذا عكس ما كانت تدعيه السلطات الفرنسية، ثم سلمه للسلطات الفرنسية التي نقلته الى مستشفى بوغار حيث لفظ آخر أنفاسه⁷.

¹ - اسماعيل العربي، المصدر السابق، ص 264.

² - August Ducat: « La guerre en Afrique. » Paris. 1846. P75

وينظر:

-A. N. O. M. 2M81: « Commune mixte de Tiaret. Historique succinct et role joué par les tribus dans les différentes insurrections. »

³ - Henri Barlette. Op,Cit. P335

⁴ - Op, cit. P 76

⁵ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 90.

⁶ - الآغا المزاري، المصدر السابق، ص 223.

⁷ - August Ducat. Op,cit. P 87

وبعد هذه الحادثة أعلنوا عن خضوعهم لسلطة بومعزة، فوصلت الأخبار للسلطة الفرنسية في تيارت، فسيرت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الرائد نونتيفس (Nonteves) للانتقام لمقتل لأكوت ولما كانت القوة التي جمعها غير كافية لتحقيق انتصار كاسح¹، حاول استخدام الطرق الدبلوماسية لثني القبيلة عن مناصرة بومعزة. لكن تفوق جيش الاحتلال وحاصره للمقاومة، دفع قبيلة بني مدين الى اللجوء ناحية فليته فاعتضت سبيلهم القوات الفرنسية ومنعتهم من اللجوء²، فانضموا الى قوات الأمير المتجهة نحو متيجة، ولما تعثر جيش الأمير، عادوا هذه المرة الى الأغواط ثم الى أولاد سيد الشيخ أين لحقت بهم قوات فرنسية وانتقلت منهم في جنوب الأبيض سيد الشيخ³. فالتحقوا بالأمير عبد القادر في منطقة ملوية، ثم عادوا إلى مواطنهم بعد توقيف الأمير عبد القادر للقتال فأسرت فرنسا أربعة عناصر بارزة منهم وأرسلتهم إلى سانت مارغريت (Sainte- Marguerite).

16-2-موقعة تامدة 23 ديسمبر 1845:

وفي 23 ديسمبر خرجت قوات تقدر بـ 400 فارس بقيادة الجنرال يوسف بحثا عن الأمير ولما وصلت الى وادي تامدة لمحوا خيالة الأمير⁴، وهي تمر بالقرب منهم، فتظاهر الأمير بالهروب فوق يوسف في الفخ وتبعه بقوة 2000 فارس، وبعد أن ابتعد بالفرنسيين بعض الوقت استدار فجأة، وأصبح الطرفان وجه لوجه، وسقطت الأمطار بغزارة مما عرقل انطلاق الأسلحة النارية الفرنسية⁵، وعجل بانتهاء المواجهة بوصول تعزيزات عسكرية بقيادة العقيد لاميرو (Lamirault) الذي سحب القتلى والجرحى، ونجا الجنرال يوسف من الوقوع في أيدي قوات الأمير⁶. وظلت منطقة تيارت بعد توقيف الأمير للقتال مسرحا وعونا لمقاومة أولاد سيدي الشيخ ضد جيش الاحتلال الفرنسي.

¹ - 10H53. P934

² - Ibid. P934

³ - Ibid. P935.

⁴ - August Ducat. Op,cit. P291

⁵ - شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 298.

⁶ - August Ducat. Op,cit. P297

وخلص القول أن منطقة تيارت وفرت بحكم موقعها الجغرافي الممتاز قاعدة عسكرية للأمير عبد القادر الذي إتخذ من تاقدمت عاصمة لجيشه، ومنها كان يشن الهجمات العسكرية على القبائل الصحراوية التي رفضت الإنصياع لأوامره، ومباغته جيوش العدو الفرنسي، مما دفع بالقادة العسكريين الفرنسيين إلى تكثيف عملياتهم العسكرية ضد جيش الأمير المتحصن في مدينة تاقدمت، فتمكن من تدميرها وتخريبها. وبوصول جيش الاحتلال إلى منطقة تيارت، إكتشف مدى إتساع رقعة الهضاب العليا وأخذ يتطلع إلى تحقيق المزيد من التوسع، وهناك إصطدم بمقاومة قبائل منطقة تيارت التي أبدت شجاعة نادرة في رد العدوان، لكن جيش الاحتلال المدرب والمنظم والمدجج بالأسلحة والمدعوم من طرف قبائل المخزن إستطاع أن يحتل المنطقة، ويجبر القبائل على الخضوع والإستسلام، ولكن رغم ذلك كانت قبائل تيارت تشهر السلاح في وجه المعتدي كلما سمحت الظروف بذلك، والدليل على ذلك أن معظم قبائل منطقة تيارت أعلنت عن إنضمامها لمقاومة الشريف بومعزة سنة 1845. ووجهت المقاومة ضربات عسكرية قوية لجيش الاحتلال والمتعاونين معه، في مناطق مختلفة من تراب الولاية، لكن ضعف التنسيق بين القيادات المحلية، وزعماء المقاومة والحضور العسكري لقوات الاحتلال، حال دون تحقيق الأهداف المتمثلة في دحر القوات الغازية وطردها، وظل رجال المقاومة يرقبون الوضع عن كثب، لكن إقدام الأمير على توقيف القتال بعد مقاومة باسلة، تراجعت المقاومة التي يبدو أنها كانت تبحث عن زعامات تتصدر المشهد من جديد.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

إسهامات قبائل تيارت في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م.

1. ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م
- 1-1- إبرام معاهدة لالة مغنية 1845 وترسيم الحدود بين الوجود الفرنسي بالجزائر والمغرب الأقصى.
- 1-2- ثورة سي سليمان بن حمزة وانضمام قبائل تيارت إليها.
2. أسباب الثورة:
3. الباش آغا سي سليمان يرأس القيادة الفرنسية لإحتواء الموقف.
4. معركة عوينات بوبكر يوم 8 أبريل ومشاركة قبائل الأحرار فيها:
 - أ. نتائجها.
5. تخلي قبائل تيارت عن فرنسا دعماً لثورة أولاد سيدي الشيخ.
6. ثورة فليطة وتداعياتها على منطقة تيارت.
- 6-1- حادثة الرحوية 21 ماي 1864م.
- 6-2- إستراتيجية الإستعمار في القضاء على ثورة لزرق بلحاج.
7. الإستعدادات الفرنسية العسكرية لتطويق الثورة وإجهاضها.
8. تحركات الجنرال مارتينو العسكرية في منطقة تيارت.
- 8-1- توقيف الحاج البشير قاضي فرنده.
- 8-2- الثورة تستهدف مدينة فرنده 12 جويلية 1864.
9. المقاومة في جنوب شرق وشرق تيارت.
- 9-1- المقاومة في جبل الناظور (السوقر).
- 9-2- الحصار والإبادة.

تناول في هذا الفصل مشاركة قبائل تيارت في انتفاضة أولاد سيدي الشيخ، التي تعتبر امتدادا للثورات والانتفاضات التي شهدتها مناطق مختلفة من القطر الجزائري، وعلى رأسها مقاومة الأمير عبد القادر، وجاءت هذه الانتفاضة التي اكتسحت مجالا جغرافيا واسعا، لتعبر عن رفضها للسياسة الاستعمارية الرامية إلى ضرب مكامن القوة التي كانت تتوفر عليها الزعامات الدينية، التي كانت تتمتع بقدرة هائلة على تجنيد الأتباع بالآلاف ولايزال في استطاعة أشرافها ومرابطيها إلحاق أضرار جسيمة بالعدو وتكبيده خسائر فادحة في الأرواح.

ومن جهة أخرى ظلت الزعامات المحلية في منطقة تيارت تنتظر الفرص لكي تعلن رفضها لمرسوم 1863 حول الأرض العرشية وتمليكها للأفراد، حيث سعت فرنسا إلى اغتصاب الأرض ومنحها للأوربيين، كما حدث مع قبيلة الحوارث التي سلبت منها أرضها الخصبة الواقعة في سهل التات، وتم تعويضها بأراض فقيرة في دير الكاف. كما عان البعض منهم من جور سلطة القياد والمكاتب العربية التي تضطهدهم وتسلب أرزاقهم. ولاشك أن بعض الزعامات التي الكبيرة التي كانت تتمتع بنفوذ قوي لدى أتباعها إستغلتها فرنسا ووظفت إمكاناتها البشرية والمادية في خدمة الإحتلال وتوسيعه، مما دفعها إلى الإنضمام لثورة أولاد سيدي الشيخ، التي علقت عليها قبائل منطقة تيارت آمالا كبيرة في التخلص من الإحتلال وخدامه، ولذلك قدمت كل ماكان في وسعها لإنجاح العمل الثوري، رغم إمكانياتها البسيطة، ودفع البعض منها ثمنا باهضا إيمانا منها بأنه لن يذهب سدا. ورغم الألام والتشريد والبؤس والفقر الذي لم يفت في عضدها، ومع ذلك أصرت معظم القبائل على تقديم السند والعون للمقاومة وذلك من خلال القيام بعمليات منسقة إستهدفت مراكز العدو والزعامات والقيادات المتعاونة معها، فكان لها أثر كبير في إستمرار المقاومة، رغم تمكن قوات الإحتلال من قتل العديد منها، وشل قدراتها وإمكانياتها وتشتيت صفوفها وتمزيق وحدتها من خلال التفريق بين عناصرها بإستخدام طرق وأساليب مختلفة أثبتت نجاعتها نسبيا.

1. ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م:

بعد أن تمكنت فرنسا من القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر في القطاع الوهراني وثورة الحاج أحمد في الشرق الجزائري، بدأت أنظار جيش الاحتلال تتجه نحو الجنوب الغربي، للسيطرة على هذه الربوع لما تمثله من أهمية استراتيجية تسمح للفرنسيين بالتوغل في الجنوب الغربي للقيام بعمليات استكشافية في قلب الصحراء الجزائرية، للتعرف على إمكانات الصحراء الاقتصادية والبشرية، كما أن المنطقة تتمركز فيها قبائل عديدة منها قبيلة أولاد سيدي الشيخ وزاويتهم الشهيرة المعروفة بالشيخية¹، والتي كانت تتمتع بنفوذ ديني وسياسي جعلها صاحبة الزعامة في المنطقة.

1-1- إبرام معاهدة لالة مغنية 1845 وترسيم الحدود بين الوجود الفرنسي بالجزائر والمغرب الأقصى.

إن التوقيع على معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845م والتي كان الهدف منها فك النزاع بين بين المغرب الأقصى وفرنسا، إذ بموجب هذه الاتفاقية تم ترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب وحددت معها مصير بعض القبائل المنتشرة على هذا الخط²، أدت الى انشطار قبيلة أولاد سيدي الشيخ الى قسمين³: فأصبح أولاد سيدي الشيخ الشراقة تحت نفوذ السلطة الفرنسية وفرع الغرابة تحت سلطة المغرب. وحاولت فرنسا استثمار هذه المعاهدة في التوسع

¹ - بودواية مبخوت، "دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية"، مجلة المواقف، عدد خاص أبريل 2008م، ص 354.

² - المعاهدة الواقعة في "لالة مغنية" بين الدولتين الفرنسية والمغربية يوم 18 مارس حيث يذكر البند الرابع أن أرض الصحراء لآحد لها بين الجانبين لكنها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإلتين التي تنزل فيها وتتنعق بخصبها ومائها ولكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء من غير معارض، إن امتازت وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة إختلاطها برعية غيره، فليكيف عن غير رعيته، ويحدث في رعيته ما يشاء، فالأعراب الغربية هم المهاية وبني غيل وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وعمور الصحراء وحميان الجنبية، والأعراب الشرقية هم أولاد سيدي الشيخ الشراقة وكافة حميان من غير حميان الجنبية.

ينظر: إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م- 1934م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، هامش، ص 262.

³ - الدكتور يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2009م، ص 170.

جنوبا والحد من سيطرة أولاد سيدي الشيخ الدينية والدنيوية على المنطقة¹، وإرغامها على الانطواء تحت السيطرة الفرنسية بالجزائر لاسيما الفرع الشرقي الذي كان يتزعمه سي حمزة ولد بوبكر الذي قرر أن يضع نفسه تحت تصرف السلطات الفرنسية²، بعد أن شاور أسرته من الشراقة ومن بينهم: الحاج قدور بن صحراوي قائد قبيلة الأحرار، ومحمد بن الأعرج أحد سكان الأحرار، وعبد القادر بن خالد قائد سكان تيارت وخلصت المشاورات الى الاتفاق على فكرة سي حمزة³، الذي حظي برضا الفرنسيين الذين عينوه خليفة لهم على الصحراء الجنوبية الممتدة من حدود المغرب الى ورقلة.

قدم سي حمزة خدمات جليلة لفرنسا، حيث قام بمساعدة العقيد (Durieu) في سنة 1953 من الوصول إلى صحراء متليي وميزاب، وتمكن لأول مرة من رفع العلم الفرنسي في قصور ورقلة ونقوصة⁴. كما ساهم في تهدئة الأوضاع الأمنية بالجهات التي كان يسيطر عليها، فأخضع القبائل المناوئة لفرنسا منها قبائل الأرباع وأولاد نايل، أما ابنه بوبكر فهو الذي قبض على شريف ورقلة، محمد بن عبد الله سنة 1861م وسلمه للفرنسيين، وسي حمزة هو الذي أعان الفرنسيين في الوصول الى منطقة توات ومراقبة الطرق التجارية مع الجزائر⁵. قامت فرنسا بمكافأة سي حمزة على جهوده المتواصلة 1853م، فعينه خليفة على كل المناطق الممتدة من البيض الى ورقلة، وبقي بهذا المنصب مدة ثمانية أعوام تمكن فيها من فرض طاعته على منطقة ورقلة وإجبار أهلها على الخضوع، مما تسبب في خلق نوع من التوتر بين الطرفين، فلجأ سكانها الى اتهامه بالتواطؤ مع الثوار، فوجدت فرنسا في ذلك فرصة لإبعاده عن القيادة، ثم تم توقيفه من قبل السلطات الفرنسية وظل رهن الاعتقال وذلك

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1860م - 1900م، الجزء الأول، دار البصائر الجزائر، ط6، 2009م، ص 181.

² - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 354.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

⁴ - A. N. O. M. 22H9. Pénétrations militaires et sahariennes (1842-1860): « Histoire des Ouled Sidi Cheikh. » P49

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 182.

للحد من نفوذ وسمعة الأسرة الجزائرية الكبيرة، كما حدث مع العائلات الكبرى في الوسط مثل أولاد المختار وعائلة التيجاني وفي الشرق عائلة بن قانة وبوعكاز بن عاشور.

1-2- ثورة سي سليمان بن حمزة وانضمام قبائل تيارت إليها:

لقد عينت فرنسا سي بوبكر برتبة باش آغا بمبلغ سنوي يقدر بـ 8000 فرنك وسار على نهج والده فقدم خدمات للفرنسيين ولاسيما في إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله الذي فر من سجن الأغواط، وقام بملاحقته لمدة أربعة، ولم يتمكن منه إلا بعد معركة ساخنة سنة 1861م¹، وبذلك يكون قد أنهى مقاومة الشريف محمد ووفر كثير من الجهد للجيش الفرنسي، وبقي في الحكم أقل من سنة واحدة، وتوفي يوم 23 جويلية 1861. في ظروف غامضة، واعتبرت التقارير الفرنسية أن وفاته كانت بمثابة خسارة كبيرة للفرنسيين، الذين وجدوا فيه خير نصير لقضيتهم وأهدافهم الاستعمارية².

وبعد عينة فرنسا في مكانه آخاه سي سليمان بن حمزة، وذلك بتاريخ 23 سبتمبر 1862 والذي لم يكن يتجاوز عمره الثانية والعشرين سنة بنفس اللقب والرتبة وبمبلغ مالي سنوي قدره والآخر بـ 8000 فرنك³، والذي قدم خدمات هو الآخر للفرنسيين، ففي 19 ديسمبر التقى بالنقيب بيران (Burin)⁴، في تاجرونة وقدم له رسائل تفيد بأن الشعانبة على أتم الاستعداد لتقديم ضريبة اللمزة، وتمكن من إلقاء القبض على أحمد بن أحمد قايد أولاد علوش المتورط في أحداث قورارة فتم اعتقاله في البيض⁵.

¹- A. N. O. M. 22H9. Op,cit. P 51,52

²- A. N. O. M. 22H9. Op,cit. P52

³- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 175.

⁴- ولد بيران في 1823/9/25 ب Clermont- Ferrand، تطوع في فرقة 52 سنة 1841، التحق بمصلحة الإدارة الأهلية في 1852/12/10 كعون متدرب في بدائرة زمورة ثم رقي عون درجة ثانية ليكون ببنيمور ثم رقي الى عون دلرجة أولى سنة 1855 وعين بسيدي بلعباس ليعين بعدها مباشرة في نفس السنة رئيس مكتب جيري فيل وينظر:

R. Peyronnet: « **Livre d'Or des officiers des affaires indigènes.** » (1830- 1930)T. 2. Imprimerie algérienne. Algérie. 1930. P870

⁵- A. N. O. M. 2H52. Total principal des impots de 1863 pour chacune des tribus révoltées au 25/9/1864. Op,Cit

ومن جهة أخرى قامت فرنسا بإبعاد سي الزبير الذي لم يعد قادرا على ممارسة مهامه بسبب اعتلاء صحته، فوجدت في شقيقه سي لعلا خير خليفة له، وكان هذا الأخير يضمم العداء للفرنسيين الذين كانوا وراء مقتل سي حمزة وسي بوبكر، فأخذ يشجع بن أخيه سي سليمان على الثورة¹، للانتقام ومواجهة الأطماع الفرنسية في المنطقة مستغلا في ذلك انشغال الفرنسيين بحروب خارجية. وتمكن بفضل حنكته السياسية من إقناع ابن أخيه بإشعال نار الثورة، التي استقطبت عدد كبير من القبائل التي يبدو أنها كانت تنتظر من يأخذ بيدها الى الفعل الثوري، الذي ظل متوقدا رغم نجاحات الاستعمار النسبية في إخماد الثورات الشعبية، لكنه لم ينجح في القضاء عليها قضاء مبرما، ومن القبائل التي لبت نداء الجهاد في منطقة تيارت قبيلة الأحرار وأولاد خليف وأولاد شايب وقبيلة الجبلية والكسالنة وبني عفان وأولاد منصور الذين دفعوا البعض منهم ثمنا باهظا على مشاركتهم في الثورة وسوف نخصص لهم في هذا الفصل حيزا هاما يليق ببطولاتهم الباسلة. امتدت الثورة الى التل شمالا والى المناطق الشرقية، وجندت لها فرنسا عددا كبيرا من جيوشها ومحاصرتها حتى لا تنتشر في المناطق التي تضم أعدادا هامة من الأوربيين².

ومن جهة أخرى لقد انتهجت فرنسا سياسة براغماتية في التعامل مع القيادات النافذة منها الزعامات الدينية والقبلية، وذلك من خلال التقرب منها، وجعلها واسطة بينها وبين أتباعها، مقابل امتيازات تنوعت بين منح الوظائف الإدارية مصحوبة بالألقاب، والامتيازات المادية كالإعفاء من الضرائب³، وكان الهدف الأساسي من وراء ذلك هو تشتيت قوتها السياسية وتحطيم نفوذها من خلال السياسة الإقصائية التي اتبعتها فرنسا مع العائلات ذات الثقل السياسي والديني، والتي استفادت منها في فترات معينة، ونفس السياسة استعملتها مع أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا متخوفين من التمدد الفرنسي نحو الجنوب الغربي، وخاصة بعد

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 175.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 186.

³ محمد العيد مطمر، "الجانب العسكري في ثورة أولاد سيدي الشيخ" (1864 - 1874) حول ثورة 2، 9/1864

تمكن فرنسا من القضاء على ثورة الأمير عبد القادر، ولذلك لم يتأخر سي حمزة وابنه البكر في تقديم العون لفرنسا من أجل دحر الحركات العصيانية وعلى رأسها ثورة محمد بن عبد الله¹. كما لم تبخل عليهم بإرشادهم في استكشاف عين صالح وتوات². وكل هذا يندرج ضمن خطة مرسومة سلفا لتجنب الاصطدام بفرنسا واتقاء شرها.

لكن رغم الخدمات التي قدمها سي حمزة وابنه الأكبر سي بوبكر لفرنسا، إلا أن ولاءهم ظل دائما محل شك، كما حدث من قبل مع القبائل التي وقفت الى جانب فرنسا ضد الأمير عبد القادر في مقاومته ولقد عبر لاموريسيير (Lamoricière) في هذا السياق بقوله: «... وذلك أننا لا نستطيع على أية حال أن نثق ثقة تامة في الأهالي. فهؤلاء سيغتمون أول فرصة ليثوروا ضدنا فأخضع العرب لسلطتنا إن هو إلا مرحلة انتقالية ضرورية بين حرب الاحتلال والفتح الحقيقي»³.

إذن يتضح من خلال ما سبق إن مسألة تعيين رؤساء القبائل والزعامات الدينية لم يكن بأي حال من الأحوال خدمة للسكان المحليين، بقدر ما كانت مجرد سياسية لكسب الوقت، واستقدام الأوربيين الذين سيتم الاعتماد عليهم في تثبيت الاحتلال من أجل السيطرة على البلاد وضرب مفاصل المقاومة وتشريد مناصريها. وفي مطلع الستينات حاولت فرنسا التخلص من القيادات الأهلية واستبدالها تدريجيا برؤساء المكاتب العربية الخاضعين مباشرة لسلطة الاحتلال، حتى لا يحدث ذلك ردود فعل عنيفة كالثورات.

2. أسباب الثورة:

أولا: يبدو أن سياسة الاستيطان التي انتهجتها فرنسا لتثبيت الاحتلال، قد أثارت مخاوف العائلات الكبرى ومنها قبيلة أولاد سيدي الشيخ وقبيلة الأحرار في تيارت على ممتلكاتهم⁴،

¹- Trumelet: « Notes pour servir l'histoire de l'insurrection dans le sud de la provinced'Alger. » R- A ,8^{ème} année. N° 43. Janvier 1864. PP181-182

²- Colonieu: « Voyage dans le sahara Algérien de Géryville à Ouargla. » Extrait du tour du monde. Paris ,1862. P 164

³- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 86

⁴- أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1860-1900، ص 186.

ومما زاد في قلق هذه العائلات صدور قرار سيناتوس كونسولت (Sénatus Consulte) المتعلق بتجزئة الأراضي الجماعية للقبائل والعروش سنة 1863م، وذلك من أجل تثبيت الملكية الفردية لدى العائلة الجزائرية الريفية أولاً، وصولاً إلى الهدف المنوط بهذا القرار الاقتصادي الاجتماعي الجريء لتفكيك عرى العروش والاتحادات القبلية القوية¹، والذي أدى إلى انفجار ثورة أولاد سيدي الشيخ التي لقت دعماً من قبائل تيارت وفليتة والظهرة والونشريس وغيرها من القبائل الأخرى.

ويرى البعض قد تكون فرنسا وراء إشعال نار الثورة الذي ستجد فيه مبرراً كافياً لمصادرة الأراضي وتمزيق القبيلة إلى قيادات لن يكون لها دور في المستقبل. إلى جانب تقزيم دور العائلة والعمل على تحطيم نفوذها السياسي والاجتماعي الذي كانت تتمتع به منذ فترة طويلة وذلك من خلال تخفيض اللقب الإداري².

في حين تعتبر جهات فرنسية إن إعلان الثورة كان بإيعاز من السي الفضيل خوجة مستشار الباش آغا سي سليمان الذي تلقى إهانة من قبل ضابط المكتب العربي بالبيض في سنة 1864م، والذي يبدو أنه غير مرغوب فيه من قبل السلطات الفرنسية، وهو من أصول تعود إلى أولاد ماضي من قبيلة دائرة، حيث غادر موطنه بعد مشاركة فعالة في الأحداث التي شهدتها منطقة الحضنة 1860³.

وأورد شارل فيرو رواية ذكر فيها الفتنة التي حدثت بين صفيين في القرارة عام 1863 وتلك سي سليمان في إخمادها متجاهلاً دعوة الفرنسيين لذلك. كما أن سي سليمان كان مقتنعاً بأن فرنسا هي التي تقف وراء وفاة أبيه، وأخيه سي بوبكر بن حمزة، ونشر ذلك بين زعماء القبيلة⁴.

¹ - إبراهيم مهديد، "القطاع الوهراني ما بين 1850 - 1919 م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية" منشورات دار الأديب، ص 40

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 185. وينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 177

³ - A. N. O. M. 2H52. Op,Cit

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 185.

ومن الأسباب أيضا ثقل الضرائب التي لها ليس فقط قبيلة أولاد سيدي الشيخ فقط، ولكن قبائل تيارت هي الأخرى نالت حظها من الضرائب الباهظة، فقبيلة الأحرار فرضت عليها فرنسا مبلغ كبير جدا قدر بحوالي 900 ألف فرنك بعد ثورة بومعزة وقبيلة بني مدين التي قتلت الملازم لاكوت ومرافقيه تعرضت الى عقاب شديد تمثل في نزع أراضيها وقتل زعمائها.

إن السياسة الاستعمارية وحدها كافية لتكون سببا في تمرد سي سليمان وانفصاله عن فرنسا، فبتاريخ 17 فيفري أعلم النقيب بيران القائد الأعلى لمعسكر بأن قبيلة أولاد سيدي الشيخ قد تخلت عن فرنسا، هذا ما أكده القايد محمد بن نعيمي من قبيلة أولاد سيد الشيخ الشراكة بعد وصوله إلى البيض، ومن بين الذين تزعموا الانفصال الباش آغا سي سليمان بن حمزة، وشقيقه سي محمد بن حمزة، وعمه سي الزبير بن بوبكر، حيث توجهوا نحو الجنوب للجوء عند الشعانبة¹، وبتاريخ 20 فيفري وصل خبر تخلي سي سليمان عن منصبه إلى الجزائر، وبتاريخ 23 فيفري تم التأكد بصفة رسمية من انفصاله عن فرنسا².

وفي بريزينة اجتمع مع حشد من أتباعه وإخوته، وتداول هناك الأمر مع من معه وانتهوا الى اتخاذ القرار الحاسم، وهو شن ثورة مسلحة ضد الفرنسيين³. فعين الباش آغا سي سليمان مجلسا عسكريا من عشرة أشخاص، أبرزهم كاتبه سي الفضيل الذي عينه "قاضي الجهادي" وعمه سي لعلا آغا ورقلة. وتم التأكد من المعلومات من خلال الرسالة التي بعثها قائد مقاطعة وهران الى الحاكم العام بيليسي.

شرع سي لعلا في التحضير للثورة بمنطقة أنومراك بشمال متليلي مع الشعانبة والمخادمة، وأبلغ قبائل سعيد عتبة، وطلب من أغوية ورقلة أن تجهز نفسها لتكون في مقدمة الثورة⁴، وتلقى الدعم من قايد التوارق المتمركز بالفليعة مستهدفا القبائل الموالية

¹- A. N. O. M. 22H9. Op,cit. PP57,58

²- A. N. O. M. 2H52. Op,cit

³- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص، 178

⁴- Innocenti: « **Insurrection au sud Oranais en 1881,Bouamama et le Colonel.** »Paris , 1893. P17

لفرنسا¹، وهناك مراسلتين الأولى تفيد بأن أولاد سرور من حميان الشراقة قد غادروا مواطنهم وانضموا للثورة، أما الثانية فتتضمن أن الجنوب الغربي في حالة غليان بقيادة أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابية².

قام القائد الأعلى بيران رفقة قوم من الطرافي بلغ عددهم 200 فارس، والقائد محمد بن النعيمي بالتوجه الى بريزينة لاحتواء الأزمة ومنع أولاد سيدي الشيخ من الهجرة، وكان يعمل في هذا الإطار بالتنسيق مع القائد العربي بلعرج الي تحرك على رأس 300 فارس من قوم الطرافي لتنفيذ نفس المهمة³.

3. الباش آغا سي سليمان يرسل القيادة الفرنسية لاحتواء الموقف:

بالرغم من الجهود التي بذلها سي سليمان في التحضير للثورة، ورغم اتخاذها لقرار إعلان الجهاد، إلا أنه كان يرى أفق تجاوز الأزمة ما يزال بيد السلطات الفرنسية في حالة إقدامها على حل المشاكل وإعادة الاعتبار لشخصه وعائلته. فوجه لهذا الغرض رسالة بتاريخ 16 مارس 1864 إلى القائد الأعلى للبيض حول الإهانات التي تستهدف شخصه، مذكرا إياه بالخدمات التي قدمها زعماء القبيلة رغم المصاعب التي تعرضت لها. كما بعث برسالة ثانية إلى الحاكم العام، أعرب له فيها عن استيائه الكبير من تصرفات ضباط المكاتب العربية، كما عبر من جهة ثانية عن تعاونه الكامل مع فرنسا وإخلاصه لها⁴.

وجاء الرد الفرنسي من طرف الماريشال بليسي (Pellissier) على رسالة سي سليمان والذي لم يجد فيها سوى تعابير عن الغطرسة والكبرياء على حد تعبيره، ورفض أن يكون بإستطعته التأثير في القبائل إلى حد حملها على المقاومة⁵.

وعند عودة الجنرال دليني (Déligny) من إجازته وذلك يوم 15 مارس، طلب عن طريق برقية بعث بها إلى البيض بتجهيز 80 حصانا وعدد من فرسان آغا سي أحمد ولد

¹- A. N. O. M. 11H12: « Rappports insurrection (1864-1865). »

²- A. N. O. M. 11H12. Op,cit. 15/3/1864

³- A. N. O. M. 11H12. Op,cit. 28/2/1864

⁴- A. N. O. M. 22H9. Op,cit. P 65.

⁵- Ibid. P66

قاضي ثم باشره بالقول: "إن مسيرتنا الصحراوية بدأت تتعثر وأن دائرتا البيض وسبدو أخذت تتفكك بسبب تمرد كل من أولاد سيد الشيخ الغرابة وأولاد سيد الشيخ الشراقة"¹، والظاهر أن تخلي أولاد سيد الشيخ الشراقة بقيادة سي سليمان، جعلت الجنرال دليني يدرك حجم المخاطر التي قد تنتج عن هذا التصرف، خاصة وأن زعامات أولاد سيد الشيخ كان لها تأثير كبير في كامل جنوب القطاع الوهراني، وكانت حينها على اتصال بكافة القبائل، والتي أبدى الكثير منها استعداداه للانضمام للمقاومة.

وحاول الجنرال دليني إستمالة سي سليمان، فكتب له رسالة هذا نصها: " يجب أن نذكرك بالخدمات التي قدمها والدك سي حمزة، وعن الرعاية التي أحاطته بها فرنسا وعن العطف والتقدير الذي حظي به، الرجاء منك التفكير مليا وعدم الانجرار وراء أهواء الذين يستغلون صغر سنك وعدم كفاية التجربة لديك"².

ولم يكف سي سليمان نفسه عناء الرد على الجنرال دليني، خاصة وأن الاستعدادات العسكرية للثورة قد قطعت أشواطاً متقدمة، ولا يمكن لعقارب الساعة أن تعود إلى الوراء وأن مجلسه العسكري قد حسم مسألة إعلان الثورة، ويتضح ذلك من خلال الاتصالات التي أجراها مع القبائل التي أعلنت موافقتها على الانخراط في الثورة.

وهذا ما أعلن عنه قائد معسكر من خلال البرقية الموجهة إلى قائد عمالة وهران والمؤرخة بتاريخ 22 مارس 1864 والتي يذكر فيها: " لقد قام قايد أولاد يعقوب بإبلاغ النقيب (Burin) يوم 20 مارس 1864 بأن قبيلته تمردت باستثناء دوارين اثنين، وقد تحصلت على معلومات تؤكد هذا الخبر من تيارت"³، في حين أمر النقيب بيران قياد أولاد مومن والقراريج وأولاد سيدي طيفور والرزيقات وأهل ستيتين بالتحرك صوب تاجرونة لتوقيف المتمردين ومنعهم من حمل بذورهم، وأنه يخشى أن يلتحق ما تبقى من الرزيقات بالمتمردين،

¹ - A. N. O. M. 2H52. Op,cit

² - A. N. O. M. 2H52. Op,cit

³ - GR1H230. Bis. dépêche télégraphique du 22 mars 1864

وعليه فالضرورة تستدعي تحرك سي أحمد ولد قاضي نحو البيض¹، وفي ليلة 19 مارس توجه قايد أولاد يعقوب على رأس قوة هامة من فرسانه الى تاجرونة ولما اقترب منها اشتبك مع أتباعه الذين كانوا يشكلون قوة تتكون من 170 عنصرا وأسفرت هذه الواقعة عن مقتل عنصر من أتباعه وجرح عدد آخر وفي هذه الأثناء تلقى النقيب بيران الأوامر من قيادته بملاحقة الثوار².

4. معركة عوينات بوبكر يوم 08 أفريل ومشاركة قبائل الأحرار فيها:

وأمام هذه التطورات الخطيرة أصاب فرنسا الهلع، فسارع حاكم وهران إلى إبلاغ الحاكم العام بخطورة الوضع في الجنوب الغربي، وطلب منه أن يتخذ إجراءات فورية لمواجهة الموقف، وصدر الأمر من الحاكم العام بتاريخ 23 مارس إلى العقيد بوبراتر³، (Beaupretre) القائد الأعلى لدائرة تيارت بالتحرك فوراً على رأس قوة عسكرية نظامية وأهلية تتكون من 400 فرد منهم 82 فرنسي و300 عنصر من الأهالي⁴، لوضع حد لهذه الثورة وقمعها وإجبار القبائل المتمردة على الخضوع والطاعة، ووافق الحاكم العام على إرسال حملة عسكرية تأديبية إلى البيض، وهوما حملته برقيته إلى قائد وهران بتاريخ 22 مارس 1864: "لقد حظي طلبكم بالموافقة على إرسال بوبراتر إلى جبل عمور لتنفيذ المهمة الواردة في برقيتكم"⁵، وبتاريخ 23 مارس أمر الحاكم العام الفرقة العسكرية المرابطة بالجزائر، للتوجه إلى طاقين لتقديم العون للعقيد بوبراتر، وأن يبقى القائد الأعلى لبوغار في وضع يسمح له بمراقبة الوضع هناك عن كثب وعلى إتصال ببوبراتر.

¹ - GR1H230. Bis. dépêche télégraphique du 24 mars 1864

² - Ibid

³ - بوبراتر: جاء إلى الجزائر شاباً ودخل صفوف فرقة الزواف، وكان لا يكاد يقرأ أو يكتب، وتدرج مع ذلك، في العسكرية والمسؤوليات حتى نال الأوسمة. تولى المكتب العربي في السور، وضرب ثورة أولاد نايل، وبعد ثورة القشطولة عينوه على النزلية في ذراع الميزان (1851) وفي 1855 عينوه في مركز تيزي وزو، وشارك من هناك في قمع الثورة سنة 1857 بزواوة، وكان اللقيط يوسف يكرهه فأمر بنقله (وهو المسؤول على قطاع الجزائر) فنقل بوبراتر إلى الغزوات بالغرب، ثم أرسل إلى تيارت وأصبح عقيداً على أن وقعت ثورة 1864. ينظر أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 187

⁴ - Général Du Jonchay: « **Insurrection des ouled Sidi Cheikh, 1864.** » Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran. P2

⁵ - GR 1H230. Bis. Dépêche télégraphique. N°47 , du 28 Avril 1864

وبتاريخ 24 مارس تم إبلاغ الجنرال دليني بأن سي سليمان موجود في متليلي، وأن سي لعلا رفقة البعض من الشعانبة اتجه ناحية جنوب متليلي. في حين ازدادت مخاوف فرنسا من أن يتم خرق الحدود المغربية، فقام القائد الأعلى لدائرة سبدو باتخاذ إجراءات احترازية، فسير حملة استطلاعية لمراقبة الوضع هناك¹.

وفي هذه الأثناء وصل العقيد بوبراتر إلى آفلو ومنه يتم الإتصال بالقوات الفرنسية المرابطة بطاقين. وتم التأكد من إنفصال سي لعلا عن فرنسا وتوسع المقاومة، فطلب حاكم مقاطعة الجزائر بزحف الجيش ناحية الجنوب لتقديم الإمدادات لدائرة الأغواط، التي قام حاكمها سوزوني (Suzzoni) بإرسال الضابط لوتولي (Letellier) رئيس المكتب العربي إلى هناك لمواجهة المستجدات، ومحاولة تهجير السكان الموالين للسلطات الفرنسية حتى لايتأثروا بالحوادث.

ويتضح من خلال البرقية المؤرخة بتاريخ 05 أفريل 1864²، والتي يذكر فيها قائد معسكر بأنه تلقى معلومات لا يرقى إليها أدنى شك، تفيد بتحريك سي سليمان باتجاه الشمال من أجل تحريض القبائل على الثورة ومواجهة العدو الفرنسي³، كما راسل سي سليمان زعماء القبائل منها الشاوية⁴، الكعابرة⁵.

¹- A. N. O. M. 2H52. Op,cit

²- S. H. D. GR1230. Bis. Insurrection dans la subdivision de Mascara,1864, Dépêche télégraphique du 5 avril 1864

³- S. H. D. GR1230. Bis. Op,cit

-A. N. O. M. 66 MIOM 125/1. Dépêche télégraphique N°506

وينظر:

⁴- الشاوية: قبيلة بربرية، يحدها مجموعة من القبائل وهي على النحو التالي قبيلة أولاد زيان، قبيلة الكعابرة، قبيلة أولاد سيدي خالد، وقبيلة أولاد زيان العرابية. تتكون قبيلة الشاوية من ثلاث بطون البطن الأول ويضم ثلاثة دواوير وهم المويسات، العويسات والمغازات والبطن الثاني ويتشكل من ثلاثة دواوير وهم أولاد الطيب، الحديدات والخلافة، والبطن الثالث ويضم الفزاع، بلغ عدد سكان القبيلة 1657 من منهم 96 فارسا و129 مشاة. أما ثروتهم فتتكون من 217 خيمة، 483 رأس من البقر و35971 رأس من الأغنام و3280 رأس من الماعز و115 حصان و1426 من الإبل

⁵- الكعابرة: قبيلة عربية وهي بطن من قبيلة الأحرار، يقع موطنها في المكنم الشرقي، ومن القبائل المجاورة لهم: أولاد زيان الشراقة، الشاوية، الأغواط أولاد بورزيق، وستين، وأولاد سيدي خالد وتضم القبيلة أربع بطون مشكلين بذلك ثمانية دواوير، البطن الأول يتكون من خمسة دواوير وهم: العرابية، العبادلة، العديدة، القواسم والزهبية والبطن الثاني ويضم الساكنة

أولا دزيان الشراقة¹، أولاد ميمون بجبل عمور، مستعملا ختم والده سي حمزة حتى يستميلهم إلى صفه²، ويتمكن من ضمان وقوفهم إلى جانبه ثم أخذ خط الثورة يتعزز بإنضمام معظم القبائل المجاورة للبيض. وصار نطاقها يزداد تدريجيا ليشمل مناطق واسعة من القطر الجزائري. وفي هذه الأثناء تلقى حاكم وهران رسالة من سي أحمد ولد قاضي ذكر فيها بأنه وجه خطابا للزعامات القبلية من أجل التصالح مع فرنسا، فأظهروا له إخلاصهم لها.

ومن خلال اطلاعنا على الوثائق المتوفرة لدينا وبمقارنة المعلومات الواردة فيها نستنتج أن عملية الاغتيال التي تعرض لها العقيد بوبراتر، كانت عملية مدبرة فالماريشال بيليسي كان على علم بتمرد سي سليمان ولكنه لم يتخذ أي إجراء لوأد هذه الحركة في المهد، بل ترك التمرد يتطور³، بحيث يكون من الصعب على القوة التي جمعها بوبراتر كافية لسحق الثوار. وإدعى بأنه لم يقيم الوضع بشكل صحيح، واعتبر ما يحدث مجرد عصيان سيتم معالجته بسرعة، ومع ذلك لم يقدم على أي خطوة لنزع فتيل الثورة، وجاءت تحركاته بعد رسائل متتالية تنذر بخطورة الوضع.

السؤال الذي لم نجد له إجابة مقنعة وهو لماذا لم يعط بيليسي أمرا للقوات المرابطة في كل من سعيدة والبيض بالتوجه نحو الثوار ومحاصرتهم هناك من كل الجهات؟ ولماذا إكتفى بيليسي ببعث قوة رمزية من الصباحية إلى طاقين؟ حسب ما جاء في البرقية التي بعث بها إلى قائد وهران وهذا نصها: "سوف يتحرك قوم من الصباحية بقيادة قائد بوغار،

أولاد يوسف والمرازقة، بلغ عددهم حوالي 1375 منهم 120مشاة و80فارس، وأهم ممتلكاتهم: 178خيمة و457رأسمن البقر و64778رأس من الغنم و6804رأس من الماعز و253حصان و2669رأس من الإبل

¹ - أولاد زيان الشراقة: وهم من أصول عربية، وبطن من قبيلة الأحرار يحد القبيلة غربا أولاد سيدي خالد وشرقا الشاوية وبني حسين وجنوبا الكعابرة وشمالا خلافة وأولاد بني عفان وبني مدين، وتتكون من بطنين مشكلين من ثمانية دواوير البطن الأول ويضم خمسة دواوير أولاد العروسي وأولاد قدور وأولاد بن هوار والعقيبات والمرابط. البطن الثاني ويتكون من ثلاثة دواوير وهم: أولاد حدو، أولاد يحي وأولاد مبارك. أهم ثروة لديهم: 268خيمة، بلغ عدد سكانها 2276 ن 121فارس و223مشاة، 437 رأس من البقر، 57259رأس من الغنم، 4880رأس من الماعز، 174حصان و3307رأس من الإبل

² - A. N. O. M. 66MIOM 125 /1

³ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 702

الذي ستكون مهمته مراقبة الوضع عن كثب ويكون على اتصال مباشر مع الكولونيل بوبراتر".

غادرت الحملة العسكرية تيارت يوم 24 مارس متوجهة صوب جير يفيل عبر منطقة جبل عمور، وفي يوم 25 مارس التحقت بهم العناصر الأهلية التي قادت القافلة التي توقفت في عين سعيد الواقعة في الجهة الخلفية من جبل الناظور جنوب السوقر¹، ثم واصلت طريقها إلى عين الوسخ (عين الذهب حالياً) أين إلتحق بهم بوبراتر رفقة النقيب إسناو والمترجم قبيسو من تيارت، وفيها علم الكولونيل بوبراتر بخبر تمرد قبائل الرزيقات وأولاد عيسى والقراريج الذين كانت فرنسا ستعتمد عليهم في سحق الثوار².

وفي 27 مارس انطلق قوم الأحرار بقيادة الحاج قدو ربن صحراوي وآغا الدين آغا جبل عمور اللذان تسلما سبعة صناديق من الذخيرة³، وكلفا بمراقبة وتأمين الطريق وتوفير الحماية لبوبراتر وجيشه وكان الهدف من إرسال هذه القوة العسكرية هو احتواء الثورة ومنعها من التوسع إلى المدن والمناطق الآهلة بالأوروبيين⁴.

ويبدو أن العقيد بوبراتر خالف التعليمات الصادرة إليه من مركز القيادة، حيث سار بجيشه خلف قوات سي سليمان، ولما حاول الاقتراب من البيض طلب من النقيب بيران بالتحرك والالتحاق به، لتوجيه ضربة عسكرية قوية للقبائل المتمردة التي أصبحت تشكل خطراً على الأمن والاستقرار في المنطقة⁵.

ثم أعقب ذلك وصول برقية جديدة بتاريخ 27 مارس تحت بوبراتر على البقاء في جبل عمور، لكنه يبدو أنه فضل التحرك في 01 أبريل نحو تملالك، في انتظار وصول قائد القوات بالبيض للتوجه نحو الغاسول على أن يبقى قوم الأحرار وجبل عمور على مسافة يوم

¹ - Général du Jonchay. Op ,cit. P3

² - Op,cit. P3

³ - Général du Jonchay. Op ,cit. P3

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 186

⁵ - S. H. D. GR 1H230. Dépêche télégraphique N°47 ,du 8 avril 1864

واحد من معسكر بوبراتر¹. لكن الذي حدث هو عدم التزام بوبراتر بالتعليمات الصادرة إليه من القيادة العامة، والتي تفيد بأن يبقي الأحرار تحت سيطرته، ويستطيع أن يتجنب أي مفاجأة قد تحدث في مخيمه.

ومن ثم توجه إلى رأس الكاف أين قضى هناك ثلاثة أيام، وتوقع حدوث انفصال قبيلة الأحرار فواصل مسيره باتجاه البيض لتأمين قواته²، وفي 07 أفريل قطع مسافة 17 فرسخا رفقة قوم أولاد خليف ووصل إلى عوينات بوبكر على الساعة الرابعة مساء، وعسكر هناك مع جيشه تاركا 1500 فارس من الأحرار وجبل عمور في بوعلام، كما طلب من حاكم البيض بأن لا يخرج مع حاميته العسكرية وفي نفس الوقت طلب منه إحضار قوم الترافي وقدمه شخصا مع سي أحمد ولد قاضي.

والمعروف أن أفراد الجيش يلتزمون بالتعليمات الصادرة إليهم فلماذا لم يتقيد بوبراتر بالأوامر الصادرة إليه؟ يجيبنا إسماعيل ولد المزاري³، الذي أطلعهم عن تفاصيل أحداث الجمعة 08 أفريل 1864 فذكر بأن الحاكم الأعلى للبيض الذي كان رفقة الآغا سي أحمد ولد قاضي اتصلا بالعقيد بوبراتر في مخيمه للتشاور معه، فعبر لهما عن قلقه الشديد في ما يتعلق بموضوع قوم الأحرار وجبل عمور⁴. الذين أرسلهم للقيام بعمليات استطلاعية، ومر من الوقت 24 ساعة ولم يظهر عليهم أي خبر، مما جعله يعدل من خطته لإنقاذ الموقف، والمؤكد أن سلطات الاحتلال كانت على علم بالاتصالات التي أجراها سي سليمان مع تلك القبائل فلماذا سمحت لقوات الأحرار وجبل عمور بالإنضمام الى طابور بوبراتر؟ وكان الإعتقاد السائد لديه بأن سي سليمان وقواته لايزال يعسكر بعيدا، ولهذه الأسباب لم تتخذ أي إجراءات إحترازية لمواجهة أي طارئ، وأنه سيصل الى البيض يوم 08 أفريل صباحا غير قراءته للأحداث لم تكن دقيقة وحدث مالم يكن في الحسبان⁵.

¹ - Ibid

² - Ibid

³ - S. H. D. GR 1H230. Bis. Op,cit

⁴ - S. H. D. GR 1H230. Bis. Dépêche télégraphique N° 125 du 13 avril 1864

⁵ - S. H. D. GR 1H230. Bis. Dépêche télégraphique N°47 du 8 avril 1864

وفي فجر يوم الجمعة 8 أبريل دخل النقيب بيران (Burin) وسي أحمد ولد قاضي رفقة اثنين من الفرسان إلى المعسكر، ثم تم اقتيادهما إلى خيمة بوبراتر، ثم عاد الفرسان مع ثلاثة عشر رجل من قوم سي أحمد إلى خارج المخيم، وبعد وقت قليل سمعوا طلقات نارية من ناحية الشرق، فاندفع قوم أولاد خليف والصحاري باتجاه المعسكر في ظل فوضى عارمة فاجأتهم وهم نيام¹، فحاول بعض الفرنسيين و44 من الصباحية التابعين لكتيبة تيارت الالتحاق بالنقيب (Thibault) والملازم (Perrin) اللذين قُتلا عند بداية الهجوم، فاقترب منهم العربي بن الطيب وعبد القادر ولد قدور هم من حراس العقيد بوبراتر إضافة إلى أربعة من رجال المشاة لنقل بوبراتر الذي تلقى رصاصة فسقط على إثرها ميتا².

وحسب البرقية رقم 820 المؤرخة بتاريخ 09 أبريل 1864 التي جاءت من معسكر إلى حاكم وهران تكشف عن تخلي بيران (Burin) عن ساحة المعركة³، حيث كتب إليه النقيب (Isnard) يحثه على المجيء بسرعة إلى مكان الحادث رفقة قوم سي أحمد ولد قاضي، ولا تنسى حمل المحمل لنقل الجريح بوبراتر⁴، وعلى الساعة 07 صباحا تحرك بيران الذي تأكد من تمرد كل من الأحرار وجبل عمور باتجاه عوينات بوبكر رفقة طبيب المركز، وتأسف لعدم وجود سيارات الإسعاف الكافية لنقل هذا العدد من الجرحى.

وفي البرقية المؤرخة بتاريخ 09 أبريل 1864 وفيها تم وصف وقائع الهجوم الذي قاده سي سليمان ورفقائه، مستهدفا العقيد بوبراتر وجنده، يقول صاحب هذا الوصف: "كانت الساعة الخامسة إلا ثلاث دقائق صباحا حسب ساعتني، كل الصباحية استيقظوا على وقع صوت الرصاص، وكان النقيب (Thibault) الذي خرج من الخيمة وهو يرتدي قميصا وأخذ يحث الجميع أحملوا أسلحتكم أسرجوا خيولكم"⁵.

¹- Michel Antar: « Chevauchées d'un futur St-Cyrien à travers les Ksours et oasis oranais. » Illustration par L. Benett. Paris. P52

²- GR1H230. Bis. Op,cit

-A. N. O. M. 10H40. Op,cit: ينظر

³- Michel Antar. Op,cit. P52

⁴- A. N. O. M. 66MIOM 125 /1

⁵- GR1H230. Bis. Dépêche télégraphique N°820 du 09 avril 1864.

وهذا يدل على أن الهجوم كان مباغتاً وتم التخطيط له مسبقاً وبدقة وذلك لإنجاح الهجوم، ويضيف قائلاً: "وفي هذه الأثناء حدث تراشق بالبنادق على الجهة الأخرى من المنحدر، أين تم نصب المخيم، فأسرع كل فارس نحو حصانه لسرجه لكن الأغلبية فشلت في مهمتها، بسبب إختلاط أصوات المهاجمين بأصوات البارود فتخلل المعركة جو من الرعب والذعر، مما جعل الكثير منهم غير قادر على طاعة أوامر قادتهم، وفر عدد منهم راجلين"¹.

ويصور لنا هذا المشهد حالة الفوضى والإرتباك التخطب الذي وقعت فيه القوات الفرنسية التي لم تتمكن من السيطرة على وقائع المعركة رغم الإستعدادات التي وضعتها القيادة العسكرية لمواجهة الوضع المتأزم في البيض، إلا أن حملتها العسكرية التي كان يتوخى منها القضاء على تمرد القبائل في الجنوب وسحق الثوار كما جاء على لسان العقيد بوبراتر لم تلق النجاح كما كان مخططاً لها.

وهذا ما ذكره الجنرال جونشاي عندما قال: "كانت هناك فوضى عارمة لما حاول القوم والصاباحية وبعض الراجلين البحث عن مخرج"². وتمكن الثوار من دخول المخيم والقضاء على الفرنسيين والمتعاونين معهم، وفي هذا يقول: وتعرض المخيم الى الغزو من قبل المهاجمين، وكل من لم ينجح في إمتطاء صهوة جواده ترك سلاحه وذخيرته وقصد الجهة الثانية من الوادي.

وحينما حاول النقيب (Thibault) الخروج من الخيمة تلقى عدة رصاصات فسقط على إثرها على الأرض، كما لم ينجو الملازم (Perrin) الذي كان على صهوة جواده فأصابته رصاصة فسقط هو الآخر³. ويبدو من خلال هذا الوصف للأحداث أن المهاجمين كانوا في وضعية مريحة سمحت لهم بقنص كل جسم متحرك إلا من فر أولجاً إلى المنحدر وتوارى عن الأنظار ويختم قوله: ولم أشاهد أكثر من ذلك، فقدت جوادي وحاولت النجاة بنفسي

¹ - GR1H230. Bis. Op,Cit

² - Général Du Jonchay. Op,cit. P6

³ - GR1H230. Bis. Dépêche télégraphique du 09 avril 1864

راجلا، أحمل بندقيتي وكم كانت سعادتني كبيرة لما إلتقيت مجموعة من الصباحية، الذين حملوني رديفا معهم¹. كانت قواتنا التي غادرت تيارت تتكون من نقيب وملازم فرنسي، وملازمين من الأهالي 90 سيفاً منهم 23 فرنسيين و77 من الأهالي، وهكذا يكون عدد الناجين 53 سيفاً ولم يبق بعد معركة 08 أبريل سوى ملازمين من الأهالي و06 فرنسيين و47 من الأهالي إذن ما تبقى 53 سيفاً أما الباقي فقد إختفى². ثم يضيف قائلاً: 53 من الصباحية الذين كنت أنا واحداً منهم اجتمعنا حول السيد محمد بن تمار، وحمو ولد المرجاجي وهما الضابطان الذين نجيا من الحادث، أما الضابط البيطري (Favelier) الذي رجع الى البيض لم أدرجه ضمن قائمة الضباط، هذه هي تفاصيل المشهد الذي عايشته والذي أشرف بنقله الى سيادتكم ولكم مني فائق الاحترام³.

4-1- نتائجها:

1. مقتل العقيد بوبراتر القائد الأعلى لدائرة تيارت المترجم (Thibault Cabissot) والنقيب إيسنار والنقيب إيسنار (Isnard) مسؤول المكتب العربي، وقائد الصباحية الملازم بيران (Périn) والملازم الأول (Blanpied) من الروماة وسقوط 186 قتيل منها 95 فرنسي و91 من القوات الأهلية المتعاونة مع فرنسا⁴، ولم يتم التعرف على القتلى بسبب التشوهات التي تعرضت لها أجسامهم⁵ من جراء إحتراق الحلفاء، وقدم الصباحية الذين

¹ - Ibid

² - Ibid

³ - Ibid

⁴ - هناك تضارب في الأرقام حول حصيلة الهجوم الذي وقع يوم 8 أبريل حيث ورد في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 17 أبريل 1864 أن عدد القتلى بلغ 95 فرنسياً بينما يذكر الجنرال جونشاي في كتابه ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864 أن عدد قتلى الفرنسيين بلغ 75 عنصراً و7 أفراد، وبالمقارنة بما جاء في الوثيقة وما أورده الجنرال جونشاي يبدو أن هذا الأخير اعتمد على عدد الفرنسيين الذين خرجوا من تيارت رفقة القائد بوبراتر ونسي عدد الجنود وضباط الصف والضباط الذين جاؤوا من البيض. وبالتالي نرجح أن العدد الوارد في الوثيقة أقرب الى الصواب

⁵ - GR1H230. Bis. Dépêche télégraphique du 17 avril 1864

نجوا من الهجوم معلومات عن المعركة وأكدوا مقتل بوبراتر، وسي سليمان كما أوصيب كاتبه سي الفضيل بجروح بليغة.

2. إتساع نطاق العمليات العسكرية بمشاركة معظم القبائل فيها كتعبير منها عن مساعدة الثوار. والقيام بعمليات عسكرية استهدفت مراكز فرنسية مختلفة في تراب ولاية تيارت، وإعلان الحاج لزق بلحاج المقاومة في منطقة غليزان وغرب تيارت أين تلقى دعما من القبائل القاطنة هناك. وعندما غادر إسماعيل ولد المزاري سفيسية في اليوم الثاني بعد معركة عوينات بوبكر، تعرض لعملية سلب ونهب من طرف دوار أولاد سيدي خالد، كما لم يسلم مرافقيه من تهديداتهم، حيث جرح قائد أولاد خروبي وقتل عنصر من أولاد خليف وأتهم على إثر ذلك قدور بن صحراوي بوقوفه وراء أحداث عوينات بوبكر، ووصفته في حينها القيادة الفرنسية بالمعرض الحقيقي على الثورة¹.

5. تخلي قبائل تيارت عن فرنسا دعما لثورة أولاد سي الشيخ:

وبعد إستشهاد سي سليمان في معركة عوينات بوبكر يوم 08 أفريل، خلفه أخوه سي محمد في ظروف بالغة التعقيد، حيث أنه لم يكن يتجاوز سن 21 سنة عند مبايعته زعيما جديدا للثورة²، وقيام فرنسا بحشد قوات كبيرة من أجل إخماد لهيب الثورة الذي كان له صدى كبير في أماكن مختلفة من القطر الجزائري، فسار على درب أخيه في مواصلة الجهاد فوجه رسالة إلى زعماء أولاد زياد، الشاوية أولاد منصور، أولاد بوعفيف، لمواصلة العمل على مقاومة الاستعمار الفرنسي³، ووفاء للذين استشهدوا في معركة عوينات بوبكر.

ومن جهة أخرى وجه رسالة خاصة للحاج قدور بن صحراوي زعيم قبيلة أولاد سيدي خالد هذا نصها: "أعلم أن هناك واجب ينتظرنا، ألا وهو إحياء سنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ... كيف نبقى مكتوفي الأيدي أمام الأعداء، وأن قلوبنا قد أصابها الوهن

¹ - GR1H230. Bis. Op,cit: ينظر

- Kiva. En Algérie(souvenirs). Extrait de la revue Militaire Universelle. Paris. 1894. P34

² - A. N. O. M. 22H9. Histoire des Ouled Sidi Cheikh. P85

³ - Ibid. P86

والضعف وتردي أحوال المسلمين إزاء أعداء الله ورسوله... وأنكم أدركتم الحرب بنجاح، وأنكم على درجة كبيرة من التسلح، وشجاعتكم معروفة...¹.

إن توجيه رسالة خاصة إلى زعيم قبيلة الأحرار دليل آخر على ما كان يتمتع به هذا الأخير من نفوذ قوي داخل قبيلته، ومن تأثير على زعماء القبائل المجاورة، حيث برهن عن نصرته لأولاد سيدي الشيخ من خلال مشاركته في معركة عوينات بوبكر، كما تركت هذه الرسالة أثرا عميقا لدى قبائل الأحرار الذين إستجابوا لدعوة قائد المقاومة الجديد الذي سيعمل على اختراق المناطق التلية، لاستنهاض القبائل وتشجيعها على مهاجمة العدو الفرنسي وإدارته لمعارك في مناطق كانت تعتقد فرنسا أنها محصنة.

والجدير بالذكر أن قبائل تيارت وعلى رأسها قبيلة الأحرار بزعامة الحاج قدور بن صحراوي اغتنمت فرصة القيام بجولات استطلاعية في ليلة السابع من شهر أفريل بأمر من قيادة الجيش الفرنسي لتستكمل عملية التنسيق مع الثوار، من أجل المشاركة في معركة عوينات بوبكر، وتنفيذ عمليات جريئة استهدفت مراكز تابعة للجيش الفرنسي وهذا ما تشير إليه البرقية التي تحمل رقم 834 والمؤرخة بتاريخ 11 أفريل 1864 لا يوجد أدنى شك في تورط قبيلة الأحرار في حادث مقتل بوبراتر².

أن تحميل الأحرار مسؤولية ما حدث والذي تكرر في برقيات مختلفة فإنه يؤكد بشكل قاطع على مساهمة الأحرار في الثورة بل يجعل قدور بن صحراوي هو المحرض الحقيقي لثورة أولاد سيدي الشيخ ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال تقديمه الى المحكمة العسكرية لمحاكمته على مقتل الكولونيل بوبراتر ودعمه لثورة بوعمامة³، وتضيف نفس البرقية لقد حاولنا من تيارت الإتصال بالكولونيل بوبراتر (Beaupretre) ولكن دون جدوى، وأعلمكم من فرندة أن مركز الخيول في سيدي عبد الرحمن تعرض هو الآخر الى هجوم من طرف الأحرار

¹- Ibid. PP86,87

²- GR1H230. Bis. Dépêche télégraphique n°834 ,du 11Avril 1864

³- « La Tafna »: journal de l'arrondissement de Tlemcen. Mercredi 14novembre. N°5. 1^{ère} année. N°21

بأمر من قائد الكعابرة قدور بن عيسى، الذي يبدو أنه كان على اتصال بالثوار بعد التحاق دواره بسي سليمان لمساندة جيشه ضد الإحلال، حيث تم القضاء على الضابط المكلف بحراسة المركز¹، وبتاريخ 12 أبريل تعرضت كتيبة من جيش إفريقيا بأمر القطوبة التي كانت تقوم بأعمال الحفر لاستخراج المياه أثناء عودتها إلى تيارت إلى هجوم من طرف ثوار أولاد زوي، أولاد عزيز، أولاد بلحسين وأولاد بوعفيف، من قبيلة الأحرار²، وأسفر الهجوم عن مقتل ستة رجال وضابط يعمل لصالح شركة النقل بالسكك الحديدية، عثر عليهم من قبل الملازم مارصو (Marsot) الذي كان في طريقه إلى عين الذهب لتموين المفرزة هناك، فتعرض هو الآخر إلى هجوم من طرف الثوار ونجا من الموت بفضل أسلحته المتطورة التي مكنته من إبقاء الثوار على مسافة بعيدة منه³.

كما تم الاستيلاء على قافلة تابعة لقبيلة صدامة في منطقة صوانة كانت تقوم بتموين قوات سي أحمد ولد قاضي، فتعرضت هي الأخرى للنهب والسلب من قبل دوار القراريح، وخلصت البرقية أن مهمة سي أحمد ولد قاضي في البيض لا فائدة منها ومن الأفضل أن يعود إلى فرنده.

ويتضح من خلال ما جاء في البرقية السابقة والتي يتم فيها حث أحمد ولد قاضي بالعودة إلى فرنده، بأن الوضع أصبح يندرج بالخطر، ويجب اتخاذ إجراءات احتياطية لمواجهة إتساع الثورة وإرسال المزيد من التعزيزات العسكرية إلى منطقة فرنده التي أصبحت تشكل تهديدا كبيرا لفرنسا والمتعاونين معها، وهذا ما تؤكد البرقية التي تحمل رقم 37 المؤرخة بتاريخ 30 أبريل 1864 وأخرى بدون رقم وفيها يطلب قائد معسكر من حاكم وهران تزويده وعلى جناح السرعة بـ100 أو 120 من الزواف (zouaves)⁴، وإرسالهم إلى فرنده

¹- A. N. O. M. 10H40. Op,cit

²- Ibid

³- A. N. O. M. 66MIOM 125 /1. Dépêche télégraphique. N°556,du 13 avril 1864.

⁴- جندي جزائري من فريق المشاة تابع للقوات الفرنسية في إفريقيا الشمالية ويرتدي زي خاص يتمثل في معطاف أزرق داكن وسروال أحمر قان. وينظر: جان دويوا: لاروس معجم عربي فرنسي، مراجعة وإشراف، د. محمد دبس ندار الكتاب العربي، 1998، ص 968

لتعزيز الحامية العسكرية هناك¹. وازدادت المخاطر بالقرب من فرنده، وأصبحت عملية تنقل المسؤولين الفرنسيين محفوفة بالمخاطر وتتطلب توفير الأمن وهذا ما يمكن أن نستشفه من البرقية التي تحمل رقم 635 المؤرخة بتاريخ 29 أبريل والتي يعلم فيها حاكم معسكر قائد فرنده بأن مسؤول المالية الذي سيلتحق بطابور فرنده محملاً بمائة ألف فرنك، بناء على طلبكم، حيث سينطلق يوم 01 ماي ويصل الى فرنده يوم 3 ماي، وعليه المطلوب منكم توفير له تعزيزات عسكرية لتأمين وصوله الى فرنده.

وفي البرقية التي تحمل رقم 984 والمؤرخة بتاريخ 14 أبريل 1864 والتي تشير الى أن فرع من قبيلة الأحرار قام بمحاصرة مركز الخيول بعين الوسخ²، (عين الذهب حالياً) مما شجع قايد أولاد الزوي حمزة ولد محمد بن علي على التمرد، ودفع بالحراس إلى الفرار واللجوء إلى قبة سيد ساعد النعار، في انتظار وصول النجدة والتي جاءت هذه المرة من جماعة بني مدين، ووقع الاشتباك بين الطرفين مما أسفر عن سقوط ثلاثة من المهاجمين كما وصلت إلى عين المكان قوات إضافية بقيادة أحمد ولد قاضي الذي تمكن من استرجاع القطيع الذي تم الاستيلاء عليه من قبل عناصر الأحرار، في حين وصل الحراس إلى مركز تيارت. ويبدو من خلال هذه الهجومات الخاطفة التي استهدفت مراكز المراقبة على تخوم تيارت، كان القصد منها إرباك العدو وتشتيت قواته.

وأمام هذه الانتصارات تدعمت الثورة بانضمام قبيلة أولاد شايب بقيادة الآغا نعيمي الذي كان يكن عداوة للقايد جلول الذي حظي باحترام وتقدير لدى السلطات الاستعمارية³ وهذا ما تؤكد البرقية المؤرخة بتاريخ 17 أبريل 1864 من الحاكم العام الى قائد معسكر يشرفني أن أنقل إليكم المستجدات التي تحصلت عليها والتي تفيد بأن: " قبيلة أولاد شايب قد تخلت عن مناصرة فرنسا بقيادة الآغا نعيمي وإخوته"⁴. فصدرت الأوامر إلى القائد الأعلى

¹- GR 1H230. Bis. 30 avril 1864

²- GR 1H230. Bis. Dépêche télégraphique. N° 984 , du 14avril 1864

³- Jules Oget. Op,Cit. P91

⁴- GR1H230. Bis. Op,cit

لبوغار بالتوجه إلى طاقين على رأس قوة من الصباحية وعند وصوله بلغه أن أولاد شايب قد التحقوا بالثورة فتوجه القائد جلول رفقة أربعة فرسان لملاحقة الثوار ومن بينهم الملازم الصباحي بن رويلة. ولما اقتربوا منهم استقبلوهم بوابل من الرصاص، ففروا باتجاه المركز الفرنسي فهاجمهم الثوار وتم القضاء على الملازم أحمد بن رويلة وضابط فرنسي و14 عشرة من الصباحية¹، فتغيرت المعادلة بفرار كتيبة القائد الأعلى إلى الشلالة، تاركين وراءهم مخيمهم وأمتعتهم بين أيدي أولاد شايب وغنموا حبوبهم المخزونة وغادروا طاقين باتجاه الجنوب الغربي ليلتحقوا بزعيم الثورة سي محمد بن حمزة².

وبعد هذه الأحداث وصل الجنرال ليبر (Liéber) إلى طاقين فوجد في استقباله جثث القتلى التي شوهته الغربان، ولم يجد من ينتقم منهم سوى إفراغ المطامر وإتلاف المحاصيل الزراعية، فهذه هي المدرسة العسكرية التي صنعها جنرالات من أمثال بيجو ولاموريسيار متخصصة في كل ألوان العسف والظلم. وفي مطلع شهر جوان واصل الجنرال زحفه باتجاه القبائل المتمردة، ولما اقترب من الكرايش أمر فرسانه بنهب وسلب ممتلكات القبيلة، فجاء الرد ساخنا بإطلاق النار على المهاجمين فتقدم الرائد سريز (Cérez) مع قواته، ولما اقترب من الدوار وقعت اشتباكات بين الجانبين أسفرت عن مقتل ثلاثة عناصر وجرح عشرة آخرين في صفوف المهاجمين³. وتمكن الجيش الاحتلال من الاستيلاء على 1500 رأس من الأغنام و150 رأس من الأبقار. ثم واصل زحفه الهجمي وحاصر قبيلة مطماطة وآسر زعماءها وأعيانها ولم يطلق صرايحهم إلا بعد حصوله على وعود بتقديم الدعم اللازم لقوات الاحتلال.

¹ - مياسي إبراهيم، المرجع السابق، 227.

وينظر:

Charles Féraud: « Les Ben-Djellab ,sultans de Tougourt. » Notes historiques sur la province de Constantine. In R- A. N°-30(1886). P435

² - مياسي إبراهيم، المرجع السابق، 227

³ - Jules Oget. Op,Cit. PP165 ,166

ومن جهة أخرى نزلت البرقية التي تحمل رقم 578 والمؤرخة بتاريخ 18 أبريل 1864 وفيها: "أبلغ القائد السامي لدائرة تيارت، بأن قبيلة أولاد بن عفان وأولاد بني مدين قد غادروا منطقة السرسو متوجهين نحو وادي مينا، وباقي قبائل التل لازالت تقيم خلف جبل قزول." وما يمكن استخلاصه من هذه البرقية أن فرنسا على علم بتحركات قبائل تيارت من خلال عملائها وجواسيسها، وتضيف البرقية أن قبائل جبل عمور خيمت يوم 15 أبريل على ضفاف وادي السكني، ويبدو أن قادتها كانوا يخططون للتوجه نحو الشمال للاتصال بأولاد خليف للإعلان عن انضمامهم لفرنسا، لكن الآغا الدين لقي معارضة شديدة من طرف ابن أخيه النعيمي بن جلول قايد أولاد ميمون الذي يعتبر المحرض القوي لأولاد عمور من أجل انضمامهم لثورة أولاد سيدي الشيخ، والذين خيموا في نواحي تاويالة¹.

ومن جهة أخرى قام أولاد سيدي منصور وهم فرع من قبيلة أولاد خليف بمهاجمة مركز الغصني وقتلوا ثلاثة من الحراس، لكن جيش الاحتلال تمكن بمساعدة بعض الأهالي من استرجاع 03 خيول وبنادق الذين قتلوا، وأجبت السلطات الفرنسية ملاحقة أولاد سيدي منصور إلى شهر سبتمبر وانتقمت منهم شر انتقام. وفي ذات السياق استلم قائد المكتب العربي رسالة من الآغا سي أحمد ولد قاضي تفيد بأن الوضعية كالمعتاد، في حين أن العدو لازال يخيم في ستين وعوينات بوبكر لمهاجمة القصر مستقبلا. وأن الحاج قدور بن صحراوي بعث برسائل باسم الأحرار إلى أولاد الشريف الشراقة وأولاد لكرد لاطلاعهم على أهم المستجدات، وأن العلاقات ستبقى طيبة كما كانت في الماضي².

وفي البرقية المؤرخة بتاريخ 19 أبريل 1864، والتي تشير بأن قبائل الأحرار مازالت تقيم اتصالات مع سي محمد ولد حمزة وخليفته قدور بن صحراوي، حيث تركهم سي الحاج البشير يعملون على تهيئة الظروف لاستقبال القافلة³. وفي هذه الظروف لجأ الآغا الدين

¹ - GR1H230. Bis. Dépêche télégraphique. N° 578 , du 18 avril 1864

² - Ibid

³ - Ibid

إلى الجبال وطلب نجدة سريعة وقال: "طلبتم مني أن أعود لأوخيم عند القنادزة، لكن أعلمكم أنه أصبح لدينا مخاوف من ناحية الشرق والغرب... ونخشى أن يهاجمونا الثوار.

6. ثورة فليطة وتداعياتها على منطقة تيارت:

لقد كان لثورة أولاد سيد الشيخ صدى في مناطق مختلفة من القطر الجزائري، ومن بينها منطقة تيارت التي كانت تمثل عمقا استراتيجيا للثورة، ومركزا مؤثرا في المقاومة العسكرية التي اندلعت في الإقليم الغربي، حيث كانت القبائل التي تقطن الجهة الشمالية والغربية منها على أتم الاستعداد من أجل الانخراط في الثورة، فاستجابت قبيلة بني مسلم والكرايش لنداء الجهاد الذي أعلن عنه سي لزرق بن بلحاج¹، الذي تزعم قيادة قبيلة فليطة التي سبق لها أن قدمت الدعم والمساندة للأمير عبد القادر.

ولقد حاول الجنرال بيجو من قبل أن يثني قبيلة فليطة عن الكفاح المسلح فوجه إليهم رسالة يدعوهم فيها بالتوقف عن تقديم العون للأمير عبد القادر فكان رد قبائل فليطة كما رواه الجنرال دوماس: "قلت لنا بأن الأمة الفرنسية أمة كبيرة وقوية. فلتعلم إذن أن العدل من شيم الكبار والأقوياء. فلماذا تريدون الاستيلاء على بلاد هي ليست لكم؟ وإذا كنتم أغنياء فماذا جاء بكم إلى شعب ليس له ما يعطيه لكم سوى البارود...؟ فلتعلم بأننا لا نخضع لكم أبدا..."²، إن رد فليطة أنذاك كان مفعم بالتحدي، ولم يبق لهم شيئا يخسروه سوى تقديم أرواحهم فداء للوطن، ولما دقت ساعة الجهاد التفوا حول زعيمهم سي الأزرق بلحاج الذي وصفه الجنرال لاباسي³ (la Passet) بالدروشة حتى ينزع عنه صفة المقاومة الوطنية.

¹ - تزعم الشيخ الأزرق بلحاج المقاومة في مناطق عدة منها الونشريس، الشلف، مستغانم، غليزان وتيارت، جند الكثير من الأتصار الذين شاركوا معه في عدة عمليات عسكرية أهمها معركة خنقة العازرفي 27أفريل 1864م، بعدها توالت معارك أخرى منها معركة زمورة جنوب شرق غليزان، ، كما واصل دعمه لثوار الصحراء بعملياته التخريبية فشنت بذلك قوات العدو، تواصل نشاطه حتى 8جوان 1864م، أين خلفه ابنه عبد العزيز الذي لم يكن في مستوى أبيه واستسلم للفرنسيين في 15جويلية من نفس السنة. ينظر: فاطمة حباش المرجع السابق، هامش، ص ص، 230، 231

² - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص، 131.

³ - لاباسي (Ferdinand Auguste) lapasset قائد عسكري ولد ب Saint Martin De Ré بتاريخ 29جويلية 1817 تدرّب على الرماية 1829، إلتحق بمدرسة Saint Cyr العسكرية 15 نوفمبر 1835تخرج منها برتبة ملازم في 1 أكتوبر

وإدعاء لاباسي هذا لا يمكن فهمه إلا في إطار السياسة الفرنسية الرامية إلى تشويه القيم الجهادية الراسخة في أعماق المقاتل الجزائري، هي التي اصطدمت بها القوات الغازية، وهي التي لقنته بالرغم من عدم التكافؤ القوى دروسا مريرة سجلها ضباطه وجندهم في مذكراتهم.

لقد دعى سي الأزرق بلحاج أنصاره الى الالتحاق بالثورة، معلنا الجهاد في سبيل الله واصطدمت قواته في أول مواجهة بقوات الجنرال مارتينو (Martineau) يوم 27 أبريل¹، وخاض ضده معركة شرسة تمكن فيها من قتل تسعة ضباط، وثمانية وستين جنديا، وجرح تسعة وثلاثين، بينما خسرت المقاومة حوالي أربعمئة رجل حسب ما ذكره لاباسي².

وبعد معركة خنفة العازر، تلقى حاكم وهران برقية مؤرخة بتاريخ 30 أبريل من ضابط الحامية العسكرية بفرندة، لتزويده وعلى جناح السرعة بـ 100 أو 120 من الزواف لتعزيز قدراته الدفاعية³، بعدما أصبحت الأمور تنذر بتفاقم الوضع الأمني في محيط تيارت من كل الجهات تقريبا، وهذا ما جعل عملية تنقل قادة الجيش والمسؤولين المدنيين تتطلت توفير تعزيزات عسكرية كبيرة لتأمين وصولهم الى معسكر⁴.

وبتاريخ 10 ماي قام الجنرال مارتينو بإفراغ مخازن الحبوب وأتلف المحاصيل الزراعية لقبيلة الأحرار وذلك لإجبارهم على التوقف عن مساندة الثوار⁵، ويبدو أن هذا السلوك يعبر

1837، ثم إلحاق بالمدرسة التطبيقية لقيادة الأركان، قضى مدة تكوينه على المدفعية والفروسية بإفريقيا في كل من الجزائر ووهران، وعمل مساعدا للجنرال Gentil حقق نجاحات في منطقة الونشريس، تعلم اللغة العربية وأصبح رئيس مكتب تنس ثم رئيس كتيبة 10 ماي 1852 عاد بعد 1865 الى فرنسا وتوفي في 16 سبتمبر 1875. ينظر:

Narcisse Faucon: « Livre d'or de l'Algérie. » Paris. 1889. P265

¹ - مارتينو Emile, Philippe Martineau De Chensez عين في 3-1-1844م برتبة نقيب في فرقة المقاتلين الأهالي للجزائر، وفي 1850م تولى بالوكالة خلفا للقائد الأعلى لبجاية وفي 1863م أصبح القائد الأعلى لسيدى بلعباس، وقاد حملات منها في سنة 1864م قاد فرقة في حملة بالجنوب الوهراني، وفي 1865م أصبح رئيس قسم العمليات العسكرية لمستغانم C. A. O. M. GGA. 12X /233.

² - Un ancien officier de l'armée du Rhin: « Le général Lapasset (1817-1864). » T. 1. PP12-15

³ - S. H. D. GR1230. Bis. Dépêche télégraphique. Mascara. Du 30 avril 1864

⁴ - Ibid. Dépêche télégraphique. Mascara. Du 29 avril 1864

⁵ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 10 mai 1854

عن ضعف الجيش الفرنسي، الذي يلجأ في غالب الأحيان الى الانتقام من الحلقة الأضعف كي يوفر لنفسه كثير من الجهد والمال، ولي وطلع قاداته وحكومته عن انتصاراته الوهمية وبطولاته الموجهة ضد قوت المستضعفين. كما تم توقيف المرابط الحاج البشير قاضي فرندة على خلفية وجود علاقات بينه وبين سي محمد بن حمزة.

وأصبحت منطقة غرب تيارت مسرحا لبعض العمليات العسكرية، التي تزعمها الثوار، وكانت الفرصة مواتية لتحرير البلاد من رقبة الاستعمار، الذي أذل الشعب الجزائري وأهانته وإحتقره. لو تم حشد كافة الجهود لتشكيل جبهة وطنية موحدة لمواجهة القوات الفرنسية، التي ماكان لها أن تحقق هذه الإنتصارات لولا وقوف كثير من أصحاب النفوس الضعيفة إلى جانبها ودعمها في أحلك الظروف.

لقد تمكن الثوار من القيام بعدة هجمات في 10 ماي وتضييق الخناق على الجنرال لاباسي وأجبروه على الانسحاب نحو غليزان¹، ووضعت جميع القوات هناك في حالة تأهب لمواجهة الموقف، وبدأت الرسائل ترد تباعا الى قائد مركز تيارت المقدم شارلمان، الذي تلقى خبر من قائد أولاد الشريف الغرابة وسي أحمد ولد قاضي²، يفيد بأن الجنرال لاباسي تكلف بملاحقة الحاج لزرق بلحاج الذي يبدو أنه لجأ إلى قبيلة بلحايا التي وفرت له الأمن ورددت الجنرال على أعقابهم فقفل راجعا إلى غليزان من دون الحصول على صيد ثمين.

6-1-1- حادثة الرحوية 21 ماي 1864م:

تحتل الرحوية موقعا وسطا بين تيار شرقا وغليزان ومستغانم غربا والشلف شمالا، فأهلها موقعها لكي يتخذ منها الجيش الفرنسي مركزا هاما لتموين العمليات العسكرية فأنشأ بها حصنا وجعل فيها حامية عسكرية، وبذلك أصبحت تشكل هدفا للثوار. فخرج المرابط لزرق بلحاج لطلب الدعم والمساندة فتوجه إلى قبيلة أولاد بركات وأولاد سيد الشيخ بن عيسى الواقعة بين مواطن أولاد عامرو أولاد الشريف، حيث أستقبل هناك بحفاوة كبيرة³ وفي اليوم

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 10 Mai 1864

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, du 13Mai 1864

³ -A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 18-19 Mai 1864

الموالي واصل سيره وحصل على دعم من بعض قبائل بني مسلم، ثم زار قبة سيدي معروف أين تلقى موافقة قبيلة الكرايش وحلوية¹. في حين ظلت بعض القبائل مترددة، من جهة ترى أن واجبها الديني يلزمها برد العدوان والانخراط في المقاومة، ودعم الثوار، لكن دموية الاستعمار الوحشية التي شردت كثير من القبائل، وسلبت ونهبت ممتلكاتهم جعلتهم يتريثون في حسم مواقفهم من الثورة.

وأثمرت جولة سي لرق بلحاج بتجنيد حوالي أربعة وستين دوارا²، ودفعهم الى الثورة وقام فوج من المهاجمين بقيادة لزررق بلحاج لتنفيذ عملية عسكرية استهدفت الجهة المقابلة لحصن الرحوية، ووقع تبادل لإطلاق النار بين الطرفين، وعند إقتراب الليل أوقف المهاجمون كل العمليات العسكرية لسحب القتلى والجرحى³، ثم عادوا للهجوم على الساعة التاسعة ليلا وكان الهجوم هذه المرة عنيفا، وتسلفت جماعة من المهاجمين الى الجهة الشمالية محملين بالفؤوس، وأشعلوا النار في القش، فتصاعدت أعمدة من الدخان جعلت الرؤية مستحيلة مما سمح لهم بإحداث ثغرة في الجدار فدخلوا وتمكنوا من القضاء على 23 من الحراس الذين لم ينجو منهم سوى واحد، يدعى محي الدين بن شيلة، الذي روى تفاصيل الحادثة⁴.

فامتدت المقاومة لتشمل بني وراغ ومنطقة الظهر، وغادر الكولون مزارعهم، وتركوا مطاحنهم للبحث عن أماكن آمنة داخل المدينة مما أجبرت القوات الفرنسية إلى الدفع بالمزيد من التعزيزات العسكرية إلى منطقة التل⁵، واستولى المهاجمون على كافة المعدات والأسلحة والذخيرة الموجودة في الحصن وأحرقوا كل ما هو قابل للحرق فتحول الحصن الى أطلال، ولقد كلفت عملية ترميمه حوالي 12000 فرنك فرنسي⁶.

¹ - 11H12. Ibid

² - يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للتوزيع والنشر، طبعة خاصة، 2009م، ص، 186

³ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 23 mai 1864

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Ibid

⁵ - S. H. D. GR1H230. Bis. Op,cit

⁶ - A. N. O. M. 11H12. Ibid

6-2- إستراتيجية الإستعمار في القضاء على ثورة لزرق بلحاج:

وأمام تفاقم الوضع الأمني في المنطقة وإستهداف الثوار لمعسكر الرحوية وتخريبه والهجوم على مركز عمي موسى، وزمورة، وبنو وراغ، إتخذ الجيش الفرنسي إجراءات مشددة لمواجهة تصاعد العمليات العسكرية في المنطقة، والتي باتت تهدد الوضع الأمني الهش، خاصة في المناطق الأهلة بالسكان الأوربيين الذين إنتابهم الخوف والرعب. وتمثلت في تسيير ثلاث حملات عسكرية لمطاردة الثوار، ومحاصرة المناطق التي كانت عرضة لهجومات الثوار.

فقاد الجنرال لاباسي حملة عسكرية انطلقت من قلعة بوزيد مرورا بالعمامرة ثم بني سعيد وشوالة ومن ثم إتجه نحو الرحوية، وهناك واجهت حملته مقاومة عنيفة¹، في حين حرك الجنرال روز (Roz)²، كتيبة عسكرية لملاحقة الثوار انطلقت من زمورة وقامت بتمشيط المنطقة الواقعة بين زمورة وفليته.

في نفس الوقت قام الجنرال مارتينو بتوجيه حملة عسكرية انطلقت من زاوية سيدي أحمد بن عودة ثم صعدت باتجاه منطقة افتراق وادي مينا، وكانت تسير ببطء وبعد ذلك التقت الفرق العسكرية الثلاث أمام الرحوية لمطاردة الثوار، وبعد مرور عشرة أيام من المطاردة تم تهدئة الوضع وأجبرت القبائل الثائرة على الاستسلام منها قبيلة الكرايش، وبنو وراغ وأولاد يحي والظهرة، وأسر حوالي 4000 فرد عشوائيا واستولت على عدد كبير من مواشيهم، ووجهت ل 45 منهم اتهامات بالوقوف وراء الأعمال التخريبية التي شهدتها المنطقة وخاصة معسكر الرحوية، ثم نفذ فيهم حكم الإعدام³.

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 27 mai 1864

² - روز (Roz)(Etienne – Hugues): قائد فرقة عسكرية ولد ب Toulon في 23 سبتمبر 1812 إلتحق بمدرسة Saint cyr العسكرية وتخرج منها في المفعية ترقى الى رتبة نقيب ثم أصبح مقدم بتاريخ 1852 شارك في عمليات غزو منطقة القبائل 1837 ثم ترقى الى رتبة جنرال، وأصبح قائد فيلدة المدفعية، ووجه حملة عسكرية سنة 1864 ضد قبيلة فليته ينظر:

- Narcisse Faucon. Op,cit. P533

³ - A. N. O. M. 11H12. Op,cit

وبتاريخ 01 جوان أدت حادثة مقتل قايد الشلوغ من طرف أفراد قبيلته، إلى قيام دوارين قريبين بالهجرة والإلتحاق بالثورة خوفا من عمليات إنتقام قد تقدم عليها أسرة القايد المقتول خاصة وأن الوضع الأمني كان مشحونا بالتوتر، وإزدادت معها مخاوف الأغا سي أحمد ولد قاضي الذي دفع بعدد كبير من الفرسان لمراقبة تحركات قبيلة الأحرار التي إنتقلت صوب الشمال لتوفير الحماية للمجموعة التي إنتهت بالثورة على ما يبدو¹.

وكانت الثورة حينها تتطلب تضافر الجهود لإنجاحها من خلال تشجيع قادة القبائل على الإنخراط فيها، وأعلى الأقل تقديم المساعدة للثوار، وهذا ما قام به قايد أولاد بن عفان الحاج محمد بلمختار عندما توجه رفقة 18 خيمة ناحية فليطة التي تزعمت الثورة في غرب تيارت وأجرى إتصالات مع سي لزرق بلحاج وفرسان فليطة وإنتهت المشاورات بتأمين الحماية له عند تنقله² لكن عيون فرنسا كانت حاضرة، فطار الخبر إلى الجنرال مارتينو الذي تحرك بتاريخ 3 جوان لمطاردة قايد أولاد بن عفان، وإتخذ من عرجة العازر مركزا حيث كانت تمثل نقطة إلتقاء ثلاث قبائل، الشلوغ، أولاد بن عفان، وعكرمة، على بعد ثلاثة فراسخ من فرندة فعسكر مع جيشه على الضفة اليسرى من وادي مينا.

وفي وسط حقول الشعير التابعة لقايد أولاد بن عفان التي تم إلتلافها وإفراغ جميع المطامر المنتشرة هناك واستولى على رؤوش المواشي التي تم اقتيادها من طرف 100 فارس من قوم تيارت، وأجبر السكان العزل على الخضوع والاستسلام³. وبعد إنجاز المهمة لم تجرؤ هذه الكتيبة على العودة إلى مركزها إلا برفقة قوم بلحضري ابن سي أحمد ولد قاضي، وهذه استراتيجية يتبعها الجيش الفرنسي أثناء تنقلاته بحيث يكون الفرسان الأهالي في مقدمة القافلة لتوفير الحماية للجيش الفرنسي وقادته. ورفض قايد عكرمة تنفيذ الأوامر الصادرة إليه، فتم توقيفه على الفور وإرساله إلى تيارت للتحقيق معه. ومن جهة أخرى دعا سي لزرق بلحاج فرسان فليطة إلى الإستعداد لمهاجمة العقيد لباسي، لكن وصول الجنرال

¹ - S. H. D. GR1H230. Bis. Op,cit

² - S. H. D. GR1H217. Op,cit

³ - Ibid

روز مع قوات الجنرال مارتينو التي انطلقت من تاقدت أفست خطته، فغير استراتيجيته واحتفظ بجزء من قواته لمراقبة تحركات العدو وبعث بقوات أخرى من جهة العقيد لباسي، أما الجزء الثالث من قواته فتحرك باتجاه صد أي هجوم يقوم به الجنرال روز، فدارت معركة بين الجانبين يوم 05 جوان انتهت باستشهاد لزر بلحاج ومصطفى آخ الحاج بن شريف عن عكرمة وقايد الشلوغ وجرح 10 من القوات الفرنسية¹.

إن هذه المعركة الفاصلة التي انتهت باستشهاد بطل المقاومة سي لزر بلحاج، والتي رأت فيها فرنسا أنها حققت نصرا مؤزرا، قد كشفت عن الوهم الذي كان قادة الجيش يتصورونه وذلك بالقضاء عن زعماء المقاومة يحدث الإستقرار، وهذا ما تؤكد البرقية المؤرخة بتاريخ 27 جوان 1864 حيث أسفرت حملات الجنرالات الأربعة: لابسلي، لير²، روز ومارتينو على أن كل القبائل بما فيها قبيلة فليقة الثائرة استسلموا وآسر 4000 عنصر ينتمون الى قبائل مختلفة. وفي الوقت الذي تمكنت فيه فرنسا من القضاء على ثورة الأزرق بلحاج، كان الثوار يسجلون انتصارات متتالية في مناطق مختلفة من التراب الوطني، حيث تمكن سي محمد بن حمزة من إلحاق هزيمة نكراء بقوات الجنرال مارتينو (Martineau) في معركة ابن حطاب يوم 26 أبريل 1864³.

وأمام تصاعد العمليات العسكرية من جهة، وتخلي الكثير من القبائل عن مناصرة فرنسا إلتحاقها بالثورة، سارعت السلطات العسكرية الفرنسية إلى إتخاذ إجراءات صارمة لتثديد الخناق على الثورة ومحاصرتها، وجندت لهذا الغرض قوات عسكرية ضخمة ووضعت على رأسها ضباط مدربين على خوض المعارك في ظروف مناخية وجغرافية صعبة. ،

¹ - Ibid

² - ولد لير في 1810/7/17 بباريس، عين في جانفي 1846 نائبا للقائد الأعلى لبسكرة وهو برتبة ملازم ثم أصبح نقيب في 1846/12/13 في الفرقة الأولى للمقاتلين بالجيش الإفريقي، عين قائد أعلى لبسكرة من 1853/10 الى غاية 1859/7 ثم قلند قسمة مليانة من 1859 حتى 1870 توفي عن عمر يناهز 85 سنة في 1895/7/25 ينظر:

. R. Peyronnet. Op,cit. P388

³ - سعد عبد المنعم، من تاريخ كفاح الجزائر حروب قطاع وهران - العين الصفراء، ج1، المقاومة الشعبية 1830-

1934، نشر وتوزيع دار القدس العربي وهران، 2013 الجزائر، ص 155

ومنهم الجنرال دليني(Déligny) والجنرال يوسف(youcef) ، والجنرال روز(Roz) ولاباسي(Lapasset)¹.

7. الإستعدادات الفرنسية العسكرية لتطويق ثورة أولاد سيدي الشيخ وإجهاضها:

الفرقة الأولى: وتولى قيادتها الجنرال دوليني² الذي قام بملاحقة القبائل العاصية والانتقام منها، فهاجم قبيلة الأحرار في قصر عرابوة³، وأخضعهم وأجبرهم على الرجوع الى مواطنهم، وفرض عليهم تقديم المؤن وتزويد القوات الفرنسية بالفرسان في حملاتهم العسكرية الموجهة أساسا لضرب الثورة، وواصلت فرنسا استهداف قبيلة الأحرار بالاستيلاء على مواشيمهم بالقرب من قرطوفة على يد الأغا بن عودة، وهي مواشي تعود لزعماء قبيلة الأحرار المؤيدين للثورة، كل من الحاج قدور بن صحراوي والصافي بلعروسي، وتم وضع المواشي بين أيدي سي أحمد ولد قاضي⁴.

الفرقة الثانية: أسندت قيادتها إلى الجنرال لاباسي الذي اتخذ مركز تيارت للتموين والمساعدة وذلك باعتبارها تمثل منطقة عبور بين التل والصحراء، فتوجه ناحية الجنوب وحصل على ولاء أحمد التيجاني، وفي 30 ماي توجه الى تاجرونة وبريزينة والأبيض سيدي الشيخ ونهب القبائل الموالية للثورة وإرغامهم على دفع الضرائب الباهظة وإفقرهم وإذلالهم⁵.

الفرقة الثالثة: وكانت بقيادة ليبر لمراقبة مناطق العبور بين وهران والجزائر، وحفظ الأمن بهضبة السرسو وحوض الشلف⁶.

¹ - مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص 228

² - دلييني(Déligny (Edouard –Jean- Etienne): قائد المدفعية ولد ب Ballan(Indre- et- Loire) في 1815/12/12 التحق بمدرسة الرماية 1827 ثم الى Saint- Cyr 1832 وتم تسميته ملازم شارك في عمليات عسكرية مختلفة، ومعاركة إسلي 1844 وترقى ملازم أول ثم نقيب ثم أصبح قائد فيلق ورقي الى عقيد وقام بغزو منطقة سيباو. وينظر:

-Narcisse Faucon. Op,cit. P202.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 187

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 7 aout 1864

⁵ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 27 mai 1864

⁶ - Ibid

وينظر: يحي بوعزيمو، المرجع السابق، ص 187

الفرقة الرابعة: أسندت قيادتها الى الجنرال روزوانطلقت من زمورة ثم إتجهت نحو فليته لتضييق الخناق على الأزرق بلحاج والقضاء على ثورته¹.

وبالرغم من الضغط الفرنسي الذي مارسه فرنسا على القبائل الموالية للثورة كسلب مواشيها وإتلاف محاصيلها الزراعية وإفراغ مطامرها، فإنها لم تحصل إلا على دعم بسيط من بعض بطون القبائل التي أرغمتها ظروف الثورة الى ذلك، ولكي تمنع فرنسا تحركات قبائل التل نحو البيض، وجبل عمور، وخوفا من حدوث الإتصالات مع القبائل الثائرة، لجأت فرنسا إرسال طوابير كبيرة من الجند تسندها قوات من القوم والصبايحية والتي ظلت تتحرك من مكان إلى آخر رفقة عدد هام من والجواسيس لرصد تحركات الثوار وتعقب القبائل المشتبه فيها، والإنتقام منها لكن الثورة واصلت إنتشارها مستهدفة الفرنسيين وأعاونهم في كل مكان.

8. تحركات الجنرال مارتينو العسكرية في منطقة تيارت:

واصل الجنرال مارتينو تحركاته والتي حاول من خلالها مطاردة قبائل الأحرار، فوصل إلى توسينية الواقعة شمال غرب فرنده، والتي لا تبعد عنها سوى 18 كلم، فقام بتفريغ مطامر الأحرار ونهب محاصيلهم الزراعية، ثم توجه إلى تيارت عن طريق وادي مينا لإتمام نفس المهمة وفي يوم 16 ماي وصل إلى فرنده، ومنها سينطلق على لرأس قافلة تتكون من 1000 رأس من الماشية، موجهة لجيش الجنرال ديليني(Déligny) الموجود في ضاية هسكورة². وبعد عودته أجرى اتصالات بالقيادة العليا، حيث أخبرها بأن الوضع ليس على أحسن، ما يرام فأسرع إلى توجيه حملة عسكرية ضد الثوار في عين القطا وأسفرت المعركة التي دارت بين الجانبين بالرغم من عدم التكافؤ في ميزان القوة العسكرية عن مقتل 77 منهم ثلاثة ضباط تابعين للقوات الفرنسية³، ومن جهة أخرى بلغه حسب آخر المعلومات أن قبيلة

¹ - A. N. O. M. 11H12. Op,cit

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique. N° 3149 ,du 11 mai 1864

³ - Trumelet: « Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger. (1864- 1869). R- A. Vol. 23. Année1879. Seconde partie. P 243.

بينما يذكر شرل فيرو في المجلة الإفريقية رقم 30 سنة 1886 أن عدد القتلى بلغ 71 وعدد الجرحى 31.

الأحرار تعاني من ندرة المياه وقلة الطعام وهم يرغبون في طلب الأمان، لكن الحاج قدور بن صحراوي منعهم من ذلك¹.

ولكي تتمكن فرنسا من عرقلة أي إتصال بين قبائل تيارت والقبائل الثائرة في الجنوب جندت لهذا الغرض قوات هامة، جعلتها تحت قيادة الجنرال مارتينو والذي يبدو أنه كسب خبرة ومعرفة بجغرافية المنطقة وتحركات القبائل. وبعد إقامة قصيرة، غادر الجنرال مارتينو القطيفة²، والتي تقع جنوب فرنده على بعد 40 كلم، وفي طريقه رصد تنقلات قبيلة الأحرار التي تحركت خلف الجنرال مارتينو وهي على بعد 6 أو 7 فراسخ من القطيفة وفي اليوم الخامس من شهر ماي كانت مسيرتي الى الأمام قد أفسدت حساباتهم، ويبدو أنهم حاولوا الوصول الى مطامرهم للتزود منها³. والبارحة تحركت قبيلة الأحرار باتجاه الجنوب وحاولت مجموعة صغيرة منهم أن تعترض سبيلي لكن فرساني تتبعوا آثارهم وألقوا القبض على سرية استطاع تابعة للأحرار، كما تم الاستيلاء على عدد من إبلهم كانت محملة بالشعير.

وكل القبائل غير الخاضعة تم إبعادها وهي تتمركز حليا بالقرب من وادي سيدي الناصر وسهول سيدي طيفور، منها قبائل الأحرار وأولاد شايب وقرر الجنرال مارتينو المكوث هناك لمدة كافية تسمح له بتوجيه ضربة عسكرية لتفكيك المقاومة⁴، التي لا تتوفر حسب زعمه على الشروط اللازمة للصمود. ثم انتقل إلى التخطيط لتدمير قصر تاجرونة، لأنه يعتبر جسرا لعبور زعماء الثورة الذين تركوا السكان بين أيدي القوات الفرنسية الذين وعدوهم بتوفير الأمن لهم، وفيه كان يتم وضع الخطط من طرف الثوار والتزود بالمؤن. ولم يجرؤ الجنرال مارتينو على تنفيذ خطته، وترك الأمر للجنرال يوسف⁵، الذي كان في

¹- Op,Cit. Dépêche télégraphique. N° 3149 ,du 11 mai 1864

²- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 8 mai 1864

³- Ibid

⁴- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique,8 mai 1864

⁵- يوسف (yusuf) حسب أرسيف وزارة الحرب الفرنسية لم يتم العثور على عقد الولادة، ولهذا يعرف بيوسف الشرق، ولد بإيطاليا سنة 1808، وتم إنقاظه من قبل بعض القراصنة وتحويله الى تونس، وتعلم العربية والتركية والإسبانية، إلتحق بالجيش الفرنسي 1830. عمل مترجما عند المارشال De Bourmont، ترقى في سنة 1842 الى رتبة عقيد من طرف

وضعية تسمح له بإنجاز العمليات العسكرية ضد الثوار بنجاح. وقام بإجراء اتصالات مع بعض بطون قبائل الأحرار، وأنه سيتم إبلاغ القيادة العسكرية بكل المستجدات لاحقاً. ويذكر أنه تلقى برقية من العاصمة بتاريخ 06 ماي 1864 وعلى الساعة 19سا و24د تفيد بأن الجنرال ليبير (Liebert) أصبح تحت أوامره وفق ترتيبات معينة، وسيقوم الجنرال مارتينو بإعادة الانتشار في منطقة خنق السوق من أجل مراقبة كامل فضاء التل وضمان الاتصال بكل الجهات المعنية، وسيعمل على إبقاء وبصعوبة على تجمع القبائل الأحرار الأغواط الكسل وأولاد شعيب المتمركزة في الجبال بين البيض وجبل عمور¹.

ومن جهة أخرى أخذ الجنرال مارتينو يتطلع الى تحطيم القبائل المنضوية تحت لواء الثورة، فطلب من الجنرال ليبير أن يقوم بتوفير المؤن بكميات كبيرة، وأن يتوجهوا نحو البيضاء التي تبعد بمسافة 12 يوماً مشياً على الأقدام، ويجب التزود بالمؤن تكفي لمدة 15 أو 20 يوماً، وأن تقدموا لي مساعدات هامة بصفة مستمرة، وذلك لتنفيذ عمليات مشتركة في جبل عمور²، لكن الثوار أفسدوا مخططات العدو وانتقلوا إلى جهات آمنة.

8-1- توقيف الحاج البشير قاضي فرندة:

لاشك أن الحاج البشير كان مؤيداً للثورة، ولم يعلنها صراحة وظل على اتصالات مع زعيم الثورة سي محمد بن حمزة. وهذا ما تؤكد البرقية رقم 983 المؤرخة بتاريخ 08 ماي وفيها يذكر قائد وهران ما طلب منه من الحاكم العام وهذا نصها. " لقد طلبتم مني أن أقدم لكم توضيحات فيما يتعلق بتورط الحاج البشير في إقامة اتصالات مع سي محمد بن حمزة فماهي الأدلة المتوفرة لديكم ضده؟"³. يشرفني أن أبعث إليكم نسخة من الجواب في هذا الشأن من طرف الجنرال مارتينو (Martineau) الى العقيد المكلف بإرسال القضايا الى معسكر وقد نقلت طلبكم للإستفسار.

الجنرال بيجو. شارك في العمليات العسكرية في منطقة القبائل وذلك في سنة 1857، كما شارك في قمع الأهالي سنة 1860 توفي في مدينة كان Cannes 16 مارس 1866. وينظر: Narcisse Faucon. Op,cit. P649-

¹-A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique,8 mai 1864

²- Ibid

³- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique,8mai 1864

وجاء الجواب هذه المرة من الجنرال مارتينو حسب البرقية المؤرخة بتاريخ 10 ماي 1864 وفيها يوضح ما يلي: "لقد أوقفت المرابط الحاج البشير قاضي فرنده بعدما تأكد لدينا أنه على علاقة مع سي محمد بن حمزة"¹.

ولم يمر وقت طويل حتى قام قائد معسكر بإبلاغ الحاكم العام فيما يتعلق بموضوع الحاج البشير. وهذا ما جاء في برقيته تحت رقم 770 المؤرخة بتاريخ 21 ماي 1864 وفيها: "ردا على برقيتكم المسجلة بتاريخ 08 ماي 1864 والتي طلبتم فيها تقديم أدلة فيما يتعلق بقضية الحاج البشير قاضي فرنده السابق، وما هي الأدلة المتوفرة لدينا:

1. لقد تحصل على رخصة للذهاب إلى فرنده من طرف سي أحمد ولد قاضي، إلا أنه غير الوجهة وذهب إلى مكان وقوع معركة عوينات بوبكر، أين أستشهد سي سليمان الذي اعتبره مكانا مقدسا عنده أفضل من الذهاب إلى مكة سبع مرات، ولم يكتف بذلك بل أنه حاول تحريض سكان فرنده على الثورة ضد فرنسا"².

2. لما كان في مخيم سي محمد كتب رسالة دعا فيها سي أحمد ولد قاضي إلى مغادرة جريفيل، وأكد له فيها أيضا بأنه قد رتب أموره مع سي محمد ولد حمزة، ولن يخشى شيئا وشجعه على التمرد ويتضح مما سبق أن الحاج البشير كان على صلة بزعيم الثورة، وهو من أبرز الزعماء المؤيدين لها، من خلال إجراءات لاتصالات مع بعض القيادات يحثها فيها على دعم الثورة.

3. وعند عودته إلى فرنده، وجه دعوة إلى الزعامات النافذة في منطقة تيارت ومنها زمامة وأخبرهم بوصول كتيبة القناصة التي تتكون من الأهالي، وذهب الجنرال ديليني (Déligny) إلى سعيدة دون أن يقبل على تنفيذ مشروعه.

4. وهناك أخبار متواترة تتهمه ليس فقط بعلاقات مع سي محمد بن حمزة، بل أنه الممثل الحقيقي لقبيلة فليته. وحسب البرقية المؤرخة بتاريخ 13 ماي 1864، كانت هناك

¹ - Ibid

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, 10 mai 1864

علاقات مصالح بين قبيلة فليته وقبيلة الأحرار، وكان لبعض الزعماء نفوذ قوي داخل القبائل ومن بينهم القاضي الحاج البشير قاضي فرنده، الذي ألقى عليه القبض من طرف الجيش الفرنسي. والذي إغتتم فرصة مرور قافلة صغيرة بقيادة قائد مستغانم، فأظهر نواياه العدوانية إتجاهها، حيث تعرضت وهي في طريقها إلى تيارت إلى هجوم في إقليم قبيلة بلحايا¹، هذه هي الإتهامات الأساسية التي تحصلت عليها من سي أحمد ولد قاضي، وبناءا عليها قررت إيقاف الحاج البشير وأعلمت على الفور قائد الفرقة العسكرية والذي وافق عليها بدوره².

8-2- الثورة تستهدف مدينة فرنده 12جويلية 1864:

بناء على البرقية المؤرخة بتاريخ 20 جوان 1864، أعلن دلييني (Déligny) أن المرابط سي محمد ولد حمزة لازال في حالة فرار رفقة فرسان المخادمة، الشعانية، أولاد سيد الشيخ وعدد من دواوير الأحرار³، لكن انسحاب الثوار لم يكن سوى تراجع تكتيكي وهذا ما ستؤكد الأحداث اللاحقة، وهذا ما أشار إليه حاكم وهران، حيث اعتبر انسحاب سي محمد وعمه سي لعلا ما هو إلا خدعة، ويبدو أن الهدف منها هو جر القوات الفرنسية إلى الجنوب ثم الانقضاض عليها، وبتاريخ 19جويلية بعث حاكم وهران إلى الحاكم العام بالجزائر تفاصيل الأحداث التي عاشتها منطقة زمامة وبلاد الأحرار ويذكر فيها: " ولقد تحولت الى مسرحا لعمليات عسكرية مباغته، والتي شكلت موضوع البرقيات 13-14-15-16-17من شهر جويلية"⁴.

اختارت المقاومة التوقيت المناسب للهجوم على فرنده، وكان ذلك في شهر جويلية الذي تعرف فيه درجة الحرارة ارتفاعا والتي ستكون بلا شك عاملا مساعدا للثوار الذين كانوا يتميزون عن القوات الفرنسية بتحملهم لدرجة الحرارة المرتفعة، عكس الأوربيين الذين تعودوا

¹- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 4 juin 1864

²- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique. N° 91. Du 23 mai 1864

³- Trumelet. Op,cit. P244

⁴- A. N. O. M. 11H1. Dépêche télégraphique. N° 1052, du 19 juillet 1864

على خوض المعارك في ظروف مناخية جد معتدلة¹، وكان الهدف من الهجوم هو معاقبة الأغا سي أحمد ولد قاضي وبعض بطون قبائل الأحرار التي استسلمت بعد مقتل العقيد بوبراتر²، في حين كانت هناك بعض القبائل على استعداد تام للانضمام الى الثورة، وهذا ما تؤكدته البرقية رقم 06 المؤرخة بتاريخ 04 أوت 1864 والتي تتضمن بأن هناك رسائل وقعت بين أيدي الأغا أحمد ولد قاضي تفيد أن هجوم 12 جويلية ضد مدينة فرنده كان بالاتفاق والتنسيق والتعاون مع قبائل صدامة، فليئة اليعقوبية ومجموعة من قبيلة حشم الشراقة، الذين تعهدوا بإحتضان ثورة سي محمد وعمه سي لعلا، في حالة نجاحه دخول التل³.

ولم تتأخر أغاليك صدامة التي تتكون من أولاد زكري وقبيلة الجبلية والعناترة من الوقوف إلى جانب الثورة، وتزويد سي لعلا بالخيول وأصبح لديهم عند تنفيذ الهجوم حوالي 30 فارسا ضمن قوات سي لعلا⁴. بينما ظلت مواقف قبيلة خلافة مؤيدة للثورة لكنها لم تشارك فيها بصورة مباشرة. وطلب سي لعلا يد المساعدة من والد وابن الحاج البشير قاضي فرنده سابقا، ودخلت قبائل التل منها خلافة والحوارث في مشاورات مكثفة لتنظيم وحص الصفوف وذلك بإعداد العدة اللازمة وتوفير كل الأسباب لإنجاح العملية وذلك بالاتفاق على تكرار الهجوم ثانية⁵، ويبدو أن هناك تردد كبير لدى بعض القبائل من فشل الهجوم الذي ستكون له تبعات ونتائج وخيمة خاصة بالنسبة للقبائل المستقرة، وأنها سوف تتعرض لإنتقام وحشي من طرف الجيش الفرنسي مدعوما بقوات أهلية.

وعلى مسافة غير بعيدة تم رصد مخيم سي لعلا، فجدد سي أحمد ولد قاضي حوالي 400 فارس من صدامة وانضمت إليهم قوة من الدواوير والخيالة، فاجتمع لديه حوالي 500 فارس وعلى الساعة الثانية مساء خرج إليهم بقواته، وفي طريقه الى سي محمد أدرك أن

¹ - Trumelet. Op,cit. P245

² - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 229

³ - A. N. O. M. 22H9. Op,cit. P89

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique. N° 1052,du 19 juillet 1864

⁵ - Ibid

هناك تصرفات مريبة بين صفوف قومه وعلى الفور فر عناصر صدمة والتحقوا بالثورة¹، ولم يبق معه سوى 20 فارس من قبيلة بوزيري وقائدهم، وبعد تقييمه للموقف اعتبر أن المقامة غير ممكنة وفرندة ستسقط بيد الثوار.

لكن الثوار اقتربوا من المدينة ودارت على أطرافها معركة حامية بين الجانبين، تمكنت فيها قوات الموالية لفرنسا من صد الهجوم، وأجبرت القوات المهاجمة على الانسحاب تاركة وراءها 10 قتيلًا و40 جريحًا ولم يخسر العدو سوى 02 من الجرحى حسب ما جاء في وثائق الأرشيف الفرنسي²، واستغلت قبيلة الكسالنة الواقعة غرب فرندة هذه الأحداث بانضمامها للثورة فقامت بقطع الطريق الرابط بين فرندة ومعسكر، لإعاقة وصول إمدادات العدو إلى فرندة، كما تعرضت قبيلة أولاد بني عفان في منطقة السرسو والتي كانت في طريقها للإنضمام إلى الثورة، فاعترض سبيلهم قائد بني مدين الذي سلط عليهم عقابًا شديدًا³.

وبعد الهجوم الخاطف لسي محمد ولد حمزة، توجه الكولونيل بيشو (Péchet) بدون تأخير إلى فرندة على رأس قوة عسكرية كبيرة تتكون من 1200 رجل مشاة و150 حصان ومدفعين مما أجبر القوات المهاجمة على الانسحاب، ثم توجه بيشو إلى تيارت وأوصى الرائد كولونيو (Colonieu) بالبقاء في فرندة تحسبًا لأي طارئ قد يحدث مستقبلًا⁴.

وقد كتب الكولونيل بيشو بأن الثوار قد انسحبوا إلى وادي سوسلم مما يشكل خطرًا على قبيلة أولاد خليف المتحالفة مع فرنسا⁵، في حين كانت قبائل أولاد شايب تتأهب

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique. N° 1052, du 19 juillet 1864

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 15 juillet 1864

لقد جاء في البرقية المؤرخة بتاريخ 15 جويلية أن عدد القتلى في صفوف المقاومة قد بلغ 10 بينما نجد في البرقية التي تحمل رقم 6 أن عدد القتلى قد بلغ 17، ويبدو من خلال هذا التضارب في الأرقام أن فرنسا تحجم عن إعطاء أرقام دقيقة في ما يتعلق بعدد القتلى الجزائريين، أما في ما يتعلق بفرنسا إن ما خفي أعظم.

³ - Trumelet. Op,cit. P245.

وينظر: A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique du 16 juillet 1864

⁴ - A. N. O. M. Dépêche télégraphique du 19 juillet 1864

⁵ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 16 juillet 1864

لمهاجمة حصن بوغار، ويقال أن الآغا الدين بن يحي من جبل عمور الذي كانت له التزامات مع قبيلته قد خضع لتهديدات المرابط سي محمد فتخلى عن فرنسا.

بالرغم من فشل الهجوم إلا أنه ترك صدى كبير في البلاد، فأحدث هلعاً كبيراً لدى القبائل الموالية لفرنسا وحركت المشاعر لديهم، فقطع الاتصالات لم يزد سوى من رفع حالة الحيرة والترقب، فتم وضع المراكز التي تعج بالأجانب في إقليم صدمة تحت مراقبة وتصرف القيادة وذلك لتوفير الأمن¹. وأمام تردي الأوضاع الأمنية واجهت فرنسا الأمر بقمع شديد، فقام الجنرال مارتينو (Martineau) بالانتقام من القبائل التي قدمت الدعم للثوار فسلب عدد كبير من المواشي وأحرق محاصيلهم الزراعية وخيامهم وتركهم في العراء عقاباً لهم.

وفي ذات السياق انتقل أحمد ولد قاضي بعد أن توفرت لديه معلومات مفادها أن بعض من دواوير الأحرار تريد التخلي عن سي محمد ولد حمزة، فاتصل بهم، لتسهيل عملية عودتهم إلى طاعة فرنسا، خاصة وأن هذه البطون لم تكن ترغب في التخلي عن مصالحها. وفضلت البقاء في منطقة التل². وفي دائرة سعيدة ثارت خمسة دواوير من قبيلة الحساسنة ضد قائدهم الموالي لفرنسا، أما ثوار فليتة فتوجهوا نحو الجنوب لمواصلة المقاومة. بعد أن أدركوا أن فرنسا ماضية في ممارسة أساليبها القمعية والانتقام من القبائل التي شاركت في الثورة، وخير مثال على ذلك ما تعرضت له قبيلة الكسالنة التي تحصن رجالها في الجبال وبعد دفاع مستميت، تمكن مارتينو من إعدام 40 عنصراً منهم، وجرح من القوات المهاجمة 03 من قوم الحشم ونفق عدد كبير من الخيول وكان ذلك يوم 20 جويلية³.

وبعد مهاجمة مارتينو لقبيلة الكسالنة، انتشرت الأخبار في كل مكان تفيد بأن الأمراض والتعب قد أنهكت القوات الفرنسية، فكان لها صدى كبير في أوساط الثوار وأصبحت المنطقة الواقعة بين تيارت وسعيدة في حالة غليان وأنها على استعداد تام لتكرار

¹- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 19 juillet 1864

²- Trumlet. Op,cit. P246

³- A. N. O. M. 2H52

- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 4 Aout 1864

ينظر :

الهجوم مرة أخرى فواصل الحاج قدور بن صحراوي زحفه متخذاً من وادي التات مساراً له، أما قوات سي لعلا فأتجهت نحو اليعقوبية مروراً بوادي العبد جنوب تخمرت¹، وكان الهدف من هذه المسيرة هو عدم ترك الفرصة للعدو الغازي لكي يتمتع بالراحة، والعمل على إستمالة القبائل الموالية لفرنسا والتزود منها بالمواد الضرورية لمواصلة المقاومة²، وتشتيت قوات العدو الذي إتخذ إجراءات لتهدئة الوضع المضطرب، وإعتبر قادة جيش الإحتلال أن مسألة تدهور الأوضاع الأمنية ماهي إلا سحابة عابرة، لتشجيع القبائل المترددة على البقاء وفيه لفرنسا، ومنحت القيادات القبلية مزيد من النفوذ، والبقاء في حالة إستتفار لمواجهة أي طارئ، والعمل على تركيز القوات في منطقة معسكر، لسد الطريق أمام الثوار ومنعهم من التسلل الى المناطق الداخلية الساخنة، وتنظيم الحملات العسكرية لحماية الضرائب بصورة منتظمة³، إن هذه الإجراءات الدفاعية التي إتخذتها فرنسا ظلت مستمرة الى غاية تهدئة الوضع في الجنوب ومواجهة الهجمات المتكررة.

ووجدت القوات الفرنسية صعوبات كبيرة في التغلغل داخل المناطق الداخلية التي أصبحت تشكل خطراً عليها من كافة النواحي، وفرضت عليها المقاومة حصاراً في بعض المناطق الوعرة، ولا يمكن لها أن تتحرك إلا إذا توفرت لها مجموعة من الظروف كإعتدال المناخ وتوفر وسائل النقل⁴. وظلت تقديرات مواصلة الحرب في نظر قادة الجيش الفرنسي غير مضمونة العواقب. فركزت على إستمالة القبائل المترددة، لعلها تقدم لها دعماً لوجيستياً وإستخباراتياً من دون أن تتنازل عن خيارها في إستعمال القوة والبطش لإجبار القبائل على الخضوع والتعاون مع فرنسا، بعد مهاجمة فرنده في 12 جويلية، قام سي محمد بتجميع قواته وبعد استشارة بعض زعماء القبائل، قرر التوجه إلى فرنده⁵، لكن القيادة الفرنسية التي ظلت

¹- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,du 4 aout 1864

²- Ibid

³- Ibid

⁴- Ibid

⁵- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique,n°5756, du 5 aout 1864,rédigée par le général commandant la division à monsieur le gouverneur général par intérim et à monsieur le général Le Grant. Oran.

تراقب تحركات الثوار وصلتها معلومات تؤكد توجه الثوار بقيادة سي محمد نحو التل، مما دفع بالمقدم دو كولومب¹، (De Colomb) إلى التحرك بسرعة باتجاه التات، لقطع الطريق أمام الثوار ومنعهم من التسلل نحو الجنوب بحيث لن يكون في مقدور القوات الفرنسية اللحاق بهم بينما جهز الجنرال مارتينو سرية لاستطلاع الوضع في أعلى الوادي، وفي اليوم التالي بلغته أخبار تفيد بأن المرابط سي محمد لازال يخيم في منطقة البيضاء شمال ضاية هسكورة، وأن الآغا بن عودة أجبر سي محمد على التوجه نحو القطيفة، وتمكن قومه من سلب الثوار 3000 رأس من الغنم تعود الى زعماء الأحرار الذين تحملوا أعباء الثورة كل من الحاج قدور بن صحراوي والصابي بلعروسي، وتم إيصالها الى الجنرال جوليفي (Jolivet)²، ولم ينجو الآغا بن عودة من ملاحقة الثوار له في أعالي وادي مينا إلا بشق الأنفس، فخرج إليهم سي أحمد ولد قاضي على رأس قوة من قومه لمهاجمة قادة الأحرار اللذان انسحبوا.

وفي نفس اليوم ظهر عدد من الثوار بالقرب من سببية التي تقع جنوب فرندة على بعد 07 كلم، وفي اليوم الموالي ومع مطلع النهار قام المقدم دو كولومب (De Colomb)³ بملاحقتهم، مدعوم بقوات الرائد كولونيو (Colonieu) وقوم سي أحمد⁴، ويبدو أن الأحرار حاولوا الاتصال بالقبائل الموالية للثورة للتزود بالمواد الغذائية، لكن أذئاب فرنسا وجدوا في ذلك فرصة للانقضاض على الثوار الذين كانوا في حاجة ماسة الى الغذاء وعلف الحيوانات.

¹ - دو كولومب (de Colomb Louis –Joseph –Jean François – Isidor) قائد الفرقة العسكرية ولد ب Figeac في 1823/1/16 التحق بمدرسة Saint – Cyr سنة 1842 وتخرج منها برتبة ملازم مدفعية، ثم تم ترقيته ملازم أول في 1849 ثم نقيب بتاريخ 1853/7/10، تقلد منصب القائد الأعلى لجريفيل، وهو الذي رافق سي حمزة في غزوته لورقلة وبني مزاب، وأجبرهم على الخضوع ودفن الضرائب، تقاعد في 5 مارس 1888. وينظر:

- Narcisse Faucon. Op,cit. P178

- Ibid

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°5793 ,du 6 aout 1864 ,rédigée par le général commandant la division à monsieur le gouverneur général et à monsieur le général Le Grant. Oran.

³ - Ibid

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Op, cit. Dépêche télégraphique , n°5793 , du 6 aout 1864

والملاحظ أن المواقع الواقعة جنوب فرنده، عين سببية وعين الدرهم التي كانتا ولازالتا تشكل ممرات استراتيجية للثوار منذ عهد الرومان الذين أنشأوا بها مراكز عسكرية لمراقبة القبائل الثائرة والرافضة للاستعمار، ومنها يمر خط الليمس الذي أقامه سيبتيموس سيفيروس (193 - 211)¹، وهذا ما جعل القوات الفرنسية تكثف من مراقبتها للمنطقة، خوفا من تسلل الثوار من الناحية الجنوبية، فأسندت هذه المهمة للمقدم دو كولومب الموجود بفرنده للتحرك نحو الجنوب إلى سببية الواقعة بين عين الدرهم وسيدي منصور الذي يقع في أعالي دير الكاف وغير بعيد عن فرنده، لمراقبة مناطق العبور التي تتصل بوادي التات ومنع الثوار من مهاجمة القبائل التي تقطن المنطقة².

فتسلل الثوار إلى داخل المنطقة ودارت معركة بين الثوار والقوم الموالين لفرنسا أسفرت عن مقتل قائد بني الأنصار وجرح عنصر من الحوارث وخمسة من قبيلة صدامة، كما نجح الثوار في إسترداد المواشي التي إستولى عليها أعوان فرنسا من الحاج قدور بن صحراوي والصابي بلعروسي³.

وبعد هذا النجاح انسحبوا إلى مدرسة وشكلوا هناك قوة كبيرة، وحاولوا إقامة مخيم في هضاب مدغوسة عند قبيلة خلافة، لكنهم غيروا الخطة بعد وصول معلومات تفيد بتواجد مكثف للجيش الفرنسي بقيادة العقيد لاباسي الذي قدم من سيدي الجيلالي بن عمار، في حين كان المقدم دو كولومب ينتظر قدوم الجنرال مارتينو بفرنده، وبدأت الإستعدادات في تشكيل قوة عسكرية، تتكون من كتيبتين من القناصة إضافة إلى القوات التي كانت موجودة بعين المكان لمواجهة ضغط الثوار المتواصل⁴، كما تم الإعلان عن وصول العقيد بيشو إلى تيارت للحصول على التموين، ويكون في ذات الوقت على مقربة من فرنده التي أصبحت

¹ - محمد شنيطي، المرجع السابق، ص، 124

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°5818 , du 7 aout 1864 ,rédigée par le général commandant la division à monsieur le gouverneur général et à monsieur le généra Le Grant. Oran

³ - Ibid

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Op,cit. Dépêche télégraphique, n°5818 , du 7 aout 1864

في قلب الأحداث من خلال تهديدات الثوار لها. وأمام تزايد الضغط المتواصل من قبل الثوار قرر الجنرال مارتينو التحرك إلى فرنده، وجند حوالي 06كتائب و1000 رجل مشاة¹، للقيام بعمليات تمشيط واسعة النطاق إنطلاقاً من فرنده وصولاً إلى سيدي عبد الرحمن ثم القطيفة. أملاً في مباغته الثوار فخابت مساعيه ولم يظفر سوى على السراب.

9. المقاومة في جنوب شرق وشرق تيارت:

لم تمنع تحركات الجيش الفرنسي الثوار من مواصلة تحركاتهم، ولم يوقفوا عملهم، فتوجه سي محمد نحو وادي سوسلم لتوجيه ضربة عسكرية ضد القبائل المتمركزة في سهل السرسو والمتعاونة مع فرنسا²، فاضطرت هذه الأخيرة إلى تحريك قواتها المتواجدة في ثنية الأحد وبوغار، باتجاه نهر واصل وفي أعالي الشلف مشكلة بذلك خط دفاعي طويل على الضفة اليسرى من نهر الشلف لتواجه حركة الثوار هناك، وفي ظل هذه الظروف المشحونة بالتوتر، خشيت فرنسا من أن يحدث إتصال بين السكان وسي محمد الذي قد يمارس نفوذه على السكان³. وعلى الفور وجهت فرنسا فرقتين عسكريتين:

الفرقة الأولى: بقيادة العقيد أرشينار (Archinard) والتي إنطلقت من المدينة تتكون من ثلاث أفواج مشاة وثلاثة كتائب من الفرسان، وكتيبتين من القناصة وسلاح المدفعية توجهت إلى الشلالة على الحدود الجنوبية من بوغار⁴.

الفرقة الثانية: والتي إنطلقت من ثنية الأحد يوم 20 جويلية بقيادة العقيد ديمون (Dumont) والتي ستصل إلى عين تكرية جنوب مقر الدائرة، والتي ستعمل على إجبار سي محمد على مغادرة نهر واصل⁵.

وصلت الفرقة الأولى إلى الشلالة في 21 جويلية واستقرت بها، وكان هدفها تقديم الدعم والحماية لقبيلة الأرباع التي تتمتع بأهمية كبيرة لكونها تستغل مساحات كبيرة للرعي

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°5850 , du 08 aout 1864

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص، 189

³ - C- Trumelet. Op.cit. P 328.

⁴ - Ibid. P 328

⁵ - 1C- Trumelet. Op.cit. P 328

في طاقين، والتي دخلت في نزاع مع سكان جبل عمور وعلى إثر ذلك لجأت الى الجبال خوفاً من تعرضها لهجوم خاطف من سي محمد، وأنها تخشى أيضاً أن يتم أسر عدد من بطونها¹.

وفي 28 جويلية غاد أرشينار الشلالة ثم خيم في بوشواط للتزود بالماء، وفي اليوم الموالي وصل الى طاقين أين كانت تخيم قبائل جبل عمور بقيادة الآغا الدين بن يحيى، وقبائل الأرباع بزعامة الآغا ولد بن عودة بن أحمد المدعو بوديسة²، والذي يبدو أنه لا يملك نفوذاً واسعاً على هذه القبائل التي تمردت عليه. وبطلب من الآغا الدين بن يحيى الذي بلغه أن المرابط سي محمد قد وصل الى طاقين لمعاينة كل من الأرباع وجبل عمور، ولذلك رأى العقيد أرشينار أنه من المفيد البقاء في عين المكان يوم 30 جويلية تحسباً لظهور قوم سي محمد³، وبالرغم من أن الخبر لم يكن مؤكداً إلا أن حضور العقيد قد أجهض خطة سي محمد ثم تحركت قوات العقيد لتتخذ من قصر الشارف مقراً لها، والذي يتوفر على كل مستلزمات الاستقرار خاصة فيما يتعلق بالاتصال مع الجلفة والجزائر⁴.

بينما اتجهت قوات الفرقة الثانية بقيادة العقيد ديمون نحو الونشريس لتوفير الحماية للقبائل الموالية لفرنسا، لكن سي محمد صرف النظر عن مهاجمة المنطقة، مما شجع العقيد ديمون على العودة الى ثنية الأحد، ثم الاستقرار بصفة نهائية في عين تكرية⁵. وجاء هذه المرة التأكيد من خلال البرقية التي تحمل رقم 5883 والمؤرخة بتاريخ 09 أوت من الجنرال

¹ - C- Trumelet. Op.cit. P 329

² - الشيخ بوديسة المختاري: وهو من زعماء أولاد المختار، أحد أبناء الشيخ ابن عودة المختاري الذي حارب إلى جانب الأمير عبد القادر فترة، ثم تغيرت به الأحوال دون أن ينضم للفرنسيين بقلبه. وتولى بوديسة وظيفة الآغا على عدة قبائل منها قبيلة أولاد المختار. وقد اتهمه الفرنسيون بأنه قام بغزوة (غارة) غير مرخص بها، فأحضره أمام مجلس الأديب وحكموا عليه بسنة سجن في السور. وكان بوديسة فارساً ماهراً وفي بداية الانتفاضة الشبخية كان يقف الى جانب الفرنسيين قائداً لفرقة الأرباع ثم أولاد المختار، وانضم الى الإنتفاضة. لكنه قتل في مارس 1865. ينظر: أبوالقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 190.

³ - C- Trumelet. Op.cit. P330

⁴ - Ibid. P 331

⁵ - C- Trumelet. Op,Cit. P 332

مارتينو إلى العقيد لاباسي والتي أكد فيها: "إنسحاب قوات سي محمد ووصول رجل من طاقين والذي أخبرهم بأن قبيلة الأرباع وجبل عمور، قد فاجأهم مجموعة من الثوار بقيادة سي لعلا في طاقين على رأس 1500 من الفرسان وبعد معارك طاحنة إستسلموا دون شروط للمرابط سي محمد ولد حمزة¹، ويبدو لي أنكم على علم بهذه التطورات من الشلالة².

وواصل سي محمد مسيرته الهجومية مستهدفا هذه المرة الأغا الدين بن يحي الذي تخلى عنه أتباعه فجرح وفر بجلده ونزل في قصر سيدي بوزيد³. ولقد إستفادت المقاومة من إنضمام عناصر جديدة ساهمت بدون شك في تقوية عزيمة الثوار، وفي نفس الوقت فقدت فرنسا سندا قويا كانت تعتمد عليه في تدعيم صفوفها بالرجال والمال لسحق المقاومة والقضاء على الثورة التي كادت أن تفرض على فرنسا تغيير قواعد الحرب، وإعادة النظر في خططها العسكرية التوسعية، لكن أصحاب المصالح والنفوس الضيقة كان لهم رأي آخر ووجدوا في الإستعمار الفرنسي الذي نخر عظامهم وسلب كل شيء من الشعب الجزائري تحقيقا لبعض المآرب الهزيلة. في حين تمكنت الثورة من زعزعة توازنات القوات الغازية، وخلقت جوا من الرعب في نفوس الذين إختاروا الوقوف إلى جانب المحتل، فركنوا إلى الاستقرار بالقرب من المراكز الفرنسية لعلهم يجدون الأمن والسلام الذي كانت فرنسا في أمس الحاجة إليه.

ومن جهة أخرى لم يبق أمام السلطات الفرنسية سوى الدفع بالمزيد من القوات بعد تخلي الكثير من القبائل عنها، فقررت إنشاء فرقة ثالثة تنحصر مهمتها في حماية تل

¹ - البرقية رقم 5883 بأن الأرباع قد إستسلموا بعد معارك طاحنة، في حين يذكر تريملتي Trumelet في المجلة الإفريقية سنة 1879 ص 332 أنه جاملهم وطلب منهم إحتضان المقاومة، ويبدو أنه فعلا كان لبعض بطون الأرباع إتصالات مع المقاومة الى جانب جبل عمور الذين خرجوا عن طاعة قائدهم وإنضموا للثورة وهذا مايفسر بقائهم الى جانب الثورة، وكان لديهم العدد الكافي لمواجهة سي محمد ولكنهم لم يفعلوا ينظر: C- Trumelet. Op,cit. P 333

² - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique n°5883 , du 9 aout 1864 ,rédigée par le général commandant la division ,à monsieur le gouverneur général et à monsieur le général Le Grant. Oran

³ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°6082 , du 13 aout 1864 ,rédigée par le generalcommandantla division ,à monsieur le gouverneur général et à monsieur le général Le Grant.

بوغار، وتتكون من ثلاثة فيالق مشاة ومن كتيبتين من الفرسان وفصيلة متخصصة في حرب الجبال إضافة الى فصيلة متنقلة، وستكون جاهزة يوم 14 أوت¹.

ولقد تأكدت الأخبار في تخلي الأرباع وجبل عمور عن فرنسا، وهذا مؤشر يدل على انهيار عام في مقاطعة الجزائر. والتحقّت الكثير من القبائل بالثورة أسوة بأولاد شايب الذين انضموا إليها في وقت مبكر، فغادروا مواطنهم مع متاعهم ومواشيهم، بعد أن قاموا بتحطيم كل ماله صلة بفرنسا فأتلّفوا خطوط الهاتف ودمروا الأعمدة وتم سلب وحرق معسكرات الأوربيين، وسلم لهم جنود الصباحية معسكر عين وسارة، حيث تمكن الثوار من القضاء على سبعة من الأوربيين بالاتفاق مع حراس المركز، كما تم سلب مركز المراقبة في بوقزول والقضاء على حراسه². وحاولت فرنسا الانتقام من السكان والقبائل وذلك بإجبارهم على دفع تعويضات باهضة كتعويض عن الخسائر التي منيت بها قوات الاحتلال، ففرضت حوالي 94000 فرنك فرنسي قديم على الذين شاركوا في إحراق وسلب مدينة الشلالة أيضا وأمهلتهم مدة 08 أيام من أجل دفع ما فرض عليهم من غرامات³.

وبتاريخ 22 أوت أشارت البرقية التي تحمل رقم: 484 إلى تدهورت الأوضاع الأمنية في منطقة عمي موسى، فخرج قائدا حلوية والكريش الغرابية وتوجها نحو العويسات⁴ لمعاينة الوضع الأمني هناك، فوجدوا الثوار بقيادة سي محمدي يقومون بإفراغ مطامر العويسات⁵، فشكّلوا قوة تتكون من أولاد الشريف، أولاد لكرد العويسات وبعض فرسان الصحاري لمهاجمة

¹- C- Trumelet. Op.cit. PP 334

²- Ibid. PP336

³- Ibid. P 337

⁴- قبيلة العويسات: وهي من أصول عربية، يحدها شمالا أولاد لكرد وشرقا أولاد لكرد وبني لانث وجنوبا لصحاري وغربا الأحرار، أولاد الشريف وأولاد بوغدو، كانت تضم حوالي 1283 ن منهم 68فارسا و100 من الشاة. ولم يمر قرن من الزمان على إستقرارها في تيارت، وهي فرع صغير من المرابطين تنحدر من محمد بن عيسى الذي جاء في القرن الرابع عشر ميلادي الذي استقر في الصحاري، لكن ذريته من بعده، غادروا القبلة واستوطنوا منداس، وبعد سقوط زمالة الأمير عبد القادر استسلموا للجيش الفرنسي 1843.

- A. N. O. M. 10H53. Historique des tribus oranaises. 1856

ينظر :

⁵- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique , n°484, du 22 aout 1864

الثوار، وأثناء تبادل لإطلاق النار ظهر سي محمد على رأس قوة من الفرسان وأجبرت المهاجمين على الفرار وأسفرت الاشتباكات عن مقتل 2 من أولاد لكرد وأصيبا 02 بجراح خطيرة¹، وأعلن القائد الفرنسي بكل تحفظ بأن ابن المرابط سي عدة غلام الله قد جرح من طرف قوم ولد سي حمزة، وكان حينها مترددا بين البقاء في صفوف الثوار أو الانضمام الى فرنسا، انتهت المعركة بتشتت القوات الموالية لفرنسا حيث اتجه أولاد الشريف والعويسات ناحية الغرب وأولاد لكرد نحو الشرق والصحاري فقصدوا قرطوفة أما قبيلة حلوية فوجدت نفسها وحيدة في مواجهة الثوار الذين كانوا بأعداد كبيرة².

وكان القايد بوضري في وضعية حرجة، والذي استعان بالقائد الفرنسي الذي وضع له خطة تمكنه من النجاة في حالة الهجوم عليه، وأشار عليه بأن ينسحب الى تاويالة الجبلية وفي حالة الضرورة عليه أن يعود الى عمي موسى، حيث لا يمكن الاعتماد على القبائل المجاورة التي كانت تنتظر وصول سي محمد لالتحاق بالثورة³، وفرت كل هذه الظروف مناخا مساعدا للقبائل لكي تنمرّد على السلطة الفرنسية والمتعاونين معها.

فقبيلة مطماطة رفضت دفع ضريبة الثلاثي الجاري بل نجحت في استعادة ضريبة الحرب من قائدهم وتخلوا عنه. ونستنتج من هذه التصرفات مدى استجابة القبائل لدعم الثورة، معلنة تمردّها على القوات الفرنسية التي واجهت صعوبات جمّة في جعل القبائل وفيه لها، رغم الإغراءات المادية والحوافز المختلفة.

مما أجبر قيادة الجيش الفرنسي إلى الدفع بمزيد من القوات لتعزيز مواقعها بالقرب من القبائل التي ظلت توفر ملاذاً آمناً للثوار، وتساهم في تزويد الثورة بالسلاح والمؤن والفرسان. وجندت عدد من الجواسيس والمخبرين لمراقبة القبائل التي كانت على إتصال بالثوار.

¹ - Ibid

² - Ibid

³ - Ibid

9-1- المقاومة في جبل الناظور (السوقر):

تعود جذور هذه القضية إلى معركة عوينات بوبكر، والتي تم فيها الثوار من سحق الجيش الفرنسي بقيادة العقيد بوبراتر الذي لقي مصرعه على يد سي سليمان بمشاركة قبيلة الأحرار فيها، وبالرغم من وقوف قبيلة أولاد خليف إلى جانب فرنسا والتي فقدت في هذه المعركة 91 عنصرا من فرسانها¹، إلا أن هناك بطن منها وهم أولاد منصور²، الذين انضموا إلى الثورة، وقاموا حينها بقتل 02 من الفرسان وأخذوا ثلاثة خيول من مركز الغوصني³، كما إتهمتهم فرنسا أيضا بالتآمر مع سي محمد بن حمزة ضد الآغا الدين الذي تعرض لعملية السلب والنهب في طاقين، ووفروا الحماية عند إستقدامهم لعناصر من الثوار من منطقة التل وقسم من الأحرار وأغلبية من ثوار عمي موسى⁴.

ويضيف العقيد تروملي الى هذه الأسباب أسباب أخرى يراها جديرة بالذكر وهي أن: قبائل جنوب تيارت المتمردة اتخذت من جنوب جبل الناظور مركزا لها قد تجمعت بالقرب من عيون هامة وهي عين الوسخ، عين القطيفة وعين الرقاي⁵. ويتضح من خلال ذلك أن الثوار قد اتخذوا من هذا المكان قاعدة عسكرية استراتيجية تسهل عليهم تنفيذ عمليات عسكرية في إتجاهات مختلفة. وبذلك أصبحت تشكل خطرا على التواجد الفرنسي في هذا

¹- S. H. D. 1H230. Bis. Dépêche télégraphique. N° 125. Tiaret , le 13 avril 1864

²- أولاد منصور قبيلة من أصول عربية، يحدها شمالا قبيلة حلوية وشرقا أولاد لكرد وجنوبا أولاد غدو وغربا أولاد بوغدو وأولاد الشريف. تبلغ مساحة إقليم القبيلة 2500 هكتار يجري في ترابها واد تيغيغت الذي يفصل أولاد منصور عن حلوية. يبلغ عدد سكانها آنذاك حوالي 743 نسمة منهم 21 فارسا و84 مشاة. وهي تنتمي الى أولاد محمد بن عريف (أولاد الشريف، أولاد لكرد وأولاد منصور) ولم تتشكل هذه القبيلة إلا في القرن 18م، وعندما طرد الأتراك قبائل المهل من منطقة الشلف، واحد من الزعماء وهو فغول محمد ولد قدور بن مسوسة انفصل عن أولاد الشريف وإستوطن منطقة تيغيغت ورغم ذلك ظلت قبيلة أولاد منصور تابعة لأولاد الشريف، ولما وقعت تاقدمت في قبضة جيش الإحتلال لجأت الى المناطق الجنوبية، وإستقرت بالقرب من مطماطة ومكناسة الى غاية 1844، وبعد تأسيس تيارت عادوا الى مواطنهم. ينظر:

- A. N. O. M. 10H53. Historique des tribus oranaises. 1856

³- Fabre: «**Monographie de la commune indigène de Tiaret –Aflou.** » P289

S. H. D. 1H230. Bis. Op,cit

وينظر:

⁴- Trumelet: «**Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud.** » Op,cit. R. A. Vol. 24. 1880. P10

⁵- Trumelet: Op,cit. Vol. 24. 1880. P10

المحيط المضطرب أصلا، فقبيلة أولاد منصور أضحت توفر ملاذا آمنا للثوار الذين نفذوا عمليات عسكرية جريئة، هذا فضلا عن تخلي معظم القبائل عن فرنسا في المنطقة الواقعة بين تيارت، بوغارو الجلفة. لذلك أصبحت قبيلة أولاد منصور في نظر فرنسا، من أشد أعدائها ولذا يجب توجيه ضربة عسكرية مؤلمة لها للتخلص من هذا الخطر الجاثم في المنطقة.

وإذا عدنا إلى الوثيقة المؤرخة بـ 24 أبريل 1864 التي وردت فيها عبارات واضحة عن رفض أولاد سيدي منصور مغادرة جبال الناظور وغاباته، والتي فيها إتهام صريح لهم بالوقوف وراء مقتل 3 فرسان في الغصني¹،

وهذا ما أشار إليه الجنرال مارتينو في البرقية رقم 08 المؤرخة بتاريخ 06 أكتوبر 1864 جاء فيها: "إن معسكر الثوار في جبل الناظور يعتقدون بأنهم في مأمن من بناذقنا، وسنغتنم الفرصة قريبا لتوجيه ضربة قاسمة لهم ليكونوا عبرة للأخرين"².

9-2- الحصار والإبادة:

بدأت عملية استكمال الاستعدادات العسكرية لتنفيذ هجوم مركز يستهدف المناطق الشرقية والجنوبية لمدينة تيارت، فتحركت القوات الفرنسية يوم 27 أوت باتجاه تيارت على رأسها الفيلق 17 الذي يتكون من أربعة كتائب تضم 700 رجلا من عناصر النخبة إضافة إلى 100 من المجندين الأهالي³، ويتوفر هذا الفيلق على مؤونة تكفي لعشرة أيام و10000 خرطوش، كما إنضمت إليهم كتيبة من القناصة قادمة من وهران والتي ستصل الى تيارت في 01 سبتمبر وسيتم جمع 3500 بندقية و10 كتائب و4 مدافع⁴، في حين سيبقى طابور جوليفي (Jolivet) في طافراوة وفرندة والتي ستحتفظ بـ 4 كتائب من الفيلق 12⁵. وأبقيت منطقة غرسيف تحت رقابة فيلق كبير وأعتقد الجيش الفرنسي أن الثوار الذين يشكلون الجزء

1- S. H. D. 1H230. Bis. Op,cit

2- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique ,n°229, du 26 aout 1864

3- Ibid

4- A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°229, du 26 aout 1864

5- Ibid

الأكبر من أهالي الشرق، والأحرار الذين هم في مواطنهم مستعدين لمهاجمة طوابير فرنسا عند مرورها بالقرب منهم. ولمواجهة الموقف وضعت فرنسا خطة عسكرية تتمثل في تطويق الثوار من كل الجهات وإغلاق المنافذ أمام تسللهم، واستقدمت لهذا الغرض طوابير عسكرية أسندت قياداتها لضباط مدربين على خوض المعارك في فضاء واسع من أمثال الجنرال مارتينو والعقيد بيشو ولاباسي¹، ودوكولومب الذي توجه نحو عين الذهب قاصدا عين سفيسيفة على المنحدر الجنوبي من جبل الناظور. في حين غادرت قوات العقيد بيشو سيدي عابد متجهة نحو واد سوسلم للقيام بعملية البحث عن الثوار في شمال جبل الناظور².

وكانت القوات الفرنسية التي كثفت من تواجدها في المنطقة بلغها أن سي محمد أصدر تعليمات إلى الثوار الذين كانوا يتمركزون خلف جبل الناظور بالقرب من عين الذهب، عين رقاوي، سفيسيفة، وسيدي ساعد بالتحرك بمعية قبائل الأرباع، الأحرار والترافي في وادي سبفاق كما دعا قبائل الأغواط، أولاد شايب لتشكيل حزام من الشمال والشمال الغربي يمتد إلى غاية جبل عمور³. ولم يبق سوى قبيلة أولاد سيدي منصور التي يبدو أنها لم تتمكن من مغادرة المكان لعدم كفاية وسائل النقل حسب ما جاء في المصادر الفرنسية.

فتحرك الجنرال مارتينو خلف جبال الناظور لحماية المنطقة الواقعة بين تيارت وثنية الأحد، ثم سينتقل يومي 3-4 سبتمبر إلى المناطق المجاورة لعين الوسخ (عين الذهب حاليا) وأهالي سوسلم شرق تيارت، وتنضم إليهم فرق صغيرة تسند إليها مهمة فرض النظام⁴، ومن الناحية الغربية سيتم نشر قوات ثابتة مشكلة بذلك خط مراقبة في المناطق الواسعة بين تيارت وطافراوة، وإذا حاول الثوار اختراقه سيقوم الجنرال مارتينو والعقيد بيشو على رأس طابور قوي الموجود في القطيفة بملاحقتهم، ثم يقوم مارتينو بتسيير دوريات مستمرة حول تيارت، بينما يقوم العقيد لاباسي الذي يتوفر على قوات كبيرة ومنظمة بالضغط على قبيلة مطماطة

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°233, du 28 aout 1864 -

² - GR1H230 BIS: « Insurrection dans la subdivision de Mascara. 1864. » Journal de marche et des opérations militaires. Du 1^{ER} au 10. Octobre 1864

³ - Ibid

⁴ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°233, du 28 aout 1864

والكرايش في أعالي رهيو باتجاه عين قidal في حين تتحرك قوات (Cérez) لتقديم الدعم للعقيد لاباسي في وصوله إلى وادي لارجام¹.

وتم محاصرة قبيلة أولاد منصور في قمة جبل الناظور من قبل القوات المشتركة لكل من العقيد بيشو والجنرال مارتينومند شهر أوت المنصرم، ولم يتم إلحاق الهزيمة بهم مما يدل على صمود المقاومين الذين تحصنوا في الجبال، واستمر الحصار حتى بداية شهر سبتمبر الذي سمح للجيش الفرنسي بالتحرك في أجواء مناخية معتدلة، حيث تمكنت القوات المحاصرة من تضيق الخناق عليهم، فأجابهم الثوار بالرصاص، فرفعت القوات المهاجمة راية الحضارة الإنسانية وبأشرت في بقر حوامل النساء، فكانت تقتل المرأة الحامل وجنينها أبشع قتلة، وترمى الأخرى من أعلى سفح الجبل العالي، كما كانت بعض النساء يرمين بأنفسهن من أعلى الجبل حفاظا على شرفهن². هذه هي تعاليم المسيح الذي قال: "إذا ضربك أحد على خدك الأيسر فأعطيه الخد الأيمن." وتواصلت عمليات القتل بكل وحشية ودم بارد وهذا ما أكدته جريدة (Journal de L'ain) في عددها الصادر يوم 12 سبتمبر 1864 بخصوص العملية العسكرية البشعة مشيرة إلى وحشيتها: "50 مقاتل حوصروا في الجبل وقطعوا أشلاء".

ويشيد العقيد تروملي الذي وصف هذه العملية بالناجحة ضد الأطفال والنساء والشيوخ والتي اعتبرتها فرنسا مجرد عصيان تفننت في إحتوائه وكسر شوكته. ولقد عبرت مقاومة أولاد سيدي منصور عن قيم قتالية عريقة أهلتها معنويا لمواجهة الحشود الغازية، فكانت بدون شك ميزة طبعت شخصية المقاتل الجزائري وثقافة تختزن في الوعي الجمعي هذا الكم من التقاليد التي خرج من رحمها رجالات حرب من الطراز الرفيع. لاشك أن هذه الانتصارات سوف يتوج أصحابها بالأوسمة والنياشين، وسيقلدون الرتب العليا في جيش تعلم

¹ - A. N. O. M. 11H12. Dépêche télégraphique, n°233, du 28 aout 1864

² - كبريت علي، مقاومة أولاد سيدي منصور في جبل الناظور وإبادة جبل سكونة جنوب تيارت 1864، وهران، دار القدس العربي، ط1، 2014، صص 79-80

فنون القتال من خلال مواجهة الأبرياء والسكان العزل. ويواصل العقيد ذكر بطولات جيشه في سلب ونهب مواشي القبيلة، والقضاء على 500 مسلح تحصنوا في الجبال، واقتياد النساء والأطفال أسرى إلى تيارت وأما عن الجانب الفرنسي فإن الخسائر لم تكن ذات أهمية حسبما ذكره

تروملي، حيث فقدت القوات المهاجمة 03 قتلى منهم رام وفارسين من الحشم و03 جرحى وفارسين من صدمة وواحد من الزواف¹.

وفعلا أن الذين قتلوا دفاعا عن الإستعمار لا قيمة لهم كبشر، لأنهم بكل بساطة خانوا أمتهم ووطنهم وتخلوا عن شرفهم مقابل بعض الفرندات ومتاع قليل.

وهذا يذكرنا بما حدث لقبيلة أولاد رياح التي ارتكبت في حقها مذبحه غار الفراريش التي لازالت أرواحهم تلاحق القادة الفرنسيين في قبورهم من أمثال العقيد بيليسي وبيجو، وهذا الجنرال مارتينو وبيشو ولاباسي يسيرون على درب أساتذتهم الكبار خريجي المدارس العسكرية المتخصصة في سفك الدماء، وارتكاب الفظائع التي تقشع منها الأبدان.

وظلت القوات الفرنسية الغازية تجري هنا وهناك آمله في أن تضع حدا للمقاومة كالذي يجري وراء السراب فيحسبه ماء، وهكذا يتبين لنا أن الفرنسيين لا يتم لهم فتح منطقة حتى يضطروا لإعادة فتحها من جديد، مما دع الكولونيل دومنتي (Dumontet) لأن يقول: " لست متفائلا بمستقبل هذه المستعمرة التي أردنا أن ننشئها على مثل هذه الأسس هذه المستعمرة التي لا بد من إعادة احتلالها كل ثلاث سنوات"². ولم تجف أيادي السفاح مارتينو وبيشو من دماء أولاد سيدي منصور، حتى بدأت في التحرك نحو جنوب الناظور لمحاصرة باقية الثوار هناك، فانطلق طابورليبر (Liébert) لينضم بالتعاون مع طابور مارتينو وبيشو من الناحية الشمالية لتمشيط المنطقة بحثا عن الثوار، في حين يواصل مارتينو زحفه باتجاه الجنوب وصولا إلى عين الوسخ، ثم ينحرف باتجاه سوسلم للإيقاع بالثوار بين طابوره

¹ - Trumelet. R. A. Vol. 24. 1880. P10

² - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 84

وطابور بيشو في حين توجه الجنرال ليبر في نفس الاتجاه لمفاجأة القبائل التي ستحاول الفرار نحو الشمال الشرقي¹. ولتنفيذ هذه الخطة غادر الجنرال ليبر عين تكريه، تاركا مخيمه تحت حراسة ثلاث كتائب من المشاة، وصل يوم 08 سبتمبر إلى وادي سوسلم، ولم يجد في طريقه ولا تائر واحد وبمعية جزء من طابوره الذي يتكون من 06 كتائب من النخبة، وفرسانه وقطعة من المدفعية الجبال. حاول أن يراقب الوضع فبعث يوم 09 سبتمبر بسرية استطلاعية إلى كوجيلة وصولاً إلى الغوصني²، لكنه كان سيء الحظ فلم يجد ما كان يبحث عنه. بينما عاد الجنرال ليبر إلى مقره بتكريه يوم 11 سبتمبر للتزود بالمؤن ومواصلة تحركه باتجاه الشلالة أين سيلتقي هناك بالجنرال يوسف والعقيد أرشينار³.

وعاد قوم سي أحمد ولد قاضي الذي كان رفقة الجنرال مارتينو محملاً بعدد كبير من الغنائم، وأثناء عودته إلى فرنده وفرله الجنرال ليبر الحماية. وفي يوم 06 سبتمبر قام الجنرال دليني بإرسال سرية استطلاع تتكون من 200 حصان إلى عين القطيفة من ناحية الشط الشرقي ووصل الجنرال في نفس اليوم إلى مدريسة الواقعة جنوب فرنده على بعد 26 كلم⁴.

وكما ذكرنا سابقاً، قرر الجنرال يوسف التوجه إلى الشلالة، والتي وصلها في 12 سبتمبر على رأس طابور يتكون من 2600 رجل، منها ثلاثة فيالق مشاة وثلاث كتائب من الزواف وكتيبة من فنانسة إفريقية، ومجموعة من الصباحية وفصيلة من المدفعية وفصيلة خاصة بالجبال، وكل التجهيزات الضرورية للحرب⁵.

أما العقيد أرشينار فتحرك على رأس قافلة تتوفر على مؤونة تكفي لمدة عشرين يوماً، ثم غادر مخيمه يوم 09 سبتمبر قاصداً حمية الغربية فاعترضته الكثبان الرملية فعرقلت مسيره، فغير اتجاهه ناحية الجنوب فقصد حسيان عقلة الزعفران، وأثناء نصب الخيام سمعوا

1- Trumelet. Op,cit. R. A. Vol. 24. 1880. P10

2- Ibid. P11

3- Ibid. P11

4- Ibid. P11

5- Ibid. P14

طلاقات نارية تستهدفهم من الجهة المقابلة للمخيم فأمر العقيد أرشينار الملازم (Micaelli) رفقة قوم أولاد نايلبا لسير نحو الثوار لكنهم تم مواجهتهم بوابل كثيف من الرصاص¹، فبقي قوم أولاد نايل في مواجهة الثوار مما سمح للملازم بإبلاغ قائد الجيش الفرنسي أرشينار الذي أرسل على الفور تعزيزات عسكرية بقيادة المقدم (Collot)، فوقعت الاشتباكات بين الطرفين والتي أسفرت حسب المصادر الفرنسية عن مقتل عنصر واحد و06 من الجرحى من بينهم الملازم (Windham) الذي توفي متأثراً بجراحه يوم 13 سبتمبر، بينما كانت الخسائر في صفوف الثوار أكبر بكثير من خسائر العدو حسب زعمه².

ومع نهاية شهر سبتمبر رفع الحاج قدور مخيمه مع سي لعلا، وتوجها نحو الشط الشرقي للتأثير على قبيلتي الطرافي والرزائية. مما دفع بالقوات الفرنسية إلى الإستعداد لمواجهة كل الإحتمالات بتنظيم ثلاث فرق عسكرية كبيرة³، تكفلت بمطاردة الثوار ومحاصرتهم بقيادة الجنرال مارتينو، (Martineau) دليني (Deligny) وجولفي، (Jolivet) وبدأت عملية المطاردة بتركيز قوات مارتينو ودليني في فرنده، بينما خيم الجنرال جولفي في الخيثر، وفي ليلة 29 من شهر سبتمبر بلغه أن سي لعلا توجه نحو بدروس، فقام بمطاردته حتى إلى بدروس التي وجدها خالية، فاقترب من آبار المياه لسقي قافلته، ففاجأه سي لعلا من جهتين وتم القضاء على 27 مجندا وجرح 48 آخرين و150 أصبحوا في عداد المفقودين⁴، وفي 05 أكتوبر واصل سي لعلا مشواره الثوري بحرق ممتلكات الكولون في سيدي علي بن

¹- Ibid. P15

²- Ibid

³- A. N. O. M. 22H9. Op,cit. P89

⁴- Ibid. P91.

- وصفت السلطات الفرنسية الذين سقطوا في هذه المعركة من الكسالى والعجزة، وان الثوار لا يواجهون الجيش الفرنسي وجها لوجه، ويقومون بقص الضعفاء، وكأن الطوابير الفرنسية يتم تزويدها ب بالمرضى والعجزة...! وهذه إدعاءات تنتشرها فرنسا لكي تثبت بأن قواتها لا يمكن هزمها على يد المقاومين الجزائريين، يبدو أنها مصابة بفقدان الذاكرة وهي التي فقدت عدد لا يستهان به من خيرة ضباطها في معارك غير متكافئة مع المقاومين الجزائريين.

وينكر تروملي أن الثوار تمكنوا في لمحة بصر من الإستلاء على أمتعة الفرسان، ثم ساروا بجانب قافلة الفرسان وتمكنوا من القضاء على 110 عنصر من قناصة إفريقيا، الذين كانوا يعانون من الجوع العطش، ولم يكن في وسعهم إطلاق رصاصة واحدة، وبهذه العبارات الرقيقة يبرر تروملي وقادة الجيش الفرنسي أسباب الفشل والإنهزام

يوب وفي تاسالا¹. فلم يجد الجنرال من حيلة للتغطية عن فشله، سوى التكيل بالرعاة والسكان العزل لعله يظفر على رتبة عسكرية تؤهله لكي يحتل منصبا ساميا. وأمام تزايد الضغط على الثوار من كل الجهات وإنسحابهم إلى الجنوب قرر الحاج قدور بن صحراوي ترك المقاومة وطلب الأمان من الجيش الفرنسي، مما شجع بعض الفروع في دائرة البيض على أن تقتدي به².

وأمام تخلي كثير من القبائل عن مواصلة المقاومة بسبب الإجهاد والتعب الذي أصابها وقيام الجنرال دليني ومارغريت بتشديد الخناق على سي محمد الذي وجد نفسه مظطرا للجوء إلى جبل تيسمارت ومن ثم إلى غارة سيدي الشيخ، وبتاريخ 4 فيفري قام الحاج قدور بن صحراوي وفرسانه بالتوجه نحو غارة سيدي الشيخ وهناك تم إلحاق الهزيمة بالثوار الذين كانوا يوفرون الحماية لسي محمد الذي أوصيب بجروح بليغة توفي على إثرها بعد 18 يوما من المعركة³.

ويذكر العقيد تروملي إنه من الصعب معرفة الذي وجه الرصاص القاتلة التي أنهت حياة سي محمد، لكن هناك من ادعى إنه هو الذي قتله كما جاء على لسان كل من ابن الحاج قدور وسي أحمد ولد قاضي، ولكن الحاج قدور نفسه ادعى ذلك بعد توقيفه من قبل السلطات الفرنسية لرد الاعتبار لنفسه. وتفيد المصادر الفرنسية أن الذي قتل سي محمد هو الفارس بلحقاد بلحشمي من قبيلة الأحرار ينتمي إلى فرع تمايمة التابع لأولاد الزوي⁴.

وتواصلت المقاومة التي تزعمها أعيان أولاد سيدي الشيخ والتي وجدت في أهالي تيارت من يقدم لها الدعم والمساندة معبرين بذلك عن رفضهم للاستعمار، وقدموا أثناء هذه الثورة الكثير من أبنائهم وممتلكاتهم إيمانا منهم بأن إرادة الأهالي لا يمكن قهرها بالقوة وأن سياسة البطش والتكيل التي جعلتهم يطلبون الأمان كلما اشتد عليهم الخناق، ماهي إلا

¹- Ibid. 92

²- Ibid. 92.

³- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 193.

⁴- A. N. O. M. 22H9. Op,Cit. P95.

فرصة يمكن الاستفادة منها في التقاط أنفاسهم، وبمجرد أن يتسع الأمر لهم يعودون مجددا لدعم الثورة التي ظلت تمثل بالنسبة لهم بريق أمل في التخلص من هذا الاستعمار البغيض. والملاحظ أن اتساع رقعة الثورة، التي شملت أجزاء كبيرة من تراب ولاية تيارت، لها دلالة هامة، تتمثل في قيام قبائل المنطقة بدعم ثورة أولاد سيدي الشيخ واحتضانها، من خلال القيام بعمليات عسكرية جريئة، كمشاركتها في معركة عوينات بوبكر وضرب مراكز العدوان في كل من عين الوسخ وسيدي عبد الرحمن والغصني، وكلفتهم هذه المشاركة ثمنا باهضا، حيث نفذت فرنسا عمليات انتقامية ضد القبائل التي ناصرته الثورة، فأعدمت الكثير منهم عقب حادثة الرحوية، وأبادت بكل وحشية قبيلة أولاد سيدي منصور بالقرب من جبل الناظور، وسلبتهم ممتلكاتهم من مواشي وأعلاف، ثم أجبرتهم على دفع مبالغ مالية هامة، كتعويض عن مصاريف الحرب التي خاضتها ضد الأهالي العزل.

ورغم المحن التي تعرضت لها سائر القبائل في المنطقة، لم تفقد الأمل في التخلص من هذا الاستعمار الذي أصبح قدرا يستوجب دحره بكافة الوسائل المتاحة، وكانت المقاومة رغم بدائية وسائلها وقلة إمكانياتها إلا أنها أسقطت العديد من الرؤوس العسكرية والجنود، وشكلت خطرا على مراكز تجمع المستوطنين في مناطق مختلفة من تراب تيارت، فدفعت بذلك المحتل فاتورة كبيرة، ولم ينعم بالاستقرار والأمن طيلة وجوده بالجزائر. ورغم التفوق العسكري والتقني الذي كان من نصيب جيش الاحتلال، ظلت قبائل المنطقة تتربص بالوضع وتنتظر ساعة الخلاص، فكانت ثورة بوعمامة بمثابة المهدي المنتظر الذي سيعيد الأمور إلى نصابها، فانخرطوا فيها وتحول تراب الولاية إلى مسرح لكثير من العمليات العسكرية التي عرفتتها منطقة تيارت وهذا ما سنكشف عنه في الفصل القادم.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

التفاعل الثوري والسياسي للزعامات المحلية مع ثورة بوعمامة 1881.

1. إعادة رسم خريطة التوزيع القبلي لقبائل الأحرار وبداية انفجار الثورة في تيارت.
2. أسباب إنضمام قبيلة الأحرار إلى الثورة.
3. موقف الزعامات الدينية والقبلية من ثورة بوعمامة 1881.

أولاً: موقف الأغا الحاج قدور بن صحراوي.

(1) الاستعدادات الفرنسية ضد الثورة.

(2) معركة الشلالة 19 ماي 1881:

(3) نتائجها:

(4) تقدم بوعمامة باتجاه المناق التلية.

(5) مقتل الضابط برينقارد.

(6) المقاومة في شرق تيارت.

(7) معركة مادنة 14 جوان 1881.

ثانياً: موقف الباشا آغا سي أحمد ولد قاضي.

(1) انعقاد جلسات إستثنائية بوهان لمناقشة عدة الملفات أبرزها ثورة بوعمامة

1881.

(2) المقاومة السياسية

لقد شكلت ثورة أولاد سيدي الشيخ خطرا على الاستعمار الفرنسي، الذي كان يخطط على مد الاحتلال إلى الجنوب الغربي، وإقامة مراكز عسكرية فيه لتأمين تواجهه في المنطقة، وكان لثورة أولاد سيدي الشيخ صدى كبير في أوساط قبائل تيارت، التي احتضنت المقاومة، وشاركت فيها أقوى القبائل، ويأتي على رأسها قبيلة الأحرار الشراقة بقيادة الحاج قدور بن صحراوي، الذي انضم إلى المقاومة من خلال مشاركته في قتل بوبراتر وجيشه إضافة إلى قيام بعض القبائل بتنفيذ عمليات عسكرية في مناطق مختلفة من تراب الولاية.

فتحولت بذلك تيارت إلى منطقة عصيان وتمرد، وخلقت متاعب كبيرة للجيش الفرنسي الذي استعمل كافة الوسائل لإجبار مناطق التمرد فيها على الخضوع والطاعة، ورأى في التحالف القائم بين قبائل الأحرار الشراقة والأحرار الغرابية مصدر تهديد دائم يجب تفكيكه وتشتيته. وتصفية منابع الخطر في المنطقة، لأن تثبيت الاحتلال، كان يتطلب وقتها توفير مناخ ملائم يسوده الأمن والاستقرار. فأقدم على تنفيذ مشروعه كخطوة احترازية لما قد تؤول إليه الأمور مستقبلا، ومن خلال هذه الإجراءات الوقائية يمكن أن تتحكم فرنسا في الوضع الأمني والعسكري، وتكون قواتها في أعلى جهوزيتها لسحق أي ثورة أو تمرد قد تظهر في المنطقة.

ومن جهة أخرى لم تكن الأوساط الفرنسية تتوقع حدوث قلاقل في منطقة الجنوب الغربي، وكان الاعتقاد السائد لديهم أن عهد الثورات قد ولى، فانشغلت حكومات الجمهورية الثالثة بإعداد القوانين والتشريعات الاستثنائية لتكبير السكان، وممارسة المزيد من الضغط والاضطهاد ضد الأهالي. لكن الضغط يولد الانفجار كما يقال، فبرزت شخصية بوعمامة لتؤكد للذين يحلمون بالأمن والاستقرار، أن الشعب الجزائري ليس لديه ما يخسره وأن الثورة خيارا لا يمكن التنازل عنه، وأن ثورة بوعمامة ما هي إلا هي استمرار لثورة الجنوب واستمرار لثورة بوشوشة، الحاج المقراني.

وقد دلت الأحداث على أن قبائل منطقة تيارت كانت دائما على استعداد تام لمؤازرة كل من يحمل السلاح لمواجهة المستعمر، وتوفر قبائلها ملاذا آمنا للثوار، وتنفذ عمليات

عسكرية جريئة إيماناً منها أن خط المقاومة يبقى الأمل الوحيد في التخلص من هذا العدوان الأثم.

1. إعادة رسم خريطة التوزيع القبلي لقبائل الأحرار وبداية انفجار الثورة في تيارت:

هدف هذه الدراسة هو محاولة تفسير مواقف القبائل من استمرارية المقاومة بعد نهاية المشروع الجهادي للأمير عبد القادر، حيث تمكنت فرنسا من وأد هذه التجربة بعد أن كلفتها الكثير من الجهد والمال، وضحت بعدد كبير من أبنائها، مستعملة في ذلك كافة الوسائل لإجبار السكان على الخضوع والاستسلام، لكن هذا لم يمنع الزعامات القبلية والدينية من مواصلة الجهاد، فترسخت لديها تقاليد جهادية التي دأبت مدرسة الأمير عبد القادر على نشرها في صفوف الجزائريين وبالرغم من شراسة العنف الفرنسي وقسوة الحياة الاجتماعية من جراء تكاليف المقاومة وما أعقبها من تشريعات عقابية زادت من متاعب القبائل، ومع ذلك تواصلت أفعال الرفض بالرغم من أنها لم تكن تحمل مشروعاً سياسياً يسندها مثل ما حدث مع الأمير عبد القادر¹.

إن ثورة أولاد سيدي الشيخ التي فتحت آفاقاً كبيرة لقبائل المنطقة وللجزائر قاطبة من للتخلص من الاستعمار، لم تحقق النجاحات التي علفت عليها القبائل المختلفة آمالاً كبيرة وبدأت الشكوك تخامر النفوس، خاصة الذين كانوا ينتظرون الخلاص الذي لم يتحقق واتضح جلياً أن موازين القوة لم تكن في صالح المقاومة، كما حاولت فرنسا من خلال المتعاونين معها على لجم الفعل الثوري لدى القبائل التي كانت خاضعة لزعامة أحمد ولد قاضي²، فكانت الاستراتيجية الاستعمارية تهدف إلى تقويض أركان المقاومة من خلال محاصرتها وتجريدها من السلاح وضرب مكامن القوة فيها من خلال تفكيكها وإرهاقها بالضرائب وفرض الغرامات الحربية عليها، وتضييق الخناق على معظمها مما خلق إستياءاً وتذمراً كبيرين لدى القبائل، مما جعل الكثير منهم ينتظرون ساعة الخلاص التي نادى بها بوعمامة. فالقبائل

¹ - محمد الطيبي، المرجع السابق، ص 72

² - S. H. D. GR1H230. Bis.

المتركزة في جنوب وجنوب شرق تيارت كانت منقسمة إلى فرعين: فرع يضم الأحرار الغرابة والثاني هم الأحرار الشراقة وكان ذلك قبل الاحتلال، واستمر هذا التقسيم إلى غاية 1865¹، كما هو موضحا في الجدول التالي:

الأحرار الغرابة:

◀ الشاوية

◀ أولاد زيان الشراقة

◀ أولاد زيان الغرابة

◀ أولاد حدو

◀ الكعابرة

◀ الدهالسة

◀ الغوادي

◀ الحسينات

الأحرار الشراقة:

◀ أولاد بوعفيف

◀ أولاد عزيز

◀ أولاد بلحسين

◀ أولاد زوي

يتضح من خلال الجدول أن قبائل الأحرار الغرابة أكثر عددا من فرع الشراقة وأنهم محاربون، بينما فرع الشراقة أقل عددا مما جعلهم يتجهون نحو إقامة تحالفات مع قبائل الشرق والصحاري وأولاد خليف². وبذلك يستطيع فرع الشراقة تقوية مركزه بزيادة قدراته على

¹ - S. H. D. « GR1H230 Bis »Op, cit

² - Ibid

تجنيد عدد كبير من الفرسان لتعزيز مواقفه أمام أي تهديد أو هجوم قد يأتي من القبائل المجاورة.

2. أسباب انضمام قبيلة الأحرار إلى الثورة:

يمكن إجمال أسباب انضمام الأحرار الشراقة إلى ثورة بوعمامة 1881 في سببين

رئيسيين:

أولاً: بتاريخ 25 مارس 1881 تلقى الحاكم العام المدني إشعار باستلام رسالة مؤرخة بتاريخ 7 مارس تحمل رقم 1064 من طرف حاكم وهران وهذا نصها: " لقد اقترحتم علينا أن يتم ضم لباش آغاليك فرنده، قبيلة (أولاد زيان الشراقة وقبيلة أولاد حدو وفرع الحديدات التابع لقبيلة الكعابرة)، الذين كانوا تحت قيادة الحاج قدور بن صحراوي زعيم قبيلة الأحرار الشراقة فإن اقتراحكم هذا جدير بالدراسة"¹.

وحملت نفس البرقية المزايا التي يمكن جنيها من هذا المشروع، كربط القبائل بالدائرة التي توجد بها معظم أراضيها الفلاحية، وتسهيل عملية التحكم فيها إداريا بواسطة مراقبة الشرطة لمواطنيها²، لكن هذا المشروع لقي صعوبات تتمثل في القبائل البدوية التي تعتمد على الترحال. غير أن مصلحة فرنسا وتصميم الجيش الفرنسي على تنفيذ هذه الخطة دفعت السلطات الفرنسية باتجاه تفكيك الكونفدرالية القبلية لقبيلة الأحرار، وإعادة تقسيمها وتفنيتها إلى قبيلتين: قبيلة الأحرار الشراقة بزعامة الحاج قدور بن صحراوي، وقبيلة الأحرار الغرابة تحت قيادة سي أحمد ولد قاضي باش آغا فرنده³.

وكانت فرنسا تتوفر على دراسات سوسولوجية قبلية ومعطيات إحصائية حول تثبيت عرى اللحمة بين مختلف القبائل، ويتجسد ذلك في سعي الزعماء المستمر في توسيع نفوذهم وتحالفاتهم التي تمثل في جانب منه إحدى الوسائل الأساسية في معالجة هشاشتهم العسكرية في مواجهة هذا الخصم القوي، إن التلاحم القبلي الذي كان ينتشر داخل هذا المثلث الذي

¹ - A. N. O. M. 7H24. Chefs indigènes en Oranie

² - A. N. O. M. 7H24. dépêche télégraphique, n°107, du 19 mars 1881

³ - S. H. D. GR1H230. Bis. Op, cit.

قاعدته سعيدة، البيض، جبل عمور ورأسه وتيارت، إنما أملت المتغيرات المتمثلة في التوسع الاستعماري الذي أصبح يهدد أمن ومستقبل هذه القبائل، هذا فضلا عن امتلاك الحاج قدور لنفوذ واسع يمتد من تيارت إلى أعماق المناطق السهبية، وخاصة أن هذه القبائل على اتصال ببعضها البعض بحكم حياة الترحال والعلاقات الاجتماعية والأسرية التي تربط بين مكوناتها.

فهذا الوسط الحيوي يختزن في أحشائه روح العمليات القتالية والمقاومة، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار زاوية أولاد سيدي الشيخ التي كانت تمثل من خلال مكانتها الدينية ورمزيتها من قوة تأثير على مخيلة أتباعها، فهي المنبع الذي يغذي المعارف الجهادية، لقد اكتسبت شرعية لم تكن محل نقاش في الوسط البدوي ليس داخل قبيلة أولاد سيدي الشيخ وإنما في كل المناطق التي كانت تدين لها بالولاء، فهذه العناصر مجتمعة هي التي دفعت بالسلطات الفرنسية في إعادة تشكيل التحالفات القبلية في المنطقة بما يتماشى مع مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، خاصة وأن هذا المثلث يعتبر المفتاح الرئيسي للوصول إلى المناطق صعبة المنال عسكريا واقتصاديا في أقصى جنوب الصحراء عسكريا واقتصاديا. فدعوة الحاكم العام الرامية إلى شردمة المكون القبلي لمنطقة تيارت لا يندرج إلا ضمن سياق تغيير موازين القوى، ومحاولة الاستعانة بأحمد ولد قاضي الذي كان يحظى باحترام وتقدير سلطات العدو له والمراهنة عليه في استتباب الأمن والاستقرار.

فأغوية فرنسة تتكون من قبائل شديدة المراس، حيث شارك أهلها في عدة انتفاضات، منها ما حدث في شهر ماي 1854 حيث التقت قبيلة الحسينات حول زعيمها محمد الغرنوق الذي حاول تزعم المقاومة في جبل الناظور، فلاحقه رئيس المكتب العربي على رأس قوة تتكون من الفرسان فاشتبك الطرفان في معركة غير متكافئة أسفرت عن مقتل زعيم المقاومة وتم فرض غرامة مالية كبيرة على القبيلة وأسر مجموعة منهم والتي تم ترحيلها إلى سانت ما غريت¹. فوضع هذه القبائل تحت سلطته كان القصد منه مراقبتها والمحافظة على الهدوء،

¹- A. N. O. M. 10H53

مقابل ذلك استفاد هذا الأخير من علاقاته مع فرنسا، بمراكمة الثروة عن طريق جباية الضرائب والهدايا التي كانت تقدمها له قيادات القبائل التي كانت تحت سلطته.

لقد استخلصت فرنسا من تجاربها السابقة، أن هذه الكونفدرالية القبلية التي احتضنت ثورة أولاد سيدي الشيخ وما تمثله من ثقل عسكري وبشري، أن الأوان لتفكيكها واختراقها في الأعماق بغية شل فعاليتها وتقزيمها وتكسير إرادتها، وتحجيم قدر الإمكان شرستها وعزلها عن قياداتها، وقطعها عن روافدها المادية التموين والتمويل، والعمل على تحديد مواطنها، حيث أن أولاد زيان الشراقة وأولاد حدو كانا يشكلان قبل 1864 قبيلة واحدة تعرف باسم أولاد زيان الشراقة وينتميان إلى دائرة تيارت، في حين أن أغلب أراضيهم تقع في أغوية فرنده التابعة لدائرة معسكر.

وتكملة للبرقية الواردة أعلاه أضاف المتحدث العسكري ما يلي " يشرفني أن أقترح عليكم إعادة ضم قبيلة أولاد حدو وقبيلة أولاد زيان الشراقة إلى قبيلة الأحرار الغرابة كما يجب تطبيق نفس الإجراء على فرع الحديدات التابع للكعابرة وذلك بضمه لقبيلة الغوادي¹.

وهناك قبيلة أخرى تمر بنفس الظروف وهي قبيلة أولاد سيدي خالد (الأحرار الشراقة) التي تعيش في موطن أغوية تيارت، وبما أنها خاضعة لسلطة قدور بن صحراوي الذي ورثها عن أجداده، لا أقترح في هذه الحالة ضم القبيلة التي تتكون من 55 خيمة إلى أغوية فرنده حيث أن مسألة التغيير ستحدث مشاكل بالنسبة للإدارة والشرطة فيما يتعلق بموضوع إحصاء الموارد الخاضعة للضريبة ومراقبة القبيلة².

ثانياً: ففي مطلع سنة 1881 عرفت أغوية فرنده وتيارت توسعا غير مسبوق للإدارة المدنية وهي سابقة لم تعهدها المنطقة من قبل. وإقدام الحكومة الفرنسية إلى نقل ثلاث قبائل كانت تحت سلطة قدور بن صحراوي ووضعها تحت سي أحمد ولد قاضي³، الذي منحته فرنسا

¹ - A. N. O. M. 7H24. Dépêche télégraphique , n°1064, du 7 mars 1881

² - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

³ - «Le Courrier D'Oran. » Mercredi 1^{er} juin 1881. 22^{ème} année. 2^{ème} série. N°3181.

لقب باش آغا¹، وهو لقب إداري أعلى مكانة من رتبة آغا التي أصبحت من نصيب الحاج قدور بن صحراوي، الذي كتم غيظه إلى حين، واعتبر ما حدث إهانة لشخصه وحط لمكانته وسلطته التي كان يتمتع بها بين أتباعه.

وكان يرى في شخص الأغا أحمد ولد قاضي المنافس العنيد له، سوى متطفل وغير مرغوب فيه من طرف قبائل الأحرار الغرابة ولذلك كان يطالب منذ أمد بعيد بأن تخلع فرنسا على ابنه لقب آغا فرندي، وكان مصمما على بلوغ أهدافه مهما كانت الظروف حتى إن اضطره الأمر إلى إعلان الثورة على فرنسا وأعاونها²، ولتحقيق ذلك، قام باستدعاء شخصية مهمة من قبيلة أولاد سيد الشيخ إلى تيارت لبحث هذه المستجدات واتفقا على ما يلي: " إن لم يتم تنصيب ابنه آغا على فرندي مستقبلا من طرف الحاكم العام فإن الأحرار وأولاد سيد الشيخ سيعلمون الثورة ضد فرنسا"³.

ويتضح من خلال ذلك أن الحاج قدور بن صحراوي لم يكن يملك القدرة على تزعم الثورة بقدر ما كان يطمح إلى تأمين شروط استمرار زعامته بما يترتب على ذلك من منافع خاصة، ووصلت هذه المعلومات إلى فرنسا عن طريق الخادم الذي كان رفقة المرابط من أولاد سيدي الشيخ، الذي كان يعمل جسوسا لدى المكتب العربي، حضر الاجتماع الذي دار بينهما، وفور انتهاء المحادثات بين الطرفين سارع إلى إبلاغ السلطات الفرنسية بذلك⁴.

والسؤال المطروح لماذا أقدمت السلطات الفرنسية على هذه الخطوة الاستغزائية التي أثارت غضب هذا الزعيم واسع النفوذ في المنطقة؟.

¹ - « La Nouvelle Revue. » Op, cit. P156

² - « La Tafna. » Journal de l'arrondissement de Tlemcen IERE année, n°21, mercredi 14 novembre 1883

³ - Ibid

⁴ - « La Tafna. » Journal de l'arrondissement de Tlemcen, première année, n°21, mercredi 14 novembre 1883

هدفها واضح هو تقليص نفوذ الحاج قدور بن صحراوي، الذي يتمتع بذكاء حاد وكلمته نافذة في أوساط أتباعه وسلطته تمتد من تيارت إلى جبل عمور¹، انضم لثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864، والتي كان من نتائجها مقتل العقيد بوبراتر ووصول تأثيراتها إلى منطقة تيارت التي أصبحت مسرحا لكثير من العمليات العسكرية التي استهدفت المراكز الفرنسية والمتعاونين معها.

وهو الذي قام بذبح المعمرين في بن يوب²، ووضع وسام الشرف الذي منحه إياه فرنسا يوم 10 جوان 1966 على ذيل حصانه³، وبصق على العلم الفرنسي وفي شهر فيفري 1869 أظهر تصرفات مريبة والتقى في جبل عمور مع العقيد دوسوني (de Sonis) القائد الأعلى للأغواط، واشتبك معه بالقرب من عين ماضي فقامت قافلة من البيض بقطع طريق العودة عليه، فتلقى أمرا من السلطات الفرنسية للالتحاق بالقافلة⁴، وفي سنة 1872 أشار القائد الأعلى لتيارت أن الحاج قدور لا يعمل إلا في حدود معينة، وأنه سيد في قبيلته. وفي 1874 أبدى نوع من الاستقلالية عن فرنسا، وحاول أن يتزعم على إثر ذلك مقاومة الأحرار في منطقة القطيفة مرغما لكنه لم يفعل⁵.

3. موقف الزعامات الدينية والقبلية من ثورة بوعمامة 1881:

أولا-موقف الحاج قدور بن صحراوي:

إن هذه التصرفات دفعت بفرنسا إلى وضعه في خانة المناوئين لها، بل أدرجته ضمن قائمة المتمردين عليها. وكان لهذه الإجراءات التي أقدمت عليها السلطات الفرنسية ردة فعل سريعة من قبل قيادات هذه القبائل، التي حاولت أن تقف إلى جانب زعيمها الحاج قدور بن

¹- 7H24. Op ,cit.

« Le Courrier d'Oran. p , cit

وينظر:

Revue: « Le Gaulois. » Troisième année , 2ème série ,n°732,mercredi 14 septembre 1881

²- « Le Petit Fanal. » Deuxième année ,n°332 ,Oran ,jeudi 27avril 1882

³- Ibid

⁴- N A. O. M. 7H24. Op, cit

⁵- Ibid

صحراوي، ورفضها الانضمام لباش آغا فرنده¹، ولما شعر قدور بن صحراوي بانحصار سلطته وتراجعها أمام خصمه اللدود سي أحمد ولد قاضي فكر في التخلي عن فرنسا، التي أرادت بذلك كبح نزوعه السلطوي وتقليم أظافره وإعادة ترتيب دوره في المرحلة المقبلة، وفك ارتباطه بقبائل الأحرار الغرابة يندرج ضمن الاستراتيجية الفرنسية الرامية إلى توزيع الأدوار للزعامات القبلية بما يخدم مصالح العدو، إذن فلا غرابة أن ينضم لدوار الجرامنة (أولاد زيان) وقبائل الترافي والأغواط².

فقد ترك هذا التحول في سياسة الحاج قدور أثر عميق لدى بوعمامة الذي رأى في ذلك مكسب عظيم لتعزيز صفوفه خاصة وأنه أخذ يعد العدة لمواجهة القوات الفرنسية الغازية، ولمد جسور الاتصال بينه وبين بوعمامة أوفد الحاج قدور ثلاثة مبعوثين إليه في المغزار وهم الحاج حمزة بن المجدوب ومحمد بن ناصر وبلقاسم بن محمد وهم من قبيلة الشاوية (تيارت) ومحمد بن حليلة من أولاد سيدي الشيخ، وزودهم بوثائق رسمية تتيح لهم التحرك بكل حرية فتظاهر بأنهم يبحثون عن جمال مفقودة³، وعند وصولهم عند بوعمامة أطلعوه على محتوى رسالة الحاج قدور بن صحراوي والتي تتضمن ما يلي: " نصب نفسك سلطانا، وأدعو كافة الأهالي للثورة، وسوف نجعل أنفسنا أعداء لك ظاهريا وفي عيون فرنسا، وسوف نقدم لك كل ما تحتاجه سريا من حبوب ومال وسلاح، وستجد عندي كل المعلومات التي تصلني من فرنسا والتي سأقوم بنقلها إليك على عجل⁴، "وعندما عاد الوفد الذي يبدو أنه نجح في مهمته إلى الحاج قدور بن صحراوي نقلوا إليه رد بوعمامة الذي كان مقتضبا وفيه: " كن مطمئنا سوف أنفذ كل ما تريده"⁵، كما بعث الحاج قدور بن صحراوي ابنه بن قدور قايد أولاد عزيز (تيارت) رفقة 02 من الأهالي للالتقاء بسي أحمد بن سالم في

¹ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

² - Ibid

³ - 7H24، لقد وقعت هذه الرخصة في يد النقيب ريون (Reuillon) والذي قام بوضعها في ملف بن صحراوي، (المستند رقم 5) وذلك لجمع أكبر عدد من الأدلة لإدانته مستقبلا

⁴ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁵ - Ibid

عين ماضي دائرة الأغواط لاطلاعه على فحوى الرسالة التي بعث بها إلى بوعمامة، لكن سي أحمد بن سلم رفض ما جاء في الرسالة وأجابهم بما يلي: " أنا لست من الذين يميلون إلى الفوضى، وإن هذا العرض مرفوض وإذا أصررتم على ذلك سأقوم بتوقيفكم وأحيلكم على السلطات العسكرية الفرنسية"¹.

والمؤكد أن اندلاع ثورة بوعمامة جاءت بعد اتصالات مكثفة أجراها هذا الأخير مع العديد من الزعامات الدينية والسياسية، وكلف لهذا الأمر مبعوثيه الذين شدوا الرحال إلى كثير من القبائل التي توسم فيها الفعل الثوري ومنها قبائل الطرافي والأحرار والرزينة وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى قبائل عمور وحميان والشعانية، واستجابة أولاد سيدي الشيخ الغرابية بإرسال المدد لمؤازرة الثورة، وكانت مساهمة قبيلة الأحرار تتمثل في توفير 160 بين فارس ومشاة²، وفي هذه الأثناء كثر الحديث عن الثورة وأصبح الناس يلهثون في الحصول على المعلومات التي تتحدث على أن هناك شيئاً ما يتم التحضير له في الجنوب، مما دفع بالسلطات الفرنسية إلى إرسال حواسيسها في كل مكان للتحقق من الأمر، وفي هذا الوقت وصل الحاج قدور بن صحراوي إلى تيارت قصد العلاج³، فالتقى بالقائد الأعلى لتيارت الذي يبدو أنه كان في انتظاره، لكي يطلعه على الأوضاع الأمنية التي كثر الحديث عنها في منطقة الجنوب ولما وصل سأله عن الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، فأجابه بأنها على أحسن ما يرام وأردف قائلاً: " إن ما تسمعه ما هو إلا إشاعات يرددها بعض المغرضين"⁴.

ولكي يتحقق الحاكم الأعلى لتيارت من هذه الإشاعات كما يراد لها، أمر يوم 17 أفريل النقيب باريس (Parés) مساعد رئيس المكتب العربي لتيارت، وكانت التعليمات

¹ - Ibid

² - إبراهيم مياسي، نفس المرجع، ص، 278. وينظر: عبد الحميد زوزو، "ثورة بوعمامة 1881-1908 جانباها السياسي والعسكري"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 13

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

E. Graulle: « Insurrection de Bouamama (avril 1881). » Paris. Charles -Lavauzelle. 23: ينظر

⁴ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

الصادرة إليه تقضي بجمع المعلومات وتقصي الحقائق، خاصة فيما يتعلق بوجود مبعوثين لبوعمامة لأن ما قدمه الحاج قدور وابنه من تفسيرات مبهمة حول الوضع الأمني لا يمكن الأخذ بها¹.

وفي 19 أبريل عاد الأغا الحاج قدور إلى مكان إقامته، وغير بعيد عنه كان هناك 2 من مبعوثي بوعمامة يقومان بتحريض القبائل على الثورة، وبالرغم من الأوامر الصارمة الصادرة إليه من السلطات الفرنسية، لم يقم الحاج قدور بتوقيفهم²، مما أعطى انطباعاً بتآمره ضد فرنسا، الأمر الذي دفع بالقائد الأعلى لتيارت إلى إرسال برقية بتاريخ 19 أبريل يعلمه فيها أن أحد مبعوثي بوعمامة وهو بلقاسم بلزغم موجود عند الأحرار الشراقة والمطلوب منك توقيفهم فوراً³.

وفي 20 أبريل أمر القائد الأعلى لتيارت الأغا بن صحراوي بتوقيف المقدم الطيب الجرمانى الذي كان موجوداً عند الأحرار الغرابة فأجابه بأنه يقوم بمجرد زيارات اعتيادية لقبيلة أولاد حدو، وأولاد لعرج (أولاد زيان الشراقة) ويزور أيضاً حمزة والحاج النعيمي (الشاوية)⁴.

ثم أخذت البرقيات تتهاطل من السلطات الفرنسية، التي يبدو أنها متأكدة من هذه التحركات لشخصيات لها علاقة ببوعمامة، فوجه حاكم معسكر رسالة إلى حاكم تيارت يطلب فيها منه البحث عن الطيب الجرمانى وأنه على علم بأنه موجود عند أولاد حدو وفي خيمة الحاج قدور ولد بغداد ولد قدور بلزرق أخ القايد⁵.

وفي 22 أبريل توجه الملازم الفرنسي (Weinbrenner) ضابط المكتب العربي للبيض رفقة 4 من الصباحية إلى واد الحجل لتوقيف 2 من قادة الدوار، الدين بن محمد ودحمان بن

¹ - Ibid

² - Ibid

³ - Ibid

وينظر A. N. O. M. 66MIOM125/1. Op, cit

⁴ - Ibid

⁵ - Ibid

الشيخ اللذان كانا يخيمان غرب بوزلي والطيب الجرمانى وبلقاسم ولد لزغم¹، مستعملا القوة بحجة تطبيق القانون، وعند وصوله كان في استقباله الدين بن محمد من الجرامنة الذي صدر في حقه أمرا بتوقيفه، فدعاه إلى النزول من على ظهر الحصان لأخذ قسط من الراحة وتناول وجبة خفيفة، وبهذا يكون الدين بن محمد قد نصب كميناً لهذا الضابط، الذي تم اغتياله مع 2 من حراسه في نفس اليوم²، وآسر مرافقه الضابط لخضر ولد بن عوفية من طرف الجرامنة، وجرح أخ الشيخ بن بوسماحة قائد أولاد زياد الشراقة.

وفي الليلة التالية عسكر النقيب باريس (Parés) في عسكرة جنوب فرندة في وسط قبيلة أولاد حدو التي أعلن زعمائها الانضمام إلى الثورة، وخشيت حينها السلطات الفرنسية أن يلقى هذا الضابط حتفه على يد هؤلاء المتطرفين على حد تعبيرها. فخشي الأغا الحاج قدور أن يتهم بوقوفه إلى جانب الجرامنة في مقتل الضابط الفرنسي، فاغتمت فرصة وجود النقيب (Parés) عند أولاد حدو، وبعث بفرسانه الأوفياء لإحضار هذا الضابط وإنقاذه من الموت³ لكي يظهر حسن نيته وإخلاصه لفرنسا. ويبعد عن نفسه الاتهامات التي أصبحت تحوم حول علاقاته السرية مع بوعمامة.

وبعد أن قتل الجرامنة الضابط الفرنسي وجماعة من مرافقيه عند بداية ظهور الاضطرابات عوضاً أن يتجهوا نحو الجنوب أو الغرب، فضلوا الاتجاه نحو الشمال للالتحاق بقبيلة الأحرار الشراقة⁴، عن طريق خنق السوق، ولما وصلوا تلقوا رسالة من بلزرق قائد الأحرار موجهة لقبيلة أولاد زياد يدعوهم فيها بالانتظار هنا، حيث أن قبيلة الأحرار على أهبة

¹- A. N. O. M. 30H78: « **Correspondances politiques et diverses(1842-1869).** »

²- Guy de Maupassant. Œuvres complètes illustrées: « Au soleil. »Paris. 1902. P47

وينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 13. وجيلالي صاري، "انتفاضة 1881-1882 ملحمة الشيخ بوعمامة"، ترجمة بن تركي نصيرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2013، ص 111.

³- A. N. O. M. 7H24. Op, cit

ينظر:

J. H. Sénemaud: « **Les affaires du sud oranais. Bouamama , un scandale algérien.** »Alger. 1887. P15.

- A. N. O. M. 66MIOM125/1. Op, cit

⁴- Commandant P –Wachi: « **Notes,itinéraires et souvenirs pour servir à l’histoire de la provinced’Oran. Insurrection de Bouamama(1881-1882).** »In revue tunisienne1901. P5

الاستعداد للانخراط في الثورة¹، وطلبوا من الأغا الحاج قدور أن يرافقهم للاتصال ببوعمامة، لكن الأغا أخفى عنهم توجهه الثوري خوفا من أن ينكشف أمره ورفض طلبهم ثم انسحب فورا ناحية الشمال باتجاه تيارت²، باستثناء قبيلة أولاد حدو التي انضمت إلى الثورة. وتم نصب الخيام بين الوسخ (عين الذهب حاليا) والزبارة، حيث كانت لديه شكوك في تصرفات بعض أتباعه الذين كان لديهم استعداد للانخراط في الثورة، وعند قدوم الليل عقدوا اجتماعا أفضى إلى معارضة البعض منهم دعم ثورة بوعمامة في حين صممت جماعة أخرى على الانضمام إليها³.

والتحق قايد أولاد حدو رفقة 5 أو 6 من عائلته بالجرامنة، كما قامت شخصيات أخرى ذات نفوذ واسع داخل قبيلة الأحرار بإجراء اتصالات مع قبيلة الترافي، في حين حاولت جماعة أخرى منهم منع تحرك قبيلة الأحرار بقيادة الأغا الحاج قدور، فتدخلت القوات الفرنسية وقامت بتوقيف 16 عنصرا منهم، وأجرت تحقيقات معمقة معهم انتهت بإطلاق سراح اثنين منهم ونقلت ستة عناصر أخرى إلى فرنسا ووضعهم في سجونها⁴.

فحاول الحاج قدور استثمار هذه الأحداث وتوظيفها لاسترجاع هيبته، وترك رياح الثورة تتطور داخل قبيلة الأحرار حتى يحصل على الدعم الكافي للانخراط فيها على ما يبدو، ولم يخطر حتى أتباعه المقربين بذلك. وفي هذه الأثناء قدم القايد معمر بن لقرع تقريرا عن هذه الأحداث بمشاركة أعيان الطرافي، وكلفوا عبد الرحمن الشيتوني⁵، بتبليغه للسلطات الفرنسية في البيض حيث قام بتسليمه لرئيس المكتب العربي وأطلععه على كافة التفاصيل

¹ - 30H78، أرشيف آكس أون بروفانس حسب ما جاء في رواية عبد الرحمن الشيتوني، سجلت بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي. بالولاية العامة بتاريخ 20 أوت 1881

² - E. Graulle. Op ,cit. P32

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁴ - Ibid

⁵ - الرحمن الشيتوني، يمكن التعرف عليه من خلال ما أورده من معلومات ضمن رواية طويلة ومسجلة بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي، وفيها يذكر تعاونه مع السلطات الفرنسية وذلك بنقل المعلومات وإعلام العسكريين بتحركات الثوار والتجسس عليهم

التي عاينها هناك مقابل حصوله على مبلغ من المال قدر بـ 500 فرنك¹. ثم تحرك باتجاه الأرباع في إنتظار وصول القوات الفرنسية، وفي اليوم التالي تم رصد قدوم بوعمامة من الأبيض سيدي الشيخ رفقة 50 فارسا وتوقفوا بقبة سيدي عيسى، وفي نفس الوقت وصل 12 مخبرا من قبيلة الأحرار قادمين من الشمال الشرقي ويعملون لصالح القوات الفرنسية، فتوجه نحوهم قوم بوعمامة الذي يبدو أنه ضرب له موعدا من أجل الاتصال بهم، فطوقهم ودار حديث بينهما ربما يكون حول تقدم بوعمامة نحو التل.

وعندما اقترب بوعمامة من منطقة التل القريبة من فرنده، أمر الحاج قدور بن صحراوي أتباعه باستخدام البارود وليس الرصاص الحي²، واتصل ببوعمامة وطلب منه عدم الاستيلاء على موكبه في حال سقوط مدينة فرنده التي كانت تمثل موقع استراتيجيا من الناحية العسكرية فسقوطها يقطع خطوط الإمداد ويحرم فرنسا من الاتصال بالمناطق الجنوبية، كما أوصى الشيخ بوعمامة بعدم توجيه بنادقهم نحو قوم بن صحراوي، والتركيز على ضرب قوم الباشا آغا فرنده (سي أحمد ولد قاضي) وقوم الأغا قدور بن عدة والفرنسيين. وكان يجمع المال باستمرار لبوعمامة، ويقدم له المؤن، الذخيرة والملابس، وكان ينقل له المعلومات بواسطة رجاله المخلصين عن تحركات القوات الفرنسية وأماكن التي كانوا يعسكرون فيها. وقدم بغلة لبوعمامة³، ولما سئل من طرف السلطات الفرنسية أجاب بأنه استولى عليها يوم المعركة.

كانت هذه المعلومات تصل تباعا إلى المكتب العربي بالببيض عن طريق الجواسيس الذين كفوا برصد تحركات الأغا الحاج قدور الصحراوي، وجمعت لهذا الغرض كم هائل من الوثائق التي تدين هذا الأخير في كثير من التصرفات التي سيتم الكشف عنها لاحقا وتكون

¹ - 30H78، أرشيف آكس أون بروفنس حسب ما جاء في رواية عبد الرحمن الشيتوني، سجلت بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي. بالولاية العامة بتاريخ 20 أوت 1881.

² - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

³ - Ibid

كافية لإدانته ثم إعتقاله¹. السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم يتزعم الأغا الحاج قدور الثورة ؟

يجب أن نبحث عن سجله التاريخي وذلك منذ أن تم تنصيبه آغا على الأحرار سنة 1846 ويعود الفضل في ذلك إلى مكانته الاجتماعية فهو ينتمي إلى أسرة عريقة من الشرفاء ويتمتع بشخصية قوية وذكاء حاد مما جعل السلطات الفرنسية تتقرب منه للاستفادة من نفوذه وقوة قومه التي ظلت تشكل قوات رديفة لجيش الاحتلال، بتوفير المؤن والخدمات للحملات العسكرية الفرنسية وذلك منذ 1846-1864. بعد أن تمكن الجنرال لاموريسيار من إخضاع قبيلة الأحرار وأجبرها على دفع غرامة مالية باهضة قدرت بـ 900000 فرنك².

وعند اندلاع ثورة أولاد سيد الشيخ، انضم إليها الحاج قدور بن صحراوي وشارك بقومه في معركة عوينات بوبكر التي أدت إلى سحق القوات الفرنسية التي كان يقودها العقيد بوبراتر فتعرضت قبيلة الأحرار إلى مطاردة شرسة من طرف جيش الاحتلال الذي سلب موالهم ومواشيهم، واضطروهم الجنرال دلييني (Déligny) إلى طلب الأمان³، الذي لم يكن في نظر هؤلاء مجرد هدنة يلتقط فيها المحار أنفاسه، ليستجمع قواه ويعلن حالة العصيان من جديد، كلما توفرت الظروف لذلك، في حين ظلت جماعة أخرى بقيادة القائد الصافي محمد ولد بلعروسي تواصل أعمال المقاومة إلى جانب سي محمد وعمه سي لعلا.

فعودة الأغا الحاج قدور إلى أحضان فرنسا كان نتيجة حسابات دقيقة تمثلت في الخسائر المالية التي تكبدها من جراء مواصلة المقاومة، إضافة إلى المتغيرات العسكرية، والقراءة المتأنية لموازن القوة فشعر حينها بضعف المقاومة، وأن عملية مواصلة الفعل الثوري أصبحت غير مجدية، بعد أن تمكنت فرنسا من توجيه ضربات قاسية للقبائل التي

¹ - في 1883 قامت السلطات الفرنسية باعتقال الأغا بن صحراوي "العدم ولائه الكامل لها وسجنته في العلما (سانطارنو) مع عائلته، وذلك يوم 8 نوفمبر، كان الحاج قدور بن صحراوي زعيما لأولاد سيدي خالد الغرابية، ينظر: د، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900) ج1، ط6، 2009، دار البصائر الجزائر، ص 210

² - Fabre. Op ,Cit. P 286

³ - Ibid. P286

ساندت الثورة، فتحول بذلك إلى خصم لأولاد سيدي الشيخ، وشارك إلى جانب قوات دوليني وبلحضري ولد أحمد ولد قاضي آغا فرندة، في مهاجمة سي محمد ولد حمزة في وديان الزوج الذي جرح جروحا بليغة عجلت بوفاته يوم 22 فيفري¹.

إن إعادة المتوقع والانتقال من معسكر المقاومة إلى الارتقاء في أحضان العدو جعل الكثيرين ينظرون إليه نظرة ريب وشك، وفقد ثقته عند قبيلة أولاد سيد الشيخ التي تزعمت الثورة في الجنوب الغربي، وعندما اندلعت ثورة بوعمامة قدم لها الدعم والمساندة سرىا، ولم يجرؤ على الانخراط فيها بصورة علنية وأخفى علاقاته السرية مع بوعمامة حتى على أتباعه. وعندما قتل الضابط الفرنسي واينبرونر سارع إلى إنقاذ النقيب باريس من الموت المحقق²، ورفض التعاون مع قبيلة الجرمانة التي حاولت أن تتصل به لكي يبعد عن نفسه شبهة المشاركة في الثورة.

ومن جانب آخر فإن الشيخ ولد الحاج النعيمي بلعرج وهو من قبيلة أولاد زيان، الذي أقام مدة ثلاثة أشهر عند بوعمامة، فإن الأغا قد أعاده إلى أهله وذلك بطلب من والده الذي دفع له مبلغ 5000 فرنك وخمسة أحمال من الحبوب حتى لا يبلغ عنه لدى السلطات الفرنسية³، وذات يوم كان موجود في إقليم فرندة، فبعث بأحد شواشه المقربين وهو النعيمي للقيام بجولة استطلاعية وعند عودته أخبره بأن بوعمامة كان يخيم غير بعيد من هنا، فسحب قواته فورا إلى الجانب الآخر والتحق بالأغا إدريس(تيارت) وباش آغا فرندة⁴.

كما شارك إلى جانب دوكلومب (De Colomb) لإخضاع قبيلة حميان في سبدو وتلقى على إثر هذه الخدمات وسام الشرف، وفي تلك الأيام العصيبة التي كانت تمر بها فرنسا، استطاع قومه من مفاجئة أولاد سيدي الشيخ بقيادة قدور بن حمزة وتمكن من وضع يده على

¹ - J. H. Sénemaud. Op, cit. P14

وينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 193.

² - J. H. Sénemaud. Op, cit. P15

³ - 7H24، أرشيف آكس أون بروفنس، رسالة بعث بها كل من الصحرابي بن محمد وعامر بن طالب من السجن يتهمون فيها الحاج قدور بن صحرابي بدعم ثورة بوعمامة.

⁴ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

كامل زمالة هذا الأخير الذي تمكن من الفرار باتجاه قورارة¹، مما جعل قبيلة أولاد سيدي الشيخ تكن كراهية كبيرة للأغا بن صحراوي.

وهنا يمكن أن نستنتج أن الحاج قدور قدم خدمات كثيرة لجيش الاحتلال، والتي سيعتمد عليها في تبرئ ذمته، وحاول أن يرمم علاقاته بالسلطات الفرنسية والتي أصابها كثيرا من التصدع وأن يبرهن عن عودته طائعا لأوامر قادتها، فهل يستمر في ذلك؟.

1) الاستعدادات الفرنسية لمواجهة الثورة:

لقد كثر الحديث عن اضطراب الوضع الأمني خاصة بعد مقتل الضابط الفرنسي واينبرونر، وبدأت الأخبار ترد تباعا إلى السلطات الفرنسية حول الاستعدادات من جانب الثوار وازدادت الأمور خطورة بعد إقدام الثوار على تنفيذ استراتيجيتهم العسكرية في مواصلة قطع خطوط الاتصالات بين القوات الفرنسية المتمركزة في الجنوب، وقيادتهم العليا في محاولة منهم لعزلهم وقطع الأخبار عنهم، فتم هذه المرة توقيف البريد المتوجه من سعيدة إلى البيض في بن حطاب مما أدى إلى قطع كل الاتصالات بهذا المركز، والتحاق كافة قبائل المنطقة بالثورة²، ولم تصل وقائع مقتل الضابط واينبرونير إلى حاكم وهران إلا في يوم السبت 23 أبريل، وذلك بسبب إقدام الثوار على قطع خطوط الهاتف التي تربط فرنده بالبيض³، حيث أبلغه باش آغا فرنده بذلك، وتم تأكيد هذه الأخبار من طرف الأغا الحاج قدور بن صحراوي في ما بعد، وأكد سي أحمد ولد قاضي لحاكم وهران بأن هذه الجريمة ماهي إلا مؤشر عن بداية الثورة.

وانتشرت الأخبار في أوساط الأهالي تفيد بأن بوعمامة يستعد للتحرك متوجها نحو الأبيض سيد الشيخ، ثم يواصل مسيره نحو البيض أين سيلتقي هناك بالثوار وذلك يوم 25 أبريل لتدمير المركز الفرنسي هناك⁴.

¹- J. H. Sénemaud. Op, cit. P15

²- A. N. O. M. 30H78. Op, cit

³- Bezy (le citoyen): «Insurrection du sud oranais. » Oran. Collet. 1884. P52

⁴- A. N. O. M. 7H24. Op, cit

وكانت فرنسا تنتظر من الحاج قدور أن يقوم بملاحقة قبيلة الجرامنة، التي قامت بقتل الملازم وينبرونر، لكنه غض الطرف عن ذلك، بل شجع على تنشيط الحركة الثورية لدى قبائل الأحرار، التي كثفت من تحركاتها باتجاه منطقة السرسو، في حين التحقت مجموعات أخرى بدوار الجرامنة، وأمام هذه التطورات الخطيرة تلقى الحاج قدور أمرا من قيادة الجيش بالتحرك بسرعة وبدون تردد. ثم أخذت البرقيات تتهاطل الواحدة تلو الأخرى تطلب منه التحرك لملاحقة القبائل المتمردة¹.

وبتاريخ 28 أفريل انطلق قوم الأحرار بقيادة الحاج قدور بن صحراوي، متوجها نحو الوسخ مروراً بخنق السوق ثم البيض، ولم يتمكن من إلقاء القبض على عناصر الجرامنة الذين فروا في اتجاهات مجهولة، وأتهم الحاج قدور بالتقاعس في ملاحقة الثوار²، فازدادت المخاطر الأمنية. وازدادت مخاوف فرنسا من تصاعد المد الثوري بشكل دراماتيكي في شهر ماي، مما دفع بالجنرال سيراز (Cérez)³، إلى الإسراع في اتخاذ إجراءات عاجلة بعد حصوله على معلومات تؤكد وجود اتصالات بين قبيلة الأحرار وبوعمامة قد تهدد المنطقة التلية برمتها، وكان الهدف منها توفير الحماية للمعمرين وتهدة القبائل خاصة التي لم تبد رغبة في البقاء وفيه لفرنسا، كما تم استدعاء قوات إضافية من فرنسا، وذلك لتعويض الجيش الفرنسي الذي توجه إلى تونس، وتعزيز الحاميات العسكرية في المناطق التلية لتأمين الأقاليم التي تضم المستوطنات.

¹- Ibid

²- A. N. O. M. 7H24. Op, cit

³- هو الجنرال: "جون- باتيستيريز (Jean-Baptiste- Cérèz) يوم 23 سبتمبر عام في 1820 بمدينة ليموج، إلتحق بالمدرسة المتعددة التقنيات في عام 1840، أصبح رقيب بالمدفعية سنة 1842 وبعد سنتين رقي إلى رتبة رقيب أول في صفوف اللغيف الأجنبي، ومنذ 20 جانفي 1850، إنضم إلى مصالح المكاتب العربية، ثم عين في مرتبة نقيب يوم 30 سبتمبر 1853، وكرس جهده في خدمة الكاتب العربية بالقطاع الوهراني أكثر من عشر سنوات وتنتقل من بلعباس إلى تيارت ومستغانم، عين كقائد على دائرة الأغواط برتبة عقيد سنة 1869، ثم قائد الفرقة العسكرية لوهران بالنيابة من ديسمبر 1870 إلى جانفي 1871، وركي إلى رتبة عميد في سبتمبر 1871 ثم قائد الفرقة العسكرية بوهران من جويلية 1878 إلى جويلية 1881، وبذلك انتهى نشاطه العسكري بالجزائر - ويظهر أنه عزل بسبب هزائمه أمام الشيخ بوعمامة وتحول إلى فرنسا كقائد الفرقة العسكرية ينظر: إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص، 320، 321

وتجنيد كافة القياد في كل من تيارت وفرندة، سعيدة وسبدو لمواجهة الخطر الداهم. ثم وجه برقية سريعة تحت رقم 1157 بتاريخ 24 أبريل¹، أطلع فيها جميع القيادات العسكرية والمدنية، عن الإجراءات التي اتخذها لمواجهة التصعيد الثوري الذي بات يشكل خطرا على المصالح الفرنسية في المنطقة، فأصدر تعليماته إلى كافة الجهات المعنية بتنفيذ خطته التالية:

1. أصدر الأمر إلى قوم الجعافرة في سعيدة بالتحرك لتقديم الدعم اللازم لقوم القبائل المتواجد في تراب المنطقة المدنية، والتقدم باتجاه سفيسيفة والبيض لمراقبة الطريق بين سعيدة والبيض، لاعتراض سبيل قبيلة الرزائية من الجهة الغربية في حالة إقدامهم على أي تحرك².
 2. أصدر تعليماته إلى ابن سي أحمد ولد قاضي باش آغا فرندة، بالتحرك سريعا رفقة قوم الأحرار الغرابية، المدعومين من طرف قبائل بوزولي الواقعة في التراب المدني، وذلك لقطع الطريق أمام القبائل المتمردة (قبيلة أولاد حدو وقبيلة أولاد زيان الشراقة).
 3. على آغا الأحرار الشراقة الحاج قدور بن صحراوي، والمدعوم بجزء من قوم تيارت أن يتحرك على جناح السرعة لملاحقة القبائل المتمردة من قبيلة الأحرار الشراقة، ويبقى جزء من قوم تيارت يتولى مهمة حماية أهاليهم في المناطق المجاورة لتيارت³.
 4. سأبعث مجموعة من أبرز فرسان أولاد خليف، عبر أقصر الطرق للوصول إلى جبل عمور، للاستعلام عن قبائل آفلو⁴.
- ولقد توخى الجنرال سيراز من خلال هذه الإجراءات الاستباقية، إجهاض أي عمل قد تقوم به القبائل المتمردة ضد السلطة الفرنسية، وحمل القبائل الأخرى وخاصة منها المترددة على الخضوع ومنعها من الالتحاق بصف الثوار. وبقيت فرنسا تراقب الوضع عن كثب

¹- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1157, du 24avril 1881.

²- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1167, du 26 avril 1881.

³- E. Graulle. Op, cit. P33.

⁴- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1167, du 26 avril 1881.

حيث وصلت معلومات تفيد بأن قبائل الرزاينة المتواجدة شرق خلف الله لن تقدم على أي خطوة عدائية، وأن قبائل الأحرار في وضع لا يبعث على القلق، وأنهم اتجهوا ناحية الشمال من جهة جبل الناظور.

ومن جهة أخرى علم الجنرال سيريز الذي كان قلقا على الوضع الأمني في البيض، من مخبريه لن يتم مهاجمة البيض من طرف الثوار بالرغم من أنهم لا يبعدون كثيرا عن المدينة¹، حيث وصل المدد من كل الجهات لتطويق الثوار الذين انسحبوا باتجاه وجهة غير معروفة. وبقيت القوات الفرنسية مدعومة بفرسان الأهالي تراقب الوضع عن كثب خوفا من تسلل الثوار.

ولو أد هذا التوجه الثوري قامت فرنسا، بتعزيز قواتها وذلك بالاعتماد على قوم الأغا بن صحراوي فوصلت برقية عاجلة إلى تيارت وهذا نصها: "الرجاء منكم إبلاغ الحاج قدور بالتحرك فورا وقيادة قومه لمواجهة القبائل المتمردة لإنقاذ الموقف". وبتاريخ 27 أبريل بعث حاكم وهران الجنرال سيريز (Cerez) برقية أخرى إلى القائد الأعلى لتيارت ليستفسر عن تماطل الحاج قدور في التحرك لملاحقة الثوار وجاء فيها: " هل انطلق قوم الأحرار ؟ إن هذا التباطؤ ليس له ما يبرره"².

إن ما يفسر تباطؤ الأغا حسب رأينا هو إعطاء الفرصة لقبيلة الجرامنة بالهروب، وترك الوضع يتطور نحو الانفجار، وهذه المناورة من الأغا الحاج قدور تكشف عن ازدواجيته في التعامل مع كل من فرنسا والثوار. وحاول بتماطله هذا أن يختبر ما مدى حاجة فرنسا إليه، وأن أي مساعدة يقدمها لها في هذه الظروف العصبية لن تكون مجانا، وعلى فرنسا أن تفهم جيدا أن ما يقدمه قوم بن صحراوي وحده يفوق بكثير ما تقدمه القيادات التقليدية الأخرى، وعليها أن تعيد حساباتها اتجاه نفوذ قبيلة الأحرار بقيادة زعيمها الحاج قدور بن صحراوي.

¹ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit.

² - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

إن مشاركته في معركة الشلالة إلى جانب الثورة، لا يعني أنه انضم إلى الصف الآخر بصفة نهائية، وها هو يوجه ضربة عسكرية قوية لمعسكر الثوار في مادنة استثمارها في إزالة الشبهات المتداولة في أوساط القادة المدنيين والعسكريين، حول تحالفه مع بوعمامة كما أراد من خلالها توجيه رسالة لقادة فرنسا مفادها أن الأغا مازال مخلصا لهم، وأن ما يصلها من أخبار على تعاونه مع بوعمامة ما هو إلا من نسج الخيال.

وبتاريخ 09 ماي وصل الجنرال (Collignon) القائد الأعلى لمعسكر إلى البيض لاستكمال الاستعدادات ثم توجه يوم 11 ماي لمواجهة الثوار¹، إلا أنه لم يحتفظ بالقيادة سوى أيام قليلة نظرا لتدهور صحته فعوضه العقيد إينوسونتي²، وحاول الجنرال سيراز (Cérez) قائد الفرقة العسكرية بوهران إلقاء القبض على بوعمامة، خوفا من أن تنزلق الأمور نحو المجهول ولم يكن بحوزته القوات الكافية لمواجهة الظروف الطارئة، ولم يسعفه الحظ على ما يبدو في تحقيق مساعيه.

مما استدعى تحريك قوات عسكرية تضم ثلاث كتائب من المشاة تحت قيادة الكولونيل سويني (Swiney) أربع سرايا من الصف الرابع لقناسة إفريقيا تحت أوامر الكولونيل إينوسونتي فصيلة مدفعية المصالح الملحقة المختلفة بثلاث فرق من تضم 450 فارس³، من قومية سعيدة، فرندة وتيارت تحت قيادة قدور ولد عدة والحاج قدور بن صحراوي، وموكب من 2500 جمل يقودها 600 مرافق أوتوشتون. في حين قدر قرول قوات بوعمامة بـ 1500 فارس و 1200 من المشاة⁴، وبتاريخ 15 ماي تلقى العقيد إينوسونتي برقية من الجنرال سريز، تسمح له بالتحرك نحو الشلالة لمواجهة الثوار، والانتقام لمقتل الضابط

¹ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit

- Capitaine Armengaud: « Le sud oranais, journal d'un légionnaire... Treize mois de colonnes pendant l'insurrection des Ouled -Sidi- Cheikh soulevés par le marabout Boumama(1881-1882). »

Paris. 1893. P18.

² - A. N. O. M. 7H24. Op, cit.

³ - Capitaine Armengaud. Op, cit. P18

⁴ - E. Graulle. Op ,cit. P43.

وينبرونر (Weinbrenner) هناك¹، وفي اليوم التالي وصل إلى القصر ونصب معسكره لقضاء ليلة به²، وفي نفس اليوم توجه بوعمامة إلى الشلالة الظهرانية، وجاءت الأخبار تفيد بأن الثوار ليسوا بعدين عن المخيم الفرنسي، فتشكلت على الفور فرقة من الفرسان للمراقبة ورصد تحركات جيش بوعمامة الذي كان يتحرك وفق خطة مدروسة، تستلزم عدم المكوث في مكان واحد لفترة طويلة، حتى لا يتعرض لهجوم مباغت، خاصة أن المنطقة كانت تعج بالجواسيس التي نشرتها فرنسا فسي كل مكان، ثم عاد الفرسان من دون رصد أي شيء يذكر، وفي يوم 19 ماي رفع العقيد إينوسونتي مخيمه لمواصلة سيره نحو الشلالة، فإذا برسالة تصله من قائد الشلالة يخبره فيها بأن بوعمامة وصل على رأس جيش يتكون من 1500 فارس و1200 من المشاة إلى القصر لمهاجمة القوات الفرنسية³.

ولما اقترب العقيد من الثوار بدأ في تنظيم وترتيب قواته على النحو التالي⁴: في المقدمة تم وضع ثلاث فصائل من الجنود واحدة على اليمين والثانية على اليسار والثالثة في الوسط واحدة تسير تحت قيادة القايد بلحضري والثانية تسير بأمر من الأغا قدور ولد عدة والثالثة تحت سلطة الأغا الحاج قدور بن صحراوي⁵، ولكل واحدة منها رايتها، وخلف القوم وعلى بعد 200 متر تأتي قوات العقيد إينوسونتي والتي تسير في طابورين وخلفها القافلة وهي على امتداد طويل⁶، ويبدو من خلال هذا التوزيع للقوات أن الفرسان الأهالي وضعوا في المقدمة لمواجهة الثوار والاشتباك معهم، وبذلك يوفر غطاء بأجسادهم لحماية القادة الفرنسيين الذين وضعوا أنفسهم في وسط المربع وتحيط بهم القوات من كل جانب.

¹- Guy de Maupassant. Op, cit. P47

²- Le Général Innocenti: « **Insurrection du sud Oranais en 1881: Bouamama et le colonel Innocenti.** » Paris. 1893. P7

³- « Le monde illustré. » Journal hebdomadaire ,25^{ème} année,n°1265 ,du 25 juin 1881. P 422

⁴- 30H78، أرشيف آكس أون بروفنس حسب ما جاء في رواية عبد الرحمن الشيتوني، سجلت بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي بالولاية العامة بتاريخ 20 أوت 1881

⁵- Le monde illustré. Op, cit. P422

Le général Innocenti. Op, cit. P46

⁶- 30H78، الرواية نفسها. وينظر:

(2) معركة الشلالة 19 ماي 1881:

وفي الميلوك الذي قصده العقيد إينوسونتي لنصب مخيمه فاجأهم بوعمامة بقواته فظهر جند المشاة من ناحية وادي الرتم والفرسان من ناحية الغرب فأظهر قوم الأحرار تصرفات مريبة¹، وفي الحين بدأت المدفعية في إطلاق نيرانها باتجاه الثوار، فرد مشاة بوعمامة على مصادر النيران وفي أول مواجهة سقط 13 شهيدا من أولاد سيد الشيخ منهم واحد أسود². وكان أول من تقدم لملاقاة قبائل الترافي هم "قوم الأحرار" وتجنب كل واحد منهم التعرض للآخر وقال الأحرار لقوم الترافي لا نرغب في محاربتكم، ولتجنب إيدائكم قمنا بحشو بنادقنا بالبارود³. ونطلب منكم أن تلاحقونا حينما ننهي إفراغ حمولة بنادقنا ونرجع إلى الوراء. فقد بيتنا الهروب وهذا ما وقع بالفعل حيث لاحق الترافي قوم الأحرار وهاجموا مؤخرة القافلة البعيدة عن الطابور وقضوا على القناصة الفرنسيين الموجودين بالمؤخرة ووقعت ملحمة لا يمكن وصفها⁴. وأخذ الفرنسيون يطلقون النار في كل اتجاه، وفقد عناصر الجيش صوابهم، وفرت الجمال مذعورة من هول ما جرى ولولا تدخل قوم الرزينة في إعادة الجمال لا أخذت منهم القافلة بأكملها.

(3) نتائجها:

ما يمكن استنتاجه هو التضارب في المصادر الفرنسية العسكرية وما ورد في جريدة أطلس وهران⁵ وجريدة البرهان حول عدد القتلى والجرحى من الجانبين، حيث ذكر النقيب (Armengaud) أن عدد قتلى الفرنسيين بلغ 75 قتيلًا و15 جريحًا و12 مفقودًا في حين فقد الثوار حوالي 200 شهيد، بينما ذكرت جريدة الأطلس بأن العدد المعلن عنه غير صحيح وأنها تلقت معلومات من الجرحى تؤكد بأن عدد القتلى في صفوف الفرنسيين وصل إلى

¹ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

² - 30H78، الرواية نفسها

³ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit

⁴ - 30H78، الرواية نفسها

⁵ - "جريدة الأطلس" د. د. ت. ولا رقم العدد، عثرت عليها ممزقة في العلبة 7H24، أرشيف أكس أون بروفنس

108 من القتلى أما عدد الجرحى فبلغ حوالي 33، أما جريدة البرهان فذكرت في عددها 14 الصادرة بتاريخ 04 أوت 1881 بأن الفرقة التي كانت بقيادة العقيد إينوسونتي، قد حمل عليها بوعمامة وغنم جميع مهماتها وقتل من عساكرها نحو 100 جندي وجرح نحو ذلك القدر¹.

إلى جانب عدد القتلى والجرحى في صفوف الفرنسيين، أشارت البرقية رقم 280 الصادرة بتاريخ 02 جوان أن بوعمامة قد تمكن أثناء المعركة من أسر 150 فارسا من القوم التابعين لفرنسا وبعد قضاء ليلة في الأسر، أطلق صراحهم ثم حرضهم على قطع صلتهم بفرنسا بعد أن تحصل منهم على وعود بانضمامهم إلى الثورة²، وهذا يدل على عبقرية بوعمامة السياسية وتحليله بالقيم الإسلامية السمحاء عكس ما كان يروجه دعاة الاستعمار من أن الثوار هم مجموعة من القتلة وأصحاب العنف.

وفقدت قبيلة الأحرار عدد من القتلى، وقام رئيس المكتب العربي للبيض بتجريد حوالي 70 عنصرا من الأحرار على خلفية قيام البعض منهم بإخفاء عدد من الصناديق المؤن التي تم الاستيلاء عليها يوم المعركة³. وقتل القائد عيسى بن محمد من قبيلة الحسينات (دير الكاف) وانضمت قبيلة المرابطين وقبيلة أولاد زيان الغرابية إلى الثورة. ورفضت قبيلة الأحرار تطبيق الأوامر الصادرة إليها من السلطات الفرنسية، وامتنعت عن تقديم الجمال لحمل المؤن إلى العقيد إينوسونتي⁴.

¹ - جريدة البرهان، عدد 14 الصادرة بتاريخ 4 أوت 1881، العلبه 30H78، أرشيف آكس أون برو نس.

- من خلال الأرقام المذكورة أعلاه حول عدد القتلى والجرحى، يتضح أن ما ذكرته جريدة الأطلس وجريدة البرهان هو الأقرب إلى الصواب في نظرنا، أما ما ذكره النقيب أرموقود بجانب للحقيقة وذلك لطمس الحقائق والتقليل من أهمية النصر الذي أحرزه بوعمامة في هذه المعركة. أما ما جاء في العلبه (30H78) فتشير إلى أن عدد القتلى 34 و26 من المفقودين، هذا التضارب في الأرقام يدل على الإرتباك والتخبط اللذين وقعت فيهما السلطات الفرنسية لإخفاء حقيقة ما حدث.

² - A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche Télégraphique, n°280, du 2 juin 1881

³ - 30H78، أرشيف آكس أون بروفنس حسب ما جاء في رواية عبد الرحمن الشيتوني، سجلت بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي بالولاية العامة بتاريخ 20 أوت 1881

⁴ - E. Graulle. Op, cit. P49

4) تقدم بوعمامة باتجاه المناق التلية:

لقد شجعت معركة الشلالة التي خاضها بوعمامة ضد القوات الفرنسية على مواصلة زحفه باتجاه الشمال، وذلك بنقل المعركة إلى مواطن العدو المحصنة من طرف حلفاء فرنسا والمستوطنين، وهذا رغم التدابير الاحترازية التي اتخذتها فرنسا والمتمثلة في نشر عدد كبير من القوات يسندها قوم فرنجة وسعيدة وتيارت، وتلقى الجنرال ديتري (Detrie) أمرا من وزير الحربية الجنرال فار (Farre) بتعويض العقيد إينوسونتي الذي لم يحرز نجاحات في معركة الشلالة¹ بالتوجه نحو الشرق، وكلف طابور برينتيير (Brunetière) وقوم الأحرار بقيادة الحاج قدور صحراوي على رأس قوة تتكون من 1600 - 1800 فارس² بالتحرك ما بين مديسة وعين الذهب ورغم الأوامر الصادرة إليه إلا أنه فضل البقاء في عين ولهاسي وبين سعيدة والشقيقة ومسيديرة، وبقي برينتيير ينتظر قدوم قوم الأحرار لكي توفر الحماية والتغطية له من أجل التنقل، وفي يوم 06 جوان تحرك الطابور وقضى ليلة في عين الوسخ. وقام الحاكم الأعلى بتوبيخ الحاج قدور بن صحراوي بسبب تماطله في ملاحقة الثوار³، حاول الأغا أن يعبر عن استعداده لمواصلة عمله العسكري، فبعث بسرية استطلاع بالقرب من خنق السوق وكان الهدف منها إجراء اتصالات مع ثوار بوعمامة، وتحريض القبائل الواقعة في الجهة الغربية ضد فرنسا⁴، وهذه الاتهامات تم التأكد منها فيما بعد من طرف النقيب ريون (Reuillon) رئيس المكتب العربي للبيض⁵.

أما العقيد مالاريه (Mallaret) فقد أسندت له مهمة حراسة ممر خيضر الاستراتيجي والنواحي التي يتحكم فيها⁶. وذلك لمنع تسلل الثوار إلى المناطق الآهلة بالسكان، ورغم هذه الطوابير الضخمة التي تم تجنيدها لمنع بوعمامة من اجتياز الخط الفاصل بين التل

¹ - Le général Innocenti. Op, cit. P53

² - « La Nouvelle Revue. » Op, cit. PP156-157

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁴ - La Nouvelle Revue. Op, cit. P157

⁵ - Ibid. P157

⁶ - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 24

والصحراء، تمكن من مباغته قوم الطيب بن حمو من قبيلة المرابطين التابع لآغوية فرنده¹، الذي أسندت له قيادة القوم في بداية الثورة وتأمين وصول المراسلات إلى العقيد إينوسونتي²، ترك لكي يقع بين أيدي بوعمامة الذي حمله رسالة إلى الباشا آغا فرنده³ لكن حقيقة المهمة التي كلف بها هي العمل على تحريض قبيلته من أجل الانضمام للثورة كما انضم قدور بن مختار وهو صبايحي قديم يتمتع بتأثير قوي داخل قبيلة أولاد زيان الغرابة إلى الثورة⁴، أما باقي القبائل الأخرى منها الغوادي، الدهالسة والحسينات فإنهم انسحبوا ناحية فرنده⁵.

وبتاريخ 09 جوان واصل بوعمامة زحفه باتجاه الشمال، فقسم قواته إلى قافلتين اتجهت الأولى بقيادة بوعمامة نحو الجهة الغربية متكونة من الفرسان والمشاة، وتمكن من بمهارة عالية من التسلل بين طابور الجنرال ديتري المعسكر في المايا، وطابور مالاري (Mallaret) المتمركز بالقرب من الخيثر⁶، والثانية متكونة من 400 فارس قصدت الجهة الشرقية لاستمالة بعض بطون الأحرار الغرابة الذين وضعوا تحت سلطة سي أحمد ولد قاضي⁷، وتمكنوا من الحصول على بعض المعلومات من أحد الأسرى الذين وقعوا في أيدي الثوار عن قوم سيدي عبد الرحمن ومدرسة.

ثم عاد الثوار للالتحاق ببوعمامة في القطيفة وبعد أخذ قسط من الراحة⁸، توجه نحو سيدي عبد الرحمن وكان هدفه معاينة قبائل آغوية فرنده، الذين يبدو أنهم أبلغوا بقدوم بوعمامة، فرفعوا خيامهم واتجهت مجموعة منهم نحو تاخمارت ولجأت أخرى إلى تيرسين⁹، وفي هذا الوقت غادر الأغا الحاج قدور على رأس قوم يتكون من 1000 من الفرسان بحثا

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 303

² - E. Graulle. Op, cit. P51

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁴ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁵ - Ibid

⁶ - Guy de Maupassant. Op, cit. P50

⁷ - 66Miom 118 /1. A. N. O. M. Dépêche télégraphique ,n°319 /229 , du 9juin 1881

-Guy de Maupassant. Op, cit. 1902,p50

وينظر:

⁸ - E. Graulle. Op, cit. P58

⁹ - Ibid. P58

عن الثوار وتوقف في المكنم ومن هناك راسل العقيد برينتيير، وأخبره بأنه لم يعثر على قوم بوعمامة¹، ثم بعث له برسائل أخرى متناقضة حول أماكن تواجد بوعمامة²، واتضح للسلطات الفرنسية أن الأغا يبحث عن توفير الحماية لمخيمه، ولم يبد أي تعاون مع قوات الفرنسية، بالرغم من أنه كان يتوفر على قوات هامة ويسنده في ذلك طابور بروننتير. والمؤكد أن الحاج قدور كان يبحث على إضعاف نفوذ خصمه في المنطقة من خلال تحالفه مع بوعمامة.

وبتاريخ 11 جوان أعلم الحاكم الأعلى لتيارت العقيد بروننتير بما يلي "إنني متضايق جدا من الأغا، وعليه أن يعمل على ملاحقة العدو أو سوف أقوم بتوقيفه، وعليك بمتابعتة لكن لا يجب أن نغفل عن الخدمات التي قدمها لفرنسا، وعليه أن يصحح ذلك"³. ويبدو أن هناك تفاهات جرت بين الأغا وبوعمامة تتمثل في أن تبقى قبيلة الأحرار تحت سلطة الحاج قدور الذي كان يعول عليها بوعمامة، في حين يتم إطلاق يد بوعمامة في أغوية فرنده أي في منطقة القبائل الواقعة في الإقليم المدني وفي المناطق التي تنتشر فيها حقول الحلفاء، وبذلك يحقق الحاج قدور ثلاثة أهداف: الأول إلحاق الضرر بمنافسه وعدوه سي أحمد ولد قاضي، الثاني: الإساءة للهيئات المدنية الجديدة، الثالث: مهاجمة بعض العناصر المسيحية⁴.

(5) مقتل الضابط برينقارد (Bringard):

يبدو من خلال الأحداث المتسارعة أن الثوار قد وضعوا خطة محكمة، كانت بدايتها قتل رئيس المكتب العربي للبيض مع الوفد المرافق له، ثم واكبها عملية قطع خطوط الهاتف الرابط بين البيض وفرنده التي تم تحويلها إلى مركز إمداد لتموين الجيش الفرنسي بالمواد

¹ - 66Miom 118 /1. A. N. O. M. Dépêche télégraphique, n°50 , du 15juin 1881

² - واضح أن الحاج قدور بن صحراوي لم يكن يرغب في التعاون مع الفرنسيين، وظل يقدم معلومات خاطئة عن تواجد الثوار وتعتمد في تظليل العقيد برينتيير، وهذا لا يدل على مناصرته للثورة، لأنه لم يعلن صراحة عن إنضمامه لها. جاء هذا التصرف كرد فعل على الساسية الفرنسية المنتهجة ضده

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

⁴ - Ibid

الغذائية والسلاح والذخيرة، وكان ذلك إيذانا بتفجير الثورة، مما دفع بجيش الاحتلال إلى استشعار الخطر، فتلقى الحاكم العام برقية مؤرخة بتاريخ 27 ماي 1881 تحمل رقم 1242 من حاكم وهران يذكر فيها ما يأتي: " أعلمكم بأني تلقيت نبأ قطع خط تلغراف البيض، وقد أعطيت أمرا إلى الجهات المختصة لإصلاحه، كما أمر من جهته الرائد فوسويو (Fossoyeux) أحد ضباطه المختصين بالتوجه إلى خنق السوق للقيام بنفس المهمة"¹، لكنه عاد من حيث أتى، حيث تعرض موكبه إلى عملية إطلاق النار من طرف ثوار الأغواط، الذين كانوا على مقربة من مكان خط التلغراف، فتم إرسال الحارس برينقارد (Bringard) رفقة 50 فارسا من قوم فرندة لتوفير الحماية له²، فتوجهوا إلى هسكورة لتقييم حجم الخسائر التي ألحقت بخطوط الهاتف ومباشرة عملية الإصلاح وعند وصوله، لاحظ أنه تم الاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلاك، وأصبح من الصعب توفير الحماية لخطوط الهاتف خاصة بعد مغادرة فرسان الأحرار لمركز المراقبة³.

وكان القصد من هذه العملية الجريئة قطع خطوط الاتصال بين القوات العدو المرابطة في البيض وقيادات الجيش في كل من تيارت وسعيدة ومعسكر وذلك لتنفيذ عمليات عسكرية في مناطق مختلفة بالجهة الغربية. وعلى الفور اتخذت السلطات الفرنسية تدابير عاجلة لتوفير الحماية لخطوط التلغراف، فطلبت من الباشا آغا فرندة إرسال أحد أبنائه رفقة قومه بالتوجه نحو القطيفة، ومن هناك يتم تسيير دوريات باتجاه الشمال لكن تواجد الأغواط الكسل في هذه المناطق جعل عملية حماية خطوط التلغراف صعبة للغاية⁴، ولما باشر الضابط برينقارد (Bringard) عملية الإصلاح في منطقة دفالي، تم رصد حوالي 40 فارسا من الثوار يقتربون منه، وكان حينها مرفوقا بـ 30 فارسا من الأحرار الغرابة بقيادة قايد الحسينات عيسى بن محمد، وذلك لتوفير الحماية للضابط برينقارد، وبعد لحظات ارتفع عدد

¹- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1242, du 27mai 1881

²- Ibid

³- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1242, du 27mai 1881

⁴- Ibid

الثوار الذين هاجموا فرسان الأحرار والضابط برينقارد وتم القضاء عليهم¹، ولم ينجوا سوى ستة عناصر ثلاثة منهم توجهوا نحو البيض وثلاثة آخرين قصدوا فرنده بعد أن تم إطلاق صراخهم من طرف بوعمامة وتواصل العمل بإتلاف كمية كبيرة من أسلاك الهاتف وتحطيم الأعمدة وحرقتها. وكان الهدف من هذه الاستراتيجية إرباك العدو وقطع الاتصالات بين الجيش وقيادته، بحيث يسمح لهم بتنفيذ عملياتهم العسكرية بإحكام وذلك بضرب المعسكرات الفرنسية التي تسندها قوة من قوم الأهالي، ومنع تدفق الإمدادات المختلفة وشل حركة وتتقلات قوات العدو.

واعترف حاكم وهران أنداك بأن عملية إصلاح الخطوط لم تعد قائمة، بل يجب إعادة بنائها من جديد وهذا يتطلب توفير الأموال اللازمة لذلك، وكتعويض عن الخطوط المقطوعة صدرت الأوامر إلى قيادات العدو باستعمال الخط الرابط بين سعيدة وسفيسيفة².

وانتشرت الأخبار حينها بأن بوعمامة سيكون غدا على بعد 65 كلم من فرنده فازدادت مخاوف الباشا آغا فرنده الذي طلب بتوفير 50 عاملا لحفر الخنادق وبناء الحواجز، في حين كان بوعمامة يتوخى من تواجده بالمنطقة، استمالة قادة قبائل آغوية فرنده، الذين انضموا طوعا أوكرها لمعسكر المقاومة، لكن في الواقع أن قادة قبيلة المراطين وأولاد زيان الشراقة كانت لديهما الرغبة في الانضمام للثورة، والراجح أن الطيب بن حمو كان على اتصالات مع بوعمامة، مما شجع عدد كبير منهم للانضمام إليها، فتحمس مخبروه للاستعلام والاستخبار عن تحركات القوات الفرنسية، في منطقة تعج بالجواسيس وأتباع فرنسا، مما قد يسهل على الثوار التنقل بحرية.

(6) المقاومة في شرق تيارت:

لم تقتصر جهود بوعمامة في استنهاض قبائل الجنوب والمناطق التلية، بل تعداها من خلال إرسال مخبريه إلى المناطق الشرقية والذين حملهم رسائل يدعو فيها الزعامات

¹ - Ibid. Dépêche télégraphique, n°1271, du 5 juin 1881

² - Ibid

القبلية والدينية للانضمام إلى الثورة، وفي البرقية رقم 399 والمؤرخة بتاريخ 25 جويلية وجه بوعمامة خطابا يذكر فيه هذه الزعامات بقوله: "ماذا تنتظرون للاتحاق بالثورة؟ لازلتم غير مستعدين بعد؟ ألم يحن الوقت؟¹. والراجح أن قبائل المستقرة في شرق تيارت تأخرت عن الالتحاق بالثورة.

وقد وجدت دعوة بوعمامة صداها لدى قبائل المنطقة، من خلال تقديم المدد والدعم لإنجاح الثورة، وقد أبلغ الحاكم الأعلى لتيارت بتاريخ 02 جوان أن بوعمامة غادر البيض متجها نحو جبل عمور، لاصطحاب فرسان الأغواط الكسل وأولاد سيدي الناصر والترافي، وعدد من الثوار الذين لم يغادروا أوطانهم بعد، وذلك لمعاينة أولاد سعيد العقبة في دائرة الأغواط جنوب تاجرونة².

وأبلغ الحاكم الأعلى لبوغاز حاكم المدينة بتاريخ 02 ماي 1881 بأن هناك اشتباكات وقعت بين القوات الفرنسية والثوار بين الشلالة وبوسمغون انتهت بسقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف الثوار الذين إتجهوا نحو الغرب³، وجرح ابن الأغا الحاج قدور وصهره، وقايد العجيلات وقايد أولاد يعقوب، وفي اليوم الموالي غادر الحاج قدور بن صحراوي القافلة رفقة 70 فارسا من قومه للترود بالمؤن، وفهم وقتها بأن تحرك هذا الأخير يعد تفهقرا، وخلف وراءه ذعرا لدى بعض قبائل جبل عمور مما جعل الأغا الدين يتوخى الحذر، ويفضل البقاء في منطقة زيرش في مواطن الصحاري لأولاد خليف⁴، ورفض العودة إلى أفلو رغم إلاح قائد الملحق العسكري للشلالة.

وعززت فرنسا تواجدها بـ 50 فارسا للقيام بعمليات استطلاعية بقيادة القايد عبد القادر وداود بن جيلالي تحسبا لأي هجوم قد ينفذه بوعمامة وأتباعه⁵. لكن بوعمامة واصل زحفه باتجاه الشط الشرقي (موطن الأحرار)، مما استدعى توجيه قوات برونيتير (Brunetière)

¹- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n° 399 ,du 25 juillet 1881

²- Ibid. Dépêche télégraphique, n° 297, du 8 juin 1881

³- A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n° 294 , du 8 juin 1881

⁴- Op, cit. Dépêche télégraphique, n° 294 , du 8 juin 1881

⁵- Ibid. Dépêche télégraphique, n° 297 , du 8 juin 1881

وقوم الأحرار لحماية منطقة السرسو التي لجأ إليها أولاد يعقوب بعد أن تم أسر قائدهم قدور بن الحاج الطيب من طرف بوعمامة، الذي حاول الوصول إلى قبائل فليطة وفي طريقه التقى بقوات بروننتير بالقرب من وادي مينا ففعل راجعا باتجاه فرنده¹.

وبتاريخ 14 جويلية حاول بوعمامة الوصول إلى منطقة السرسو ثم السوق، لكنه فوجئ بوجود قوات بروننتير يسندها قوم الحاج قدور آغا الأحرار وقوم جبل عمور في منطقة الخسيبة، فغير اتجاهه نحو الجنوب، لجر القوات المهاجمة إلى فضاء يحظى فيه بدعم من قبائل الجنوب ودار معركة بين الجانبين أسفرت عن مقتل 70 فارسا من أتباع بوعمامة، في حين فقدت القوات المهاجمة قائد قوم أولاد عدة، عبد القادر بن جديد و04 من فرسان الأغا الحاج قدور وقايد و08 من الجرحى²، ولم تتمكن القوات الفرنسية المدعومة بقوات من الأهالي اللحاق ببوعمامة الذي واصل مسيره نحو الجنوب قاصدا عسكورة.

وبعد المعركة تم وضع قوم الحاج قدور في حالة ترقب للوضع في منطقة سبع عيون³، والعمل على دفع الثوار من جانب فرنده، وظل قوم الأحرار وجبل عمور يراقبون الوضع على الحدود الفاصلة بين تيارت والشلف وتم نشر قوات إضافية وتسيير دوريات للمراقبة في منطقة الونشريس وصدرت الأوامر إلى أهالي المنطقة بتوخي الحذر، والابتعاد عن كل محاولة من شأنها أن تقدم دعما للثوار⁴.

(7) معركة مادنة 14 جوان 1881:

كانت قبائل الاغواط الكسل وأولاد سيدي الناصر على موعد مع بوعمامة في وادي الحجل ولما شعر هذا الأخير بتأخرهم توجه نحو الشمال لمعاينة أولاد براهيم ناحية الجعافرة فجاء أولاد سيدي الناصر والأغواط الكسل، إلى مكان الموعد فلم يجدوا المرابط بوعمامة

¹ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°323 , du 18juin 1881

² - Ibid. Dépêche télégraphique, n°1422, du 15juillet 1881-

Ibid. Dépêche télégraphique, sans numéro, du 16juillet 1881

ينظر:

³ - Ibid. Dépêche télégraphique, n°1422, du 15juillet 1881

⁴ - Ibid

فقرروا التوجه نحو الشمال للاتحاق به¹. وفي طريقهم رصدوا عن بعد مخيم ضخم اعتقدوا أنه مخيم بوعمامة، لكنهم عندما اقتربوا منه اتضح لهم أنه مخيم الأغا قدور بن صحراوي وكان ذلك يوم الثلاثاء الساعة السابعة صباحاً²، أين هاجمهم الحاج قدور بن صحراوي رفقة قوم سعيدة بقيادة إدريس ولاحقهم إلى واد الخروف³، وانتزع منهم ألف جمل و900 بقرة و4500 رأس غنم، وآسر 400 رجلاً و800 امرأة وطفل⁴. وقتل 80 فارساً من بينهم قائد الرزاينة وتم تحرير رهينتين من الإسبان كانا قد آسرا من طرف الآغواط الكسل، أما عن جانب المهاجمين فلم تفصح السلطات الفرنسية عن الخسائر البشرية التي تكون قد منيت بها خاصة وأن قوم الكسل كان في صفوفه حوالي 350 فارساً.

من بينهم قائد الرزاينة⁵، وتم تحرير رهينتين من الإسبان كانا قد آسرا لدى الآغواط الكسل أما عن جانب المهاجمين فلم تفصح السلطات الفرنسية عن الخسائر التي وقعت في صفوفهم خاصة وأن قوم الآغواط الكسل يتكون من 350 فارساً مسلحاً، واكتفت بالإشارة إلى مقتل 08 ينتمون إلى القبائل التالية: أولاد زوي، الشاوية، أولاد عزيز وأولاد سيدي خالد و16 من الجرحى من بينهم قائد الشاوية حمية بن ميلود وكانت إصابته بليغة⁶.

¹ - 8H78، أرشيف آكس أون بروفانس حسب ما جاء في رواية عبد الرحمن الشيتوني، سجلت بالمصلحة المركزية لشؤون الأهالي بالولاية العامة بتاريخ 20 أوت 1881.

² - « Le rappel. » Vendredi 17 juin 1881. N°4116

³ - Ibid

وينظر: « Le moniteur de la gendarmerie. » Dimanche 16 octobre 1881, 2^{ème} année. N°59. P20:

⁴ - Le colonel De La Forcade: « Historique du 1^{er} régiment de chasseurs d'Afrique. » Blida. P304.

الملاحظ أن غرول لم يتطرق إلى الخسائر في صفوف المهاجمين، أما بالنسبة للأرقام التي قدمها حول نتائج المعركة تختلف عن النتائج التي وردت في أرشيف آكس الذي ذكر أن المهاجمين إستولوا على 1000 جمل، 400 بقرة، 5000 رأس غنم، 250 حمار، 50 حصان، 120 أسير و300 أسير من الأطفال والنساء. ومن خلال هذه الأرقام نستنتج أنها تخضع للتقديرات الشخصية ولا تستند على الوثائق الرسمية التي لا تبوح بها السلطات الفرنسية والتي تعتمد إخفاء الحقيقة.

⁵ - القايد هو أحمد بن عبد الله، وهو من أبرز الزعامات المؤثرة لدى الآغواط الكسل، قدم خدمات جليلة لفرنسا، حيث أنه قام في سنة 1878 بملاحقة 17 خيمة من الآغواط الكسل وتمكن من قتل خمسة منهم وآسر الباقي في حاسي بوديب، وتلقى على إثر ذلك التهاني من الحاكم العام وأهداه بندقية شرفية، ولما قامت ثورة بوعمامة وقف إلى جانبها

⁶ - 66Miom 118 /1. A. N. O. M. Dépêche télégraphique, du 15 juin 1881

ويرى غرول أن هذا الهجوم الكاسح على الأغواط الكسل الذي تم بمهارة عالية، والسبب في ذلك أنهم من خدام أولاد سيدي حمزة الذين يتمتعون بنفوذ قوي لدى أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وأن الحاج قدور بن صحراوي يكن حقا عميقا لهذه العائلة¹، ويعتبرها من ألد أعدائه. وبذلك يكون الحاج قدور قد استثمر هذا الإنجاز في تبييض صورته أمام السلطات الفرنسية، واستعادة ثقته المفقودة بالقضاء على الشكوك التي كانت تحوم حوله، حيث تلقى على إثر ذلك دعوة من الجنرال ديلبيك (Délebecque) الذي هنئه وكرمه ومنحه وسام الشرف بتاريخ 05 أكتوبر 1881².

وبالرغم من هذا الهجوم غير المتوقع الذي قام به آغا الأحرار، ظلت جهات كثيرة داخل الجيش والصحافة تنظر إليه بعين الريبة والشك، وحملته أطراف مختلفة ذات تأثير قوي في صنع القرار مسؤولية الأحداث التي عرفتها المنطقة، والمتمثلة في اندلاع ثورة بوعمامة، وظلت التقارير الصادرة عن كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين في الدولة وعن جهاز الاستخبارات تؤكد أن الوضع الأمني بات مقلقا، ونستشف ذلك من خلال قيام قادة الجيش الفرنسي بدفع المزيد من التعزيزات العسكرية، وتجنيد قوم الأهالي لمواجهة خطر الثورة، التي وصل صداها إلى مناطق مختلفة، مستخدمة كافة وسائل البطش والقمع لإرغام السكان على مقاطعتها والتعاون مع فرنسا.

ثانيا- موقف الباشا آغا سي أحمد ولد قاضي:

يعد الباشا آغا سي أحمد من الذين سخروا أنفسهم ليس لخدمة فرنسا وحدها، بل للمحافظة على مصالحه، وازدادت ثروته التي أخذت تتراكم مع مرور الأيام، مستخدما في ذلك نفوذه وسلطته في تحصيل الضرائب³، هذا فضلا عن الهدايا التي كان يتلقاها من قياد القبائل المنضوية تحت لوائه. ولكي يضمن أمن آغوية فرنده، استعمل لهذا الغرض كثير من الجواسيس الذين كانوا منتشرين كثيرا في المناطق المتاخمة لقبائل الأحرار الغرابة فيقدمون له

¹ - E. Graulle. Op, cit. P58

² - J. H. Sénemaud. Op, cit. P18

³ - J. H. Sénemaud. Op, cit. P23

الأخبار عن كل ماله علاقة بالوضع الأمني، ففي مطلع شهر أفريل بدأ الحديث ينتشر بين الناس حول إمكانية تزعم بوعمامة للثورة، خاصة بعد أن أخذ عدد الزوار يتوافد بكثرة على زاوية المرابط بوعمامة. مما شد انتباه الكثير من الناس.

وأطلع قياد الأحرار الغرابة الباشا آغا سي أحمد بأن دائرة تيارت، البيض والرزيانة في سعيدة على اتصالات مع بوعمامة¹، من خلال مبعوثيه الذين أبلغوهم: "بأن بوعمامة يبلغكم السلام ويطلب منكم الاستعداد وجهزوا أسلحتكم وتزودوا بالموثون، وعند قدومه عليكم بطاعته ويوم سعادة المسلمين قد حانت"².

ومن القبائل التي استقبلت مبعوثي بوعمامة الأحرار الشراقة الذين استقبلوا الطيب الجرمانى، واستضافت قبيلة الطرافي مرزوق السروري الذي كان يشغل منصب قائد أولاد سرور، في حين قام بلقاسم ولد لزغم بزيارة قبيلة أولاد زياد، واستقبلت قبيلة الرزيانة العربي ولد طالب أحمد.

وأشار الحاكم العام بأنه تلقى هذه المعلومات من القايد بلقرع من قبيلة الدهالسة، وبن صفية بلحسين من أولاد زيان الغرابة، والحاج محمد بلمداني من المرابطين الغرابة³، فصدر الأمر إلى الحاكم الأعلى لمعسكر بتوقيفهم فوراً، وسيتم فتح تحقيق في ذلك من طرف الحاكم الأعلى لمعسكر وتيارت. وأضاف الحاكم العام بأنه ينتظر وصول النتائج التي سوف يقوم بتقييمها فوراً وبناء على الإيضاحات التي سيقدمها له الباشا آغا سي أحمد ولد قاضي⁴. ولم يتأخر هذا الأخير بإبلاغ الحاكم العام بهذه التطورات فكان رد هذا الأخير كالتالي:

¹- A.N.O.M,30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique ,n°1112 ,du 7avril 1881

²- A. N. O. M. 30H78. Op, cit

³- لقد وصلت هذه المعلومات إلى الحاكم العام من القايد بن حليلة من قبيلة الغوايدي، الذي أكد الخبر، من خلال حصوله على هذه المعلومات من بعض المقربين منه، ومن القايد الطيب بن حمو من قبيلة المرابطين الغرابة، ويبدو أن هناك تنافس بينهم حول من سينقل الأخبار إلى السلطات الفرنسية، وظلت بعض من قبائل الأحرار الغرابة وفيه ومتعاونة مع زعيمها أحمد ولد قاضي. وينظر: A. N. O. M. 30H78. Op, cit

⁴- A. N. O. M. 30H78. Dépêche télégraphique n°1122, du 11 avril 1881.

"أطلب منكم موافاتي بالمعلومات كاملة ودقيقة، سأبعث بعناصر موثوق بها إلى القبائل التي تم الإشارة إليها سابقاً"¹.

كما نقل سي أحمد هذه الأخبار إلى نائب المحافظ يعلمه فيها بأن هناك دعاية ونشاط تهدف إلى زعزعة الأمن وتم الإشارة إليها منذ أيام في المناطق المتاخمة للبلديات المختلطة والتي تم تأسيسها حديثاً².

وتلقى الجنرال سيريز يوم 07 أفريل برقية من سي أحمد ولد قاضي يشير فيها بأن هناك اتصالات يجريها أتباع بوعمامة مع عدد من القبائل وحثه على اتخاذ إجراءات فورية لإيقافهم³.

ومن أسباب ثورة بوعمامة، يجب أن نضع في الاعتبار، عدم رضى الأغا الحاج قدور عن قيام السلطات الفرنسية بتأسيس بلدية فرنسة المختلطة، حيث أقدمت السلطات العليا على ضم مجموعة من القبائل التابعة لأغوية الأحرار الشراقة (قبيلة أولاد حدو، أولاد زيان الشراقة وقبيلة الشاوية) إلى أغوية فرنسة تحت سلطة أحمد ولد قاضي، وذلك طبقاً للقرار الصادر بتاريخ 25 أوت 1880 والقاضي بإعادة تنظيم المنطقة العسكرية التابعة لمقاطعة وهران⁴، مما خلق تدمراً كبيراً لدى القبائل التي شملها القرار، وعبرت عن رفضها للانضمام لسلطة أحمد ولد قاضي، فراحت تنتظم في جماعات، وأخذت تجتمع كل مساء وهم يرددون بكل عنفوان العبارات التالية⁵:

- لا إله إلا الله وبوعمامة ولي الله.

- لا إله إلا الله وبوعمامة طير الصحراء.

- لا إله إلا الله وبوعمامة ضيف الله.

¹ - Ibid.

² - Ibid. Dépêche télégraphique n°229, du 13avril 1881.

³ - E. Graulle. Op, cit. P14-19.

وينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص30. وإبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص277

⁴ - J. H. Sénemaud. Op, cit. P23

⁵ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

وتوجه قايد أولاد حدو رفقة خمسة من أفراد عائلته للالتحاق بقبيلة الجرامنة والانخراط في الثورة، والتحقت شخصيات أخرى نافذة من الأحرار وانضموا لقبيلة الترافي المنشقة عن فرنسا، في حين قامت جماعة أخرى منهم بقطع الطريق أمام تقدم أتباع الأغا الحاج قدور الذي أمرهم بالتحرك، فتدخلت القوات الفرنسية وقامت بأسر هذه الجماعة التي تشكل خطرا على الأمن العام¹، ووجه الحاكم العام توبيخا للقائد الأعلى بتيارت، بسبب تماطله في إعلام القيادة الفرنسية حول المتورطين الفعليين في إثارة الفوضى².

ولم يتأخر الباشا آغا سي أحمد في تقديم أسماء المشتبه بهم والقبائل التي ينتمون إليها إلى السلطات الفرنسية³، وبعد تأكد فرنسا من جهات مختلفة عن تورط مبعوثي بوعمامة في إجراء إتصالات مع قبائل الطرافي والأحرار الشراقة وحميان وأولاد أحمد زياد⁴، صدر الأمر إلى الضابط (WEINBRENNER) نائب رئيس المكتب العربي لمدينة البيض رفقة 04 من الصباحية باعتقال 02 من كبار الدوار، الدين بن محمد ودحمان بن الشيخ من مخيمهم في بوزولي، ونقلهم إلى البيض، وأن يتم توقيف المقدم الطيب بن جرمانى وبلقاسم ولد لزغم، فلم يتمكن من اقتيادهم، وتم اغتياله في الحين وكان ذلك يوم 22 أفريل⁵، ولم يتمكن أحمد ولد قاضي من إبلاغ حاكم وهران بسبب انقطاع خطوط التلغراف بين فرنده والبيض إلا في يوم السبت 23 ماي⁶.

فاتخذ الجنرال سيريز إجراءات استعجالية لمنع الثورة من الانتشار، بتوفير الحماية لفرنده، تيارت، سعيدة، الضاية وسبدو وذلك بتجنيد ما توفر له من قوم المناطق التالية في غياب القوات الفرنسية التي غادرت الجزائر لتنفيذ عمليات الاحتلال في تونس، وكان بإمكان قيادات القبائل أن تلتف حول المرابط بوعمامة الذي وضع استراتيجية محكمة لضرب

¹ - Ibid

² - Ibid

³ - E. Graulle. Op, cit. P14

وينظر: جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 110

⁴ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 302

⁵ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n° 280, du 2 juin 1881

⁶ - A. N. O. M. 30H78. Op, cit

المراكز الفرنسية مستغلا في ذلك الفراغ الذي تركه الجيش الفرنسي، لكن الزعامات القبلية التي كان بوسعها أن تحدث تفوقا ملحوظا على المجندين من المعمرين ومن سار في فلكهم، فضلت أن تحافظ على مصالحها وامتيازاتها الآنية وذلك من خلال إجهاد حركة المقاومة وإنقراض سلطة الاحتلال من السقوط، أما قضية التحرر لم تكن واردة في حساباتهم وظلت مؤجلة إلى حين. فتحوّلت الزعامة المحلية التي أضعفتها شراسة الاستعمار، وهو ما جعلها تبرز في هذا السياق كأخطر مشكلة تهدد المقاومة.

وحتى لا تظهر فرنسا بمظهر الضعيف أمام ثورة الأهالي، وخوفا من توسعها أصدر الجنرال سيريز أوامره بتاريخ 24 أبريل إلى كافة المراكز، وذلك بتسخير كافة الإمكانيات التي تتوفر عليها كل فرنسة وتيارت، فتوجه قوم الأحرار الغرابة بقيادة بلحضري¹، قاصدا بوزولي لقطع الطريق أمام أولاد حدو وقبيلة أولاد زيان الشراقة².

وحاول سي أحمد ولد قاضي أن يفرض نفسه على المحتل بصفته الوسيط الذي يصعب تجاوزه في التعامل مع السكان المحليين، من خلال جمع المعلومات الاستخباراتية وتقديمها لسلطات الاحتلال. ورغم الخدمات الجليلة التي قدمها للجيش الفرنسي ظل هو الآخر محل شك، من طرف بعض قادة الجيش الفرنسي، فعندما تم إلقاء القبض على أحد المخبرين قادما من بريزينة، من طرف فرسان الأحرار الشراقة، وبعد استجوابه أخبرهم بأنه يحمل رسائل إلى بوعمامة من الأغواط والرزيقات وأولاد مومن، وأولاد عيسى والقراريج، من أجل الانخراط في الثورة. مما دفع بالحاج قدور بن صحراوي إلى تحذير هذه القبائل من دعم بوعمامة، وأعلم العقيد بروننتير بذلك، وأضاف بأن بوعمامة سيتوجه إلى أولاد زيان الغرابة والمرابطين الغرابة، ثم نقل كل هذه المعلومات إلى الباشا آغا سي أحمد والجنرال سيريز³،

¹ - بلحضري: هو الإبن البكر لسي أحمد ولد قاضي، الذي تقلد مهمة قيادة قوم فرنسة نيابة عن والده الذي بلغ من السن بما لا يسمح له بركوب الخيل، ولقد كرم بلحضري من قبل السلطات الفرنسية بمنحه وسام الشرف نظير أعماله البطولية التي قدمها لفرنسا بأمر من والده. وينظر: E. Graulle. Op, cit. P33.

² - A. N. O. M. 30H78. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1157, du 24 avril 1881

³ - J. H. Sénemaud. Op, cit. P23

حول تحركات بوعمامة، والجدير بالذكر أن هذه الاتصالات جرت في موطن الأحرار الغرابة الخاضعة لسلطة ولد قاضي الذي التزم الصمت، ولما سئل من طرف العقيد برونتيبير أجابه: " لا تخشى شيئاً، أنا على ثقة تامة من أتباعي"¹.

ولما توجه بوعمامة نحو فرنده، وقع مخبر آخر في يد السلطات الفرنسية، الذي اعترف وأخبرهم أنه متوجه إلى أولاد زيان الغرابة لحثهم على الانضمام إلى بوعمامة، فصدر حينها الأمر من العقيد برونتيبير إلى ابن الباشا آغا محمد ولد قاضي لإرسال قومه من أجل مراقبة تحركات هذه القبائل التي كانت على اتصال ببوعمامة، فكان رد محمد ولد قاضي الوثائق من نفسه: " ماهي إلا أعمال مدبرة، ولا صحة عن الجواسيس"².

وظل سي أحمد يكن عداوة لا نظير لها لأغا الأحرار، متهما إياه باللعب على الحبلين، وبتدعيم بوعمامة في سرية تامة³، في حين كان هو يمثل العين التي لا تنام والساهرة على أمن فرنسا، لكن تحركاته جاءت متأخرة فيما يتعلق بالثورة، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال ما ذكره غرول في كتابه ثورة بوعمامة حيث قال: "إن الشاهدين سليمان بن نهاري وعبد القادر بودية ذكرا بأن بوعمامة لديه أسلحة في المغرار وأن الباشا آغا سي أحمد في رسالته يوم 07 أفريل ذكر نفس الرواية بطريقة مختلفة وبسيطة"⁴.

والسؤال ما دام سي أحمد يحظى بكل هذه الثقة لدى السلطات الفرنسية فلماذا لم يكن هو أول من يبلغ عن بوعمامة؟.

واضح أن سي أحمد قام بتبليغ السلطات الفرنسية لما عرف بأنها على علم بذلك مسبقاً ومن خلال ما توفر لدينا من وثائق والتي بواسطتها يمكن إزالة بعض الغموض عن علاقة الزعامات القبلية بالسلطات الفرنسية، فالباشا آغا يبدو أنه كان مستاء هو أيضاً من التعديلات التي أدخلتها فرنسا على مناطق نفوذه، حيث انتزعت منه قبائل كانت تحت

¹ - Ibid. P16

² - Ibid. P16

³ - « Le gaulois », n° 732, mercredi 14 septembre 1881. P1

⁴ - تذكر كثير من المراجع أن أحمد ولد قاضي هو من أبلغ السلطات الفرنسية عن تحركات بوعمامة، ولكن هناك من أعلم قيادة الجيش الفرنسي بهذه التطورات قبل سي أحمد ولد قاضي. ينظر غرول، ص 19.

سلطته، وتم ضمها للإقليم المدني¹، وحسب جريدة الأخبار بتاريخ 6-7-8 جوان 1881 أن الأسباب الحقيقية لثورة الجنوب الغربي تعود إلى غضب واستياء آغا الحاج قدور الذي لم يكن راضيا عن تأسيس بلدية فرنسة المختلطة، حيث أقدمت السلطات العليا الفرنسية عن فصل مجموعة من القبائل التابعة للأحرار الشراقة، وإحاقها بأغوية فرنسة، وهي قبائل أولاد زيان الشراقة وقبيلة أولاد حدوا للتان ساهمتا في تفجير الثورة، بعدما رفضتا الانضمام لأغوية فرنسة تحت سلطة أحمد ولد قاضي.

هذه الرواية حسب جريدة الأخبار عارية عن الصحة وليس لها ما يسندها في الواقع، وعلينا أن نعود إلى القرار الصادر عن السلطات الفرنسية والقاضي بإعادة تنظيم المناطق العسكرية في مقاطعة وهران، حيث بموجبه تم تقليص المنطقة الخاضعة لسلطة ولد قاضي بناء على القرار الصادر بتاريخ 25 أوت 1880 ولم يبق له سوى خمسة قبائل من مجموع أربعة عشر قبيلة، لكن مناطق نفوذ الأغا الحاج قدور لم يشملها القرار القاضي بتوسيع المناطق المدنية، وبذلك ظل نفوذه محصورا في المناطق العسكرية.

وهذا يكشف بكل وضوح بأن هذه الزعامات ما كانت تقدمه لفرنسا من خدمات، إنما يندرج ضمن فهمها وإدراكها لميزان القوة الذي فرض عليها ذلك، من أجل الحفاظ على امتيازاتها ومصالحها، والتي يبدو أنها تضررت من هذه الإجراءات، وسببت لها خيبة أمل حيث أنها ستفقد لامحالة بعض المنافع المتمثلة في الضرائب التي كانت تجنيها من القبائل الخاضعة لها، ولذلك جنحت باتجاه إعادة ترتيب علاقاتها مع السلطات الاستعمارية، من خلال غض الطرف عن التواصل الذي كان يحدث بين أتباعها والثوار².

وبتاريخ 18 ماي تلقى العقيد إينوسونتي رسالة من مخبريه تفيد بأن بوعمامة يستعد لمهاجمته، وعلى الفور عقد اجتماع لمساعديه لتزويدهم بالتعليمات الضرورية لمواجهة الثوار، كما استدعى على الساعة العاشرة ليلا قادة القوم الثلاثة وهم على التوالي الأغا

¹ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°1064, du 7mars 1881.

J. H. Sénemaud. Op, cit. P23

وينظر

² - A. N. O. M. 7H24. Op, cit. Conseil général d'Oran. Extrait de la séance du 28 avril 1882

الحاج قدور وبلحضري ولد سي أحمد ولد قاضي وقدور ولد عدة آغا سعيدة، وسلم لهم أوامر مكتوبة¹، والتي يجب تطبيقها بدقة، وفي يوم 19 ماي التقى الطرفان، فتخلي الجناح الأيمن الذي كان يضم قوم بلحضري ولد قاضي باش آغا فرندة، وقدور ولد عدة آغا سعيدة حيث عندما اندلعت المعركة رفض قوم الأهالي توجيه بنادقهم نحو المرابط بوعمامة على أنه المرسل من عند الله².

وعند أول اصطدام، فضل قوم الجناح الأيمن الفرار مستغلين حالة الفوضى والاضطراب، فألقوا بأنفسهم داخل المربع، وجلبوا معهم فرسان بوعمامة فشاعت حالة من الفوضى وتم نهب القافلة العدو بأكملها.

ولما سئل بلحضري ابن سي أحمد ولد قاضي أجاب على صفحات البيبليك أن (Le publique) أن عملية نهب قافلة العقيد إينوسونتي وانهزامها يعود بالأساس إلى تواطؤ الحاج قدور مع الثوار³، ولقد ورد ما يخالف هذا القول في جريدة (le Monde illustré) في صفحاتها بتاريخ 25 جوان 1881 تحت رقم 1265 حيث ذكر صاحب المقال: "أن قوم الجناح الأيمن (بلحضري ولد سي أحمد وقدور ولد عدة) كانوا متواطئين مع العدو أو أنهم أصيبوا بالخوف والهلع، وعضوا أن يفعلوا مثل ما فعله قوم الأغا بن صحراوي، الذي تراجع إلى الخلف تطبيقاً للأوامر الصادرة إليه حتى لا يشل عمل المدفعية الموجودة في المنحدر الأيسر، لكنهم اندفعوا داخل المربع، دون إطلاق رصاصة واحدة على العدو"⁴.

فالتحم الجمعان وتمكن الثوار من إحاق هزيمة لم يكن يتوقعها القادة الفرنسيون وانتشرت أخبارها في داخل وخارج الجزائر، وأفردت لها الصحافة الفرنسية حيزاً هاماً من الاهتمام محملة المسؤولية الكاملة لضباط الجيش الفرنسي وقادته، ولما أقدم الجنرال توماسان (Le Général Thomassin) على إعادة بناء قبة الأبيض سيد الشيخ التي أسقطها العقيد نقري

1- J. H. Sénemaud. Op, cit. P28

2- Le général Innocenti. Op, cit. P47

3- J. H. Sénemaud. Op, cit. P29

4- « Le monde illustré ». 25^{ème} année ,n°1265, du 24 juin 1881. P422.

(Négrier)¹، تلقى أولاد سيد الشيخ العديد من الهدايا ومبلغ 80000 فرنك²، فجزء من هذا المبلغ ساهم به سي أحمد ولد قاضي، فكثر الكلام حينها في الصحف عن مصدر هذه المبالغ.

ومن جهة أخرى ألم تكن قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة تمثل مركز المقاومة؟ وهي التي حاول زعيمها سي محمد ولد حمزة في شهر جويلية 1884 توجيه ضربة عسكرية توخى منها استئصال الخونة وعلى رأسهم أحمد ولد قاضي إن هذه التساؤلات وغيرها ستظل مشروعة، وتضغ سي أحمد في خانة المشتبه بهم وربما هذا قد يفسر جنوح هذا الزعيم إلى الإبقاء على شعرة معاوية مع الزعامات الثورية وهذا ليس نصرة لها وإنما حفاظا على مصالحه وانتقاما من فرنسا التي جردته من بعض الامتيازات.

وظلت الشكوك تحوم حول تصرفاته، مما دفع السلطات الفرنسية إلى تشكيل لجنة تحقيق لمعرفة أسباب اندلاع ثورة الجنوب الغربي ومشاركة قبائل الأحرار فيها.

1) انعقاد جلسات استثنائية بوهران لمناقشة عدة ملفات أبرزها ثورة بوعمامة 1881:

انعقدت هذه الجلسة لدراسة عدة ملفات تخص شأن المستعمرة، ومن أبرزها قيام ثورة بوعمامة، واتفق مجلس وهران على عقد جلسة بتاريخ 12 جويلية 1881 والتي تم افتتاحها بقراءة الرسالة التي بعث بها المستشاران العامان (Jamlin et Astier) والتي تتضمن فتح تحقيق حول أحداث المقاومة³، وطالبا بإسناد هذه المهمة لعناصر تكون وفية لفرنسا، لتحديد المسؤوليات بالكشف عن المتورطين فيها، وأعطيت الكلمة لولد قاضي الذي دافع عن نفسه أمام لجنة التحقيق قائلا: "حان الوقت لكي تتجلى الحقائق حول من كان مخلصا لفرنسا ومن خانها"⁴. ويرى البعض بأن إقدام فرنسا على تحويل الجزء الأكبر من إقليم فرنده إلى الإدارة

¹ - E. Graulle. Op, cit. P107.

وينظر: P. Wachi. Op, cit. P35 -Le colonel

² - J. H. Sénemaud. Op, cit. P37

³ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit. Conseil général du département d'Oran. Procès-Verbaux des délibérations. Session extraordinaire de 1881. P7

⁴ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit

المدنية، أدت إلى تقليص سلطة سي أحمد ولد قاضي، الذي عبر عن استيائه من هذه الإجراءات التي ستكون لها نتائج سلبية على مستقبله فطالب حينها بتعويضات¹.

وفي شهر جانفي 1881 أصبحت فرندة مدينة مختلطة بعد أن تم تنصيب الإداريين فيها فخر الباشا آغا سي أحمد تسع قبائل من أصل أربعة عشر قبيلة التي كانت تحت تصرفه² ولإرضائه قامت فرنسا بنقل خمس قبائل كانت تحت قيادة الحاج قدور بن صحراوي لصالح الباشا آغا سي أحمد، وبذلك تكون فرنسا بإجراءاتها هذه قد ألحقت أضرارا بالطرفين وصنعت منهما أعداء وحتى القبائل التي تم فصلها عن الأغا بن صحراوي، لم تكن راضية عن هذا الإجراء الذي رأت فيه تصرفا تعسفيا في حقها، فكان ذلك سببا في انضمامها لثورة بوعمامة، مما شكل خطرا على الأوضاع الأمنية في منطقة التل التي كانت ترى فيها فرنسا واحة أمن وسلام.

ولم يتأخر بعض المتدخلين في إتهام الزعمين الحاج قدور بن صحراوي والباشا آغا سي أحمد بتورطهما في الثورة، كما تم تحميل السلطات الفرنسية مسؤولية الأحداث، خاصة عندما لجأت السلطة العسكرية فيها إلى تقليص عدد أفراد الجيش، ولم يتم تعويضهم بقوات من الدرك لحفظ الأمن والاستقرار³.

وبتاريخ 15 جويلية تم مواصلة مناقشة الأحداث التي عرفتها منقطة جنوب وهران والتي غاب عنها سي أحمد، وفيها أعطيت الكلمة لمحمد ثابت الذي دافع عن سي أحمد ولد قاضي مذكرا الجميع بأن الأمير عبد القادر قد استولى على ممتلكات سي أحمد التي قدرها الجنرال لاموريسيار (Lamoricière) بـ 6000 دورو أي حوالي 300 ألف فرنك⁴، وبعدها كاتبه الأمير للالتحاق به وأن يعيد له جميع ما أخذ منه فرفض هذا العرض. وقد نجح في إلقاء القبض على مصطفى بن جلول الذي نصب نفسه سلطانا، فحاز بذلك على سرج

¹ - A. N. O. M. 7H24. Op, cit. Dépêche télégraphique, n°107, du 19mars 1881. P83

² - Conseil général du département d'Oran. Procès-verbaux des délibérations. Session extraordinaire de 1881. P82

³ - Ibid. P83

⁴ - Ibid. 104

شرفي من تونس قدرت قيمته أُنذاك بـ 5000 فرنك، قدمه له الجنرال لاموريسيار عرفانا وتكريما له¹ فكيف نفسر رفض سي أحمد لعروض الأمير عبد القادر الذي كان يتوفر على عدد كبير من الثوار، ودانت له قبائل الشرق والغرب، والقبول بنسج علاقات مع بوعمامة الذي لم يكن في مستوى الأمير عبد القادر؟ وهل كان في وسع سي أحمد أن يضحى بـ 50 عاما من الولاء لفرنسا، وأن يضيع شرف عائلته وثروته؟.

يقول ولد قاضي مدافعا عن نفسه: " ولا يخفى عن فرنسا أننا نحن قبيلة الدواير أننا قدمنا دماءنا نصرّة للقضية الفرنسية وكان أول ضحاينا الجنرال مصطفى بن إسماعيل"². فرد عليه عضو من اللجنة (M. Priou) بأن ما ورد في التقرير ليس موجها بشكل مباشر لسي أحمد، وإنما القصد منها إجراء تحقيقات فيما يتعلق بالاتهامات التي تحوم ضده فأجابته بن داود أن سي أحمد ظل مخلصا ووفيا لفرنسا، فقدم (M. Priou) عرضا موجزا عن إخلاص أسرة المقراني لفرنسا، وها هي توجه نيران بنادقها نحو صدورنا³، ونفس الاتهامات وجهت للحاج قدور بن صحراوي، حيث تعرض لحملة إعلامية مركزة من بعض الصحف والتي اتهمته بالخيانة، والتخلي عن فرنسا في ظروف جد حساسة وهناك أطراف أخرى من داخل الجيش الفرنسي لم تتأخر عن المطالبة باعتقاله وتقديمه للمحاكمة، وهذ بالرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها لفرنسا، ورفض الجنرال تيرمان (Tirman)⁴، لكل الإتهامات التي تنشرها الصحف دون وجود أدلة دامغة تثبت تخلي الأغا الحاج قدور عن فرنسا، وأن عملية الاعتقال التي تعرض زعيم الأحرار ماهي إلا إجراءات إدارية حسب ما ذكره تيرمان⁵.

¹ - Conseil général du département d'Oran. Procès-Verbaux des délibérations. Session extraordinaire de 1881. P105

² - Ibid. P105

³ - Ibid. P106

⁴ - تيرمان (M. Louis Tirman) ولد ب (Mezières) حازة على شهادة الدكتوراة في الحقوق، تم تسميته مستشارا للمحافظة سنة 1863، ثم أمينا عاما لمدينة (Mezières) سنة 1878، ثم تسلم منصب الحاكم العام للجزائر في 26 نوفمبر 1881 وأُفرد حيزا كبيرا من إهتماماته على تهدئة الوضع الأمني أثناء ثورة بوعمامة، وفي عهده تم تكثيف هجرة المعمرين الفرنسيين إلى الجزائر. وينظر: -Narcisse Faucon. « Livre d'or ». Op, cit. PP593,594

⁵ - J. H. Sénemaud. Op, cit. P35

والملفت للانتباه أن بيزي (Bézy le Citoyen) دافع بشدة عن سي أحمد ولد قاضي أمام لجنة التحقيق، ومرد ذلك يعود حسب ما أشارت إليه (J. H. Sénemaud) في كتابه، أنه كان على علاقات طيبة تربطه بولد قاضي.

(2) المقاومة السياسية:

من المعروف أن سي أحمد ولد قاضي استنفذ جهده وقواه في خدمة الاستعمار وهذه حقيقة لا يختلف حولها إثنان، ولم يكن في مستوى عناصر النخبة الوطنية من أمثال حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة وغيرهم الذين وقفوا ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى إخضاع الجزائريين بالقوة وإذلالهم، خاصة بعد أن تحمل الأمير عبد القادر لواء المقاومة الشعبية المسلحة¹، دافعا عن حق الشعب الجزائري في العيش بكرامة كغيره من الشعوب الأخرى، التي كانت تتوق إلى الحرية والتخلص من الاستبداد فأحمد ولد قاضي الذي ينتمي إلى قبائل المخزن، والذي تم تعيينه آغا ثم باش آغا لمدينة فرندة، سبق له أن شارك مع قومه إلى جانب القوات الفرنسية في قمع الكثير من حركات التمرد التي قام بها بني جلده ضد الغطرسية الاستعمارية، ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن موقف هذا الرجل ما لبث أن صمم على الدفاع عن الجزائريين المقهورين، واستغل فرصة زيارة نابليون للجزائر سنة 1860 ثم سنة 1865 ليعبر له عن امتعاضه الشديد من خلال إبلاغه شكواه من القوانين الجائرة، والمظالم التي كان يقترفها ضباط المكاتب العربية وإدارة الشؤون الأهلية²، وشعر وقتها بعدم الرضا، وتأنيب الضمير خاصة بعدما تقدم به العمر، ولقد أثمرت جهوده مع بقية رفاقه وهم ابن باديس وابن بريهمات، حيث راسل نابليون بليسي وأكد له: " يجب إقناع العرب بأننا جننا ليس لقهرهم أو لسلب أراضيهم بل لإعطائهم فوائد ومزايا الحضارة"³، وهذا يدل

¹ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق ص 206

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص 475

³ - Charles-André Julien: « Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871). » Casbah. Edition, Alger, 2005. P424

على اعترافه بالواقع المر والاضطهاد الذي يعاني منه الأهالي ، مما يستوجب تصحيح الأخطاء بمراعاة حقوق الجزائريين أيضا.

وفي رسالته الثانية الموجهة لماك ماهون¹، والتي لا تختلف عن الرسالة التي وجهها ليليسي إلا في بعض المصطلحات وهذا نصها: "إن هذا البلد هو في ذات الوقت مملكة عربية ومستعمرة أوربية ومعسكرا فرنسيا..."²، ويبدو من خلال هذا الطرح الذي يصعب معه الجمع بين مملكة عربية ومستعمرة أوربية أن يحقق شيئا أمام تعنت المعمرين وأن هذه العبارات لا تغير من الأمر شيئا. إن مهمة إنقاذ الأهالي والدفاع عنهم وحمايتهم (كما لو كان أن الأمر يتعلق بصيانة الحيوانات من الانقراض)³.

لكن رياح التغيير التي اجتاحت فرنسا بعد الحرب، قد أطاحت بالنظام الإمبراطوري فاتحة بذلك عهدا جديدا بمجيئ الجمهورية الثالثة، التي فتحت الأبواب أمام الغلاة المعمرين الذين حاولوا باستمرار منع الحكومة الفرنسية من التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر فسعوا إلى إنشاء ميزانية خاصة بالجزائر، وإضعاف سلطة الحاكم العام، بتركيزها في يد رؤساء البلديات الذين تجاهلوا مصالح الجزائريين⁴، وتم إرضاء اليهود الذين تجنسوا جماعيا بالجنسية الفرنسية، وبدأ الحديث عن الإدماج والإلحاق وتوسيع الحكم المدني، فتبخرت أحلام الجزائريين وضاعت حقوقهم. وزادت متاعبهم مع إقرار قانون الأهالي⁵.

وتم قبرو التصدي لمشاريع نابليون الثالث والتي لم تر النور، ورأى فيها ممثلو الكولون تعدي صارخا على حقوقهم، واشتكى وارني من كون الحديث "لايدور سوى حول

¹ - ماك ماهون (Mac-Mahon) ولد سنة 1808 وتوفي سنة 1893، قائد عسكري بارز، تخرج من مدرسة "سان سير" في 1827، مارشال، وثالث رئيس للجمهورية الفرنسية، بعد مشاركته في حرب القرم، عين عضوا في مجلس الشيوخ، عين حاكما عاما على الجزائر في سنة 1864، وشهدت الجزائر خلال فترة حكمه مجاعة رهيبه في سنوات 1867-1868-1869 نقلًا عن حياة سيدي صالح، المرجع السابق، هامش، ص 40

² - Charles-André Julien. Op-cit. P432.

³ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 305

⁴ - حياة سيدي صالح، "اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين (1871 - 1895)" دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 28

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 476

الحقوق المقدسة للأهالي "على حساب حقوق المعمرين التي لا تقل عنها قداسة". الغريب في الأمر إن هذا التوصيف يراد منه قلب الحقائق إنها بكل بساطة تعاسة حقوق الأهالي الذين انتزعت منهم آدميهم وأصبحوا يعاملون معاملة البهائم من قبل دعاة الحضارة الجدد.

وبتاريخ 14 ديسمبر 1869 اجتمع مجلس وهران برئاسة المارشال راندون¹ لمناقشة بعض القضايا التي تخص الجزائر، فتم توجيه دعوة لبعض أعيان المقاطعات الثلاث للمشاركة وتمثيل الجزائريين فحضر حسان بن بريهمات عضو مجلس العام لمقاطعة الجزائر، والمكي بن باديس ممثلاً لقسنطينة، والباشا آغا سي أحمد ولد قاضي عن مقاطعة وهران².

وبعد افتتاح الجلسة، أعطيت الكلمة لرئيس بلدية البليدة (M. Bourelly) الذي طرح مسألة تطبيق التشريعات الفرنسية في مناطق الأقاليم المدنية، وإعادة تنظيمها مع الإبقاء على الإدارة العسكرية في المناطق التي يقطنها العنصر العربي، كما اقترح مشروع يقضي بتعمير الجزائر، من خلال إعفاء العائلات القادمة من أوروبا من أداء الخدمة العسكرية. وإصدار قانون سيناتوس كونسيلت سنة 1863 حول ملكية الأرض³.

فاغتنم سي أحمد ولد قاضي عضو المجلس العام بوهران، الفرصة لكي يعبر عن عدم رضاه الشديد للممارسات الفرنسية الظالمة ضد الأهالي، حيث ركز في بداية مداخلة على أن يترك للعرب حرية ممارسة شعائر دينهم وأن تحترم فرنسا ذلك كما جاء في تعهداتها

¹ - المارشال راندون (Jacques-Louis-César-Alexandre-Randon) ولد بمدينة (Grenoble) بتاريخ 25 مارس 1794، عين بتاريخ 24 جانفي وزيرا للحربية وبتاريخ 11 ديسمبر من نفس السنة توجه إلى الجزائر بصفته حاكما عاما لها وبتاريخ 18 مارس 1856 رقي إلى رتبة مارشال فرنسا، تمكن من غزو منطقة القبائل وبتاريخ 24 ماي 1857 هاجم قبيلة بني راثن وأجبرها على الإستسلام بعد معارك طاحنة، وفي 24 جوان أخضع منطقة القبائل، وتمكن من تحطيم قبيلة بني جني.

ينظر: René De Saint-Félix: « Le voyage de S. Mr. l'Empereur, Napoléon III, en Algérie et la régence De Mme. l'Impératrice. » Mai- juin 1865. Paris, 1865. PP230-231

² - A. N. O. M. H208. « Sénatus- Consulte, réglant la constitution de l'Algérie. » Commission de l'Algérie. Séance du 14 décembre 1869. PP12,13

وينظر: حياة سيدي صالح، المرجع السابق، ص28.

³ - A. N. O. M. H208. Op-cit. P12

بعد التوقيع على معاهدة الاستسلام سنة 1830، وإن إخضاع الجزائريين للقوانين الفرنسية سيكون مآله الفشل¹.

أما فيما يتعلق بموضوع ملكية أراضي العرش، التي طالها مرسوم الأرض لسنة 1863 القاضي بتحديدتها ورسم حدودها²، وتأسيس الملكية الفردية وترقية الزراعات لدى الأهالي التي رأى فيها شارل أندري جوليان ستقدم مكاسب هامة للأهالي³ حسب زعمه فإن أحمد ولد قاضي وجه انتقادات لهذا التشريع الذي سيدفع بالجزائريين إلى التنازل عن أراضيهم ببيعها للفرنسيين، مؤكدا على أن عادات العرب لا تشبه عادات وتقاليد المعمرين وأضاف بأن هذا الإجراء سوف تتولد عنه نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري، وسيؤدي في الأخير إلى تفتيت الملكية الزراعية والعائلة الجزائرية⁴، ومن الملاحظ أن تدخلات ولد قاضي توحى بأنه شعر بأخطار السياسة الاستعمارية والتي لن ترحم الجزائريين مستقبلا وسوف تؤدي أيضا إلى خلخلة البنية الاجتماعية والاقتصادية للجزائر.

والراجح أن هناك الكثير من الزعامات التي لم تكن راضية عن السياسة الاستعمارية المنتهجة من قبل القادة العسكريين، الذين خلقوا جوا من الرعب والخوف يصعب معه أن يعبر هؤلاء عن رفضهم لسياسة القمع المنتهجة، ولم يبق أمامهم سوى العمل المسلح الذي كان يعتبر هو الآخر مخاطرة غير محسوبة النتائج، ولكن هذا لم يمنع المقربين والمتعاونين مع فرنسا من التعبير والاحتجاج ضد الممارسات القمعية وتغول المعمرين التي جسدها في قوله الجنرال هانوتو (Hanoto) ما يحلم به المعمرون هو إقامة بورجوازية إقطاعية يحميها الجيش ويقومون هم فيها بدور السادة، أما الأهالي (الجزائريون) فيؤدون فيها دور العبيد⁵. وفي 1878 توجه ولد قاضي على رأس وفد هام من الأعيان إلى فرنسا لحضور معرض

¹ - A. N. O. M. H208. Op-cit. P12

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 34

³ - Charles-André- Julien. Op-cit. P426

⁴ - A. N. O. M. H208. « Sénatus- Consulte. » Op-cit. P12

⁵ - حياة سيدي صالح، المرجع السابق، ص 17

باريس الدولي، وهي المرة الثالثة التي زار فيها فرنسا¹، وظهر بمظهر المحافظ والمتحضر في نفس الوقت. فقد كان متمسكا بتقاليد أسرته وذويه من العرب والأجواد²، ولاشك أنه كان يحمل في جعبته وهو يستعد للذهاب إلى فرنسا كثير من الانشغالات وهموم الجزائريين التي سجلها بعد عودته إلى أرض الوطن، وأظهر تأثره بما شاهده في فرنسا من تقدم وما عاشه قومه من معاناة³، وقد اغتتم فرصة وجوده بفرنسا وكتب رحلته التي تضمنت بعض ما عاينه في السفر وجمع رتب ذلك في أربعة فصول تحت عنوان الرحلة الفادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية، وأهم ما ورد فيه الفصل الرابع الذي يتضمن عرض حال لواقع الجزائريين في ظل الوجود الاستعماري الذي استهدف العباد والبلاد، حيث يمثل عقد السبعينات إزدياد قمع وشوكة الكولون المدعومة من قبل القادة العسكريين أمثال تيرمان وشانزي⁴، وانتشرت حالة من الوعي بين صفوف النخبة لكي تعبر عن سخطها وعدم رضاها للإجراءات التعسفية الفرنسية التي كانت تستهدف الجزائريين في وجودهم.

وأثناء تجوالهم في مدينة باريس شاهدوا كلمات غليظة مرسومة على الجدران تخطف الأبصار، فسألوا عنها وهي شعار الثورة الفرنسية (حرية، أخوة، مساواة) وعلق عليها ولد قاضي بقوله: "ياليتها كتبت بماء من ذهب وياليت الناس يعرفون فوائدها وما تضمنته من معاني"⁵ لكنه نسي بأن لفرنسا وجهان الأول ويتمثل في حركة التنوير التي ظهر فيها كثير من المفكرين الذين دعوا إلى التحرر من شيء اسمه الاستبداد، بينما كان الوجه الثاني مرافقا للحركة الاستعمارية التي استهدفت الشعوب الضعيفة التي لم تجن سوى البؤس والفقر والقمع والاضطهاد. ورأى بأن المطلوب من المسلمين مساواتهم في العلوم والاجتهاد وأرجع الفضل

¹ - سي أحمد ولد قاضي، "الرحلة الفادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية"، 1878، الجزائر، ص 3

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، (1830-1954) عالم المعرفة الجزائر، ط2011، ص 474

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 474

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، ج1، ص 476

⁵ - سي أحمد ولد قاضي، نفس المصدر، ص 8

للفرنسيين في إعادة بعث كثير من العلوم التي طورها أسلافنا فيحق لنا أن نحمد الله على دولة من بها الله علينا ونجتهد بواسطتها في اتخاذ الأسباب التي سنعود بها إلى سيرة الأولين¹. لكن المزايا التي تطرق إليها سي أحمد ولد قاضي تكذبها الوقائع حيث أن فرنسا عملت طيلة وجودها بالجزائر على محاربة التعليم حيث تشير بعض التقارير العسكرية، إلى أن اللغة العربية وثقافتها كانت كثيرة الانتشار على كامل امتداد أرض الوطن وأن كل الجزائريين كانوا يحسنون القراءة والكتابة. وبالرغم من محاولات جول فيري بنشر التعليم باللغة الفرنسية في الجزائر بين سنتي 1887-1896 فإن نسبة المئوية لم تتعدى 2%، فكيف يتسنى لهم أخذ العلوم عن الفرنسيين؟

وأشاد ولد قاضي بالمدارس الفرنسية ظنا منه أنها ستعمل على ترقية التعليم لدى الأهالي، وسخر من باقية بني جلدته الذين رفضوا الالتحاق بالمدارس الفرنسية ويستشهد بما قاله بعض العرب وقتها "... حتى قال بعضهم إلقاء أنفسنا ونسائنا وأولادنا في البحر أهون علينا من تبديل ديننا وفراقنا مع أولادنا"². ونسي أن التعليم كان المراد منه تغيير هوية المجتمع الجزائري، والذين استفادوا منه هم أبناء القياد والمتعاونين مع فرنسا، وقام المعمرون في السبعينات وهي الفترة التي كتب فيها ولد قاضي مذكرته، بعرقلة التعليم متخذين من ثورات 1871، 1876، 1879، 1881، حجة لضربه وعرقلته وطالبوا بفرض قانون الحرب على الأهالي الجزائريين مدعين (أنه من باب الجنون تطبيق قانون التعليم على هؤلاء البرابرة)³ ويضيف بأن فرنسا أقامت المدارس بالقرب من مساكن الأهالي، ونصحهم بما يترتب عن التعليم من منافع جمة مذكرا إياهم هل يستوي الأعمى والبصير والأبكم والناطق⁴ وقد نجح في إقناعهم البعض منهم الذي امتثلوا لنصيحته بإرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية التي تعلموا فيه وتخرجوا منها، واكتسبوا المناصب الشرعية، أملا في أن يمتزج العرب بالفرنسيين ويتحولون

¹ - سي أحمد ولد قاضي، المصدر نفسه، ص 9

² - سي أحمد ولد قاضي، المصدر نفسه، ص 10

³ - عمار هلال، المرجع نفسه، ص 114

⁴ - سي أحمد ولد قاضي، المصدر نفسه، ص 10

مع مرور الزمن إلى ذات واحدة على حد تعبيره، وهذا ما كانت تدعو إليه فرنسا من خلال برامج التعليم المستحدثة في الجزائر، لكي ينصهر المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، وهذا يسهل عليهم بسط نفوذهم على سكان البلاد من خلال قيام مدرسة فرنسية تتماشى مع الواقع الذي أنتجته فرنسا في الجزائر¹.

وأشاد بالعلم والصنائع واللغة الفرنسية. وهذا ما شجعه على تقديم طلب للسلطات الفرنسية يتمثل في فتح مدرسة مزدوجة اللغة في مدينة فرنده. واعتبر تعلم اللغة الفرنسية أمراً ضرورياً.

وخلصة القول أن انضمام زعيم قبيلة الأحرار الشراقة إلى ثورة بوعمامة، من خلال إرسال المساعدات والمؤونة، وتقديم المعلومات عن تحركات جيش الاحتلال بالجنوب وذلك بفرنده وتيارت ظل محل تضارب في الآراء، بين الصحافة الفرنسية المكتوبة، وما سجله القادة الفرنسيون في مذكراتهم، فمنهم من يتهمه بالخيانة والوقوف إلى جانب ثورة بوعمامة، مطالباً باعتقاله وتقديمه أمام المحاكم العسكرية، والراجح في رأينا أن الحاج قدور بن صحراوي زعيم قبيلة الأحرار، قدم فعلاً مساعدات للثورة، في حين حاول أن يبقى على اتصال بالسلطات الفرنسية لكي ينفي عن نفسه تهمة تعاونه مع بوعمامة.

ومن جهة أخرى كان سي أحمد ولد قاضي أكثر إخلاصاً لفرنسا، لكنه أبدى تصرفات هو وابنه بلحضري ظلت محل تساؤل، مما قد يكون هو الآخر قد قدم مساعدات لثورة بوعمامة بشكل خفي. كما قدم مجموعة من الشكاوى والعرائض للسلطات الفرنسية يذكرها فيها باحترام تعهداتها التي قطعتها على نفسها عندما وقعت معاهدة الاستسلام.

¹ - عمار هلال، نفس المرجع، ص، 109.

ويبدو من خلال رحلته أنه كان معجبا بمظاهر الحضارة والتمدن فيها، وخلص إلى أن أسباب التقدم تعود بالدرجة الأولى إلى التعليم الذي يعد مفتاح الرقي والازدهار. وهذا ما أكده رفاة الطهطاوي عندما قال: "تفضيل العلم على السيف، فبالأقلام تساس الأقاليم"¹.

وهذا ما دفع بأحمد ولد قاضي إلى فتح مدرسة مزدوجة اللغة في مدينة فرندة. في وقت كان المسلمون حائرون بين إقدام على التعليم في المدارس الحديثة، مع التعرض لما يمس دينهم وبين الاحتفاظ بدينهم ومعه الاحتفاظ بجهلهم².

ومن جهة أخرى لقد شد انتباهه شعار الثورة الفرنسية (حرية، أخوة، مساواة) معلقا عليه بقوله: "ياليتهما كتبت بماء من ذهب". إن المتمعن في هذا التوصيف لا يمكن له سوى الاعتراف له بقدرته على استجلاء ما كان يحز في نفسه من أن أمته في أمس الحاجة إلى الحرية، لكن فاته أن من عاش طويلا في ظل العبودية لا يتعلم سريعا مزايا الحرية.

وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن دعوة ولد قاضي للاستفادة من مزايا الحضارة الأوروبية، لا يمكن فهما إلا في سياق الصراع بين الاستعمار والمقاومة، حيث أن التحرر من منظوره لن يأتي إلا من خلال تحرير العقول أولا، واستنارة الشعب وتنوير العامة هو السبيل الوحيد لكي يفهم الشعب حقوقه وواجباته، وهذا ما قد يعيد للأمة حقها في استعادة استقلالها، بما يضمن العدل والمساواة والحرية والإخاء.

¹ - رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تليخيص باريز، تح، تع، مهدي علام، أحمد أحمد بدوي، أنور لوقا، شركة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1973، ص 81

² - أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د، ت، ص 27

خاتمة

أهم ما يمكن إستنتاجه، إن الغزو الإستعماري قوبل بالرفض منذ تاريخ الجزائر القديم وقد رفضهم الشعب الجزائري ، وعاشوا طيلة فترة وجودهم أجانب عن المنطقة، بالرغم من محاولات الإدماج المتكررة، والتي كان مآلها الفشل الذريع.

أما الوجود العثماني بالجزائر لم يرق إلى مستوى تطلعات السكان، وشهدت الفترة الأخيرة منه تردي الأوضاع السياسية، الاقتصادية والإجتماعية، وإنشغل الولاة بمصالحهم الشخصية، فأصبحت الظروف مهينة لمواجهة هذا الضيف الثقيل عن طريق التمرد والثورات مما أدخل البلاد في آتون الفوضى والإضطرابات، سمحت للعدو الفرنسي بغزو الجزائر.

يتضح من خلال ماسبق أن المقاومة الشعبية المسلحة في منطقة تيارت، قد تأخرت حتى مطلع الأربعينات من القرن التاسع عشر، بسبب إنحصار التواجد الإستعماري في إقليم وهران، ولكن هذا لم يعف قبائل المنطقة من مسؤولياتها في تحمل أعباء المقاومة وهذا ما جعلها توفد زعاماتها لحضور الاجتماعات التي عقدتها قبائل معسكر لإختيار من يقود لواء المقاومة، وعبرت من خلال حضورها عن مساندة ومبايعة الأمير عبد القادر.

ولما سقطت مدينتي تلمسان ومعسكر التي كان يستمد منهما الأمير قوته، حاول أن يجد بديلا يتخذ منه قاعدة عسكرية فوق إختياره على مدينة تاقدت الواقعة غرب تيارت لا لأنها محصنة طبيعيا فحسب، بل محصنة شعبيا، حيث كانت للأمير عبد القادر صلات قرابه تربطه بأهل تاقدت وماجاورها. ولاشك أن هذ الإختيار قد حظي بموافقة قبائل المنطقة التي زارها الأمير عبد القادر لتوثيق صلة التعاون معها. وبذلك يكون الأمير قد نصب مخيمه في منطقة آمنة، ليتفرغ مع قيادة أركانه للمقاومة.

وبعد التوقيع على معاهدة تافنة مع الجنرال بيجو سنة 1837 شرع الأمير في توسيع نفوذه بإتجاه الناحية الجنوبية الشرقية، التي أعلنت زعاماتها عصيانها ورفضت دفع الضرائب للأمير ورفضت الإعراف به كسلطان شرعي، مما دفع بالأمير إلى مواجهة الموقف بكل حزم، فجهز قوة عسكرية يتكون معظمها من قبائل تيارت، وتلقى دعما ماليا وعسكريا من الحاج قدور بن صحراوي زعيم قبيلة الأحرار، الذي شجع الأمير على ذلك أسوار حصون قلعة عين ماضي.

ولاشك أن فرنسا سخرت كافة إمكانياتها العسكرية واللوجستية ،بعد تدمير مدينة تاقدمت لضرب مكامن القوة التي كان الأمير عبد القادر يتمتع بها داخل أوساط القبائل البدوية ،حيث أن البدوي محارب بطبعه بتعبير ابن خلدون .هذه الصخرة من القيم الجهادية الراسخة في أعماق المقاتل البدوي ،والتي إصطدمت بها جحافل الجيش الإستعماري ،وهي التي لفتته دروسا قاسية دونها ضباطه وجنده في مذكراتهم ،وظلت محفورة في الذاكرة الفرنسية .

وبالرغم من التقاف الزعامات القبلية والدينية حول الأمير عبد القادر في منطقة تيارت، إلا أنه واجه ليس فقط الجيش الفرنسي بترسناته العسكرية ،وإنما أيضا الرهانات المصلحية لبعض القيادات المحلية والسيادات الطرقية . مما أدى إلى بعثرة جهود الأمير الجهادية مصطدمة في كل لحظة إما بقوة جيش الإحتلال ،أوبتفضيل بعض القبائل تقديم الدعم للقوات الغازية ، خوفا من تراجع مكانتها الإجتماعية المهيمنة ،وعلى هذا الوتر لعبت الإدارة الإستعمارية الفرنسية،حيث أنها سعت مستخدمة كل الحيل في شراء بعض الذمم ، فتمكنت أحيانا من إختراق المنظومة الجهادية للأمير عبد القادر ، وزرع البلبلة والشكوك لخلق واقع مرتبك وملتبس يصعب معه تحديد الأولويات ،ويزيد من متاعب الأمير ، من خلال تجريده تدريجيا من تدفقات قوته التي تنامت مع بديه جهاده.

لم تعرف المنطقة ظهور قيادات عسكرية وازنة ،على غرار ماحدث في الغرب الجزائري كما هو الحال بالنسبة للأمير عبد القادر الذي ينتمي إلى الزاوية القادرية التي كانت تتمتع بسمعة طيبة بين القبائل .ولا كما هو الحال بالنسبة لزاوية أولاد سيدي الشيخ ذائعة الصيت،التي كان لها أتباع في مناطق مختلفة من الجزائر .والسبب يعود حسب رأينا إلى الضربة الموجعة التي تلقاها ابن الشريف الدرقاوي على يد الأتراك العثمانيين .ومن جهة أخرى ضعف وتنافس الزعامات الطرقية على إدارة الزوايا وإنغماسها في جمع الزيارة ،مما خلق مناخا يصعب معه فرز قيادات عسكرية مؤثرة .ومع ذلك ظهرت بعض القيادات المحلية التي حاولت أن تتزعم المقاومة كمحمد الغرنوق الذي حاصرته قوات الإحتلال وقضت عليه في جبل الناظور .وهناك محاولة مولاي أحمد بن المرابط عبد القادر بن الشريف الذي تولى قيادة المقاومة نيابة عن

الثائر بومعزة ، فألقي عليه القبض من طرق قوات الإحتلال التي حكمت عليه بالسجن لمدة عامين قضاها في فرنسا .

وكان مطلع سنة 1842 حاسما بالنسبة لقبائل فرنده، التي فاجأها الجنرال لاموريسيار في شهر فيفري، حيث تمكن من ضرب قبائل المنطقة بكل وحشية وأجبرها على الإستسلام والخضوع، ثم شرعت السلطات الفرنسية في تأسيس مركز تموين الحملات العسكري بفرنده، لمواصلة مجهوداتها الحربية في ملاحقة الأمير عبد القادر واتباعه، وبذلك تكون فرنسا قد حققت نجاحات كبيرة بعد أن دمرت عاصمة الأمير عبد القادر، وزرعت عيونها لها في المنطقة لمراقبة تحركات القبائل المتعاونة مع الأمير عبد القادر، وحرمته من الدعم الذي كان يتلقاه بإستمرار من قبائل المنطقة.

وعينت قيادات محلية أوكلت إليها مهمة بسط السيطرة الإستعمارية، على المناطق التي تم إخضاعها من خلال مراقبة تحركات القبائل وإجبارها على تقديم الضرائب والدعم اللوجستيكي للحملات العسكرية التوسعية في المناطق التي لم يتم إخضاعها بعد، فساد جومن الإعتقاد لدى كثير من القبائل، أن مشروع الأمير عبد القادر الرامي إلى تأسيس كيان عربي مستقل، بدأ يتلاشى، وأن القبائل التي كانت توفر مستلزمات الحرب قد أصابها كثير من التعب والإنهاك دون الحديث عن سياسة البطش والقمع اللامحدود الذي إستعمله الجنرال لاموريسيار ضد القبائل المتعاونة مع الأمير .

ومن جهة أخرى لقد ترسخت لدى قادة الإحتلال، إن سياسة الأرض المحروقة والإضطهاد الجماعي والإرهاب، وتشديد القبضة الأمنية أخذت تعطي أكلها، وبات الأمر تحت السيطرة. لكن هذه السياسة جاءت بنتائج عكسية، وبدأ الدم يغلي في عروق سكان المنطقة، ولم يبق لديهم شيئا يخسرونه، بعدما تعرضوا للقمع والنهب وسلب الممتلكات وباتت الأجواء تنذر بثورة عارمة. التي إنطلقت شرارتها الأولى من مدينة سيدي بلعباس في شهر جانفي 1845، والتي إستغلها الثائر بومعزة، الذي دعا الناس إلى الجهاد، فكان لها صدى لدى معظم قبائل منطقة تيارت، التي أعلنت عن إنضمامها ودعمها لها، ومن القبائل التي لبث نداء الجهاد

هي قبيلة بني مدين، التي تمكنت من نصب كمين للضابط لأكوت ومرافقيه، وقتلوهم جميعا ولم ينجو منهم سوى جندي واحد.

ويرى البعض أن فشل المقاومة الشعبية المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر، تعود في الأساس إلى إنعدام النظام، وغياب التنسيق بين القيادات العسكرية والزعامات المحلية، التي راحت تنتفض إلا عندما تشعرت بأن الخطر أصبح قريبا أو قاب قوسين منها، وواجه الأمير عبد القادر صعوبات كبيرة في توحيد جهود القبائل التي إختارت أحيانا الإنشغال بأمورها الداخلية، غير مكرثة بما يحدث في المناطق المجاورة لها. لكن سيف الإستعمار لم يتردد في إجبار الكل على الإستسلام والخضوع والطاعة. وبرهنت الأيام أن عملية الخضوع التي تمت تحت السيف لم تعمر طويلا، حيث إنتقضت معظم القبائل كلما وجدت إلى ذلك سبيلا والأمل يحدوها في التخلص من هذا الإستعمار البغيض. وإذا كانت سنة 1847 قد أعلنت عن نهاية الدولة الوطنية على يد الجيش الغازي، التي سخرها الأميركافية الإمكانيات فإن سنتي 1864، 1881 كشفت عن تأمر كثير من القيادات الأهلية وتعاونها مع الإستعمار.

وعند قيام ثورة أولاد سيد الشيخ، شاركت قوم الأحرار بزعامة الحاج قدور بن صحراوي في معركة حاسمة إتخذت من منطقة عوينات بوبكر مسرحا لها، فكانت مؤشرا على بداية إنضمام قبائل تيارت للثورة، وترك هذا الحادث صدى في كل جهات المنطقة حيث تم تنفيذ عمليات عسكرية جريئة دعما لثورة أولاد سيدي الشيخ، كما إنضمت بعض الزعامات المحلية ومنها من دعمتها سريرا خوفا من أن ينكشف أمرها، مما شجع زعيم ثورة أولاد سيد الشيخ على مهاجمة فرنده في شهر جويلية التي كانت تمثل مركزا مهما يعتمد عليه الجيش الفرنسي في الدعم اللوجستيكي. وتواصلت أعمال المقاومة التي إتخذت من شرق تيارت مركزا لها، في حين واصلت القوات الفرنسية أعمالها الإنتقامية ضد القبائل الموالية للثورة، ولما فشلت في قمعها لجأت إلى شن حرب إبادة ضد الأهالي وسلطت كل أنواع البطش والتتكيل، لكسراية مقاومة فكانت قبيلة أولاد سيدي منصور شرق السوقر مثالا حيا، على المجزرة التي إقترفتها فرنسا في حقها.

كان لثورة أولاد سيدي الشيخ وإنضمام قبيلة الأحرار لها، أثر كبير على السياسة الإستعمارية، التي رأت في هذا التحالف مصدر خطر على مستقبل الأمن والإستقرار في المنطقة، فسارعت فرنسا إلى إتخاذ تدابير احترازية، من شأنها تقليل خطر قبيلة الأحرار وذلك بتفكيكها عن طريق فصل مجموعة من القبائل فيها بضمها إلى قبيلة الأحرار الغرابة تحت سلطة سي أحمد ولد قاضي، مما شجع بعض الزعامات المحلية التي تنتمي لقبيلتي أولاد حدو وأولاد زيان الشراقة، على القيام بتحركات واسعة في المناطق المجاورة لها، دعما لثورة المرابط بوعمامة، وذلك بتحريض السكان على الإنضمام، وأسفرت هذه الأحداث عن مقتل الملازم وينبرونر مما تسبب في إندلاع الثورة في منطقة تيارت، وإنضمامها إلى ثورة بوعمامة. التي تلقت دعما من زعيم قبيلة الأحرار. الذي أتهم حينها الآغا الحاج قدور بن صحراوي بالتخلي عن فرنسا، وإنضمامه إلى معسكر الثورة. وإنتهت به الأحداث إلى الإعتقال.

كما لم ينجو غريمه سي أحمد ولد قاضي من المساءلة، حيث وجهت له إتهامات من بعض الأطراف الفرنسية، بضلوعه في دعم ثورة بوعمامة، ودافع هذا الأخير أمام مجلس وهران عن إخلاصه لفرنسا ودعمه لها. وإختتم مشواره السياسي بتقديم شكاوى للسلطات الفرنسية، أعرب فيها عن إستيائه العميق من المظالم التي ترتكب في حق بني جلدته وطالب بأن تعيد فرنسا النظر في سياستها المنتهجة ضد الجزائريين. محاولا ربما إستدراك مافاته عند شعربان فرنسا التي وظفته في عزطائه وبه تم التحكم في منطقة فرنده، تخلت عنه وإستغنت عن خدماته، وهذا ما دفعه إلى التحسر والندم معقبا على موقف فرنسا المتكرر للجميل بقوله: " إن هذا ماتشمنز منه النفوس وينكره العقل".

ومن جهة أخرى إنفجرت ثورة الجنوب الغربي بزعامة المرابط بوعمامة وشملت أجزاء واسعة من تراب منطقة تيارت، لكن غياب التنسيق وإخلاص بعض الزعامات القيادية المحلية لفرنسا، وإستعمالها كافة وسائل البطش والتتكيل بالسكان عجلت بتلاشي ثورة بوعمامة، التي كانت تعتبر من الإنتفاضات الكبيرة التي عرفتها منطقة الجنوب الغربي، وبنهايتها أوقفت مرحلة هامة من تاريخ المقاومة العسكرية المسلحة،

ونتمنى أن يكون هذا العمل المتواضع قد حقق الهدف الذي من أجله أنجز هذا البحث وأنه قد سلط الضوء ولو بالقدر القليل على التاريخ المحلي لمنطقة تيارت، خاصة فيما يتعلق بالفترة الإستعمارية ومارافقها من ردور فعل من سكان المنطقة، كتعبير منهم عن رفضهم للإستعمارأسوة بباقي سكان المناطق الأخرى، الذين رفعوا راية الجهاد ضد الإحتلال وأذنا به. ولاندعي أن ماقمنا به قد ألم بكل جوانب الموضوع، ويبقى الموضوع مفتوحا أمام المزيد من البحث والدراسة في إستجلاء كثير من الخبايا، فالبحث العلمي عبارة عن حلقات متواصلة ومترابطة فيما بينها لايمكن الإدعاء مهما كان إقفال مواضيع البحث فيها.

الملاحق

الملحق رقم 1: مساهمة قبائل الأحرار وأولاد خليف في إنتاج الشعير والقمح مما جعل قبيلة الأحرار عرضة للسلب والنهب من طرف جيش الاحتلال.

DÉSIGNATION DES GROUPES	NOMS DES TRIBUS	Évaluation des récoltes Année moyenne		OBSERVATIONS
		en blé	en orge	
		quintaux	quintaux	
Ancienne confédération des Harras	O ^d Sidi-Khal ^d Cheragas .	1.600	3.100	Chartres culti- vées en 1901 : 1.440, ce qui à raison de 10 ^h en moyenne = 14.400 ^h labourés en 1901.
	O ^d Zouai	1.200	2.400	
	O ^d Bou-Allif	450	250	
	Kaabra	650	1.300	
	Chaouia	350	650	
	O ^d Bel-Hoceïn	420	800	
	O ^d Zian-Cheragas	200	400	
	O ^d Zian-Gharabas	650	1.300	
	O ^d Haddou	400	800	
	Dehalsa	550	1.100	
M'Rabtin Gharabas	250	500		
O ^d Azziz	1.300	2.500		
Ancienne confédération des Oulad Krelif	O ^d Bou-Renan	1.400	2.700	
	O ^d Kharonbis	1.500	3.000	
	Sahari-Cheraga	1.100	2.200	
	Guenadza	500	950	
	Marzhen	40	100	
		12.260	24.050	

Fabre: Monographie de la commune indigène de Tiaret -Aflou« B. S. G. A. R ». P267.

الملحق رقم 2: يوضح الثروة الحيوانية لقبيلة الأحرار الشراقة والغرابة وقبيلة أولاد خليف

Désignation des Groupes	Noms des Tribus	Chameaux	Bœufs	Moutons	Chevres	Mulets	Chevaux	nes	Totaux
Harrar Cheraga	OuledSidi-Khaled	2 ,700	2 ,030	87 ,100	4,500	7	448	811	97 ,896
	OuledZoui	1,370	820	39,400	4,200	2	215	288	46,295
	Ouled Bou-afif	380	120	9900	1,050		77	80	11,607
	Kaabra	870	180	19,300	1559	1	141	237	22,282
	Chaouia	720	320	18,900	1,950		93	320	22,308
	Ouled Bel – Hocein	810	360	19,200	1250	6	166	273	22,015
	OuledAzziz	1,170	1,170	24,700	2,90 0	6	211	271	30,731
	Ouled Zian-cheraga	950	300	17,100	1,450		100	241	20,411
Harrar Ghrabas	Ouled Zian-Ghrabas	1,020	100	21,750	1,350	18	228	355	24,821
	Ouled Haddou	720	330	20,500	1000		78	115	22,743
	Dhalssa	450	150	19,800	1390	7	121	221	22,139
	M'rabtin Ghrabas	600	70	14,000	970	10	77	186	15,903
	Ouled Bourenan	770	1,120	12700	6,100		270	253	51,793
Ouled Khlif	Ouled Kharoubi	1,440	1,700	53,100	7,100	7	288	330	63,973
	Sahari Cheraga	310	260	35,000	1,050		220	520	37,360
	Guenadza	80	170	5,100	1,800	2	59	92	7,603
	Makhzen	720	110	10,000	320	7	38	32	11,227
-----		15,380	9,300	458,450	39,920	81	2,838	5,078	531,137

Fabre : Monographie de la commune indigène de Tiaret -Aflou« B. S. G. A. R ». P264.

الملحق 3: قبائل الأحرار الخاضعة للأمير عبد القادر لاتزوده بالفرسان أثناء الحرب.

NOMS DES TRIBUS		FORCES	
		à pied	à cheval
<i>Report</i>		1.630	2.480
Djafras (suite)	Etaaleb	30	70
	Alara... ..	40	60
	Oulad Aly ben Amet.....	60	70
	El Mahamide	40	70
	Touaâma	40	60
	Ourdjate.....	30	80
	Loubâyba.....	50	100
Désert Hârrare	Oulad Sidi Yâya.	40	60
	Elzouadi.....	»	300
	El Dyssa	»	100
	Phtala.	»	70
	Oulad Ziane (1).....	»	200
		1.960	4.720

Ces quatre dernières tribus de l'Hârrare sont les seules qui soient véritablement soumises à l'Emir, qui nomme leurs chefs ; mais elles ne lui fournissent aucun cavalier eu temps de guerre.

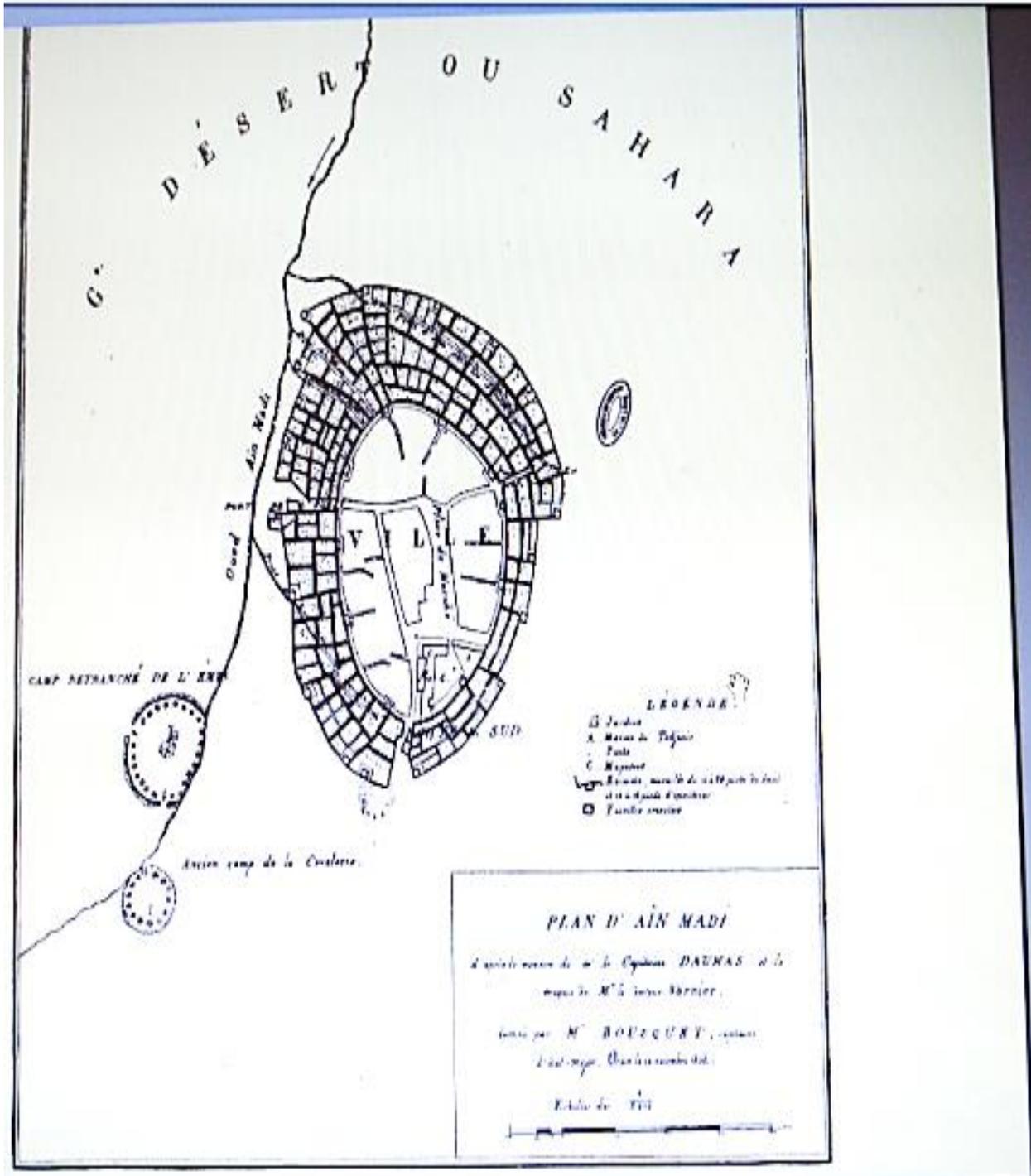
Correspondance Capitaine Daumas Consul à Mascara (1837-1839) par Georges Yver. Alger 1912. P588.

الملحق 4: قبائل الأحرار تدفع الضرائب للأمير عبد القادر ولا تزوده بالفرسان أثناء الحرب.

NOMS DES TRIBUS		à pied	à cheval
Report.....		440	1.450
Oulad Benain (1).....		50	50
Akerma (2).....		60	70
El Boussera (3).....		40	60
Oulad ben Aaïan (4).....		40	80
Beni Median (5).....		50	130
Oulad Haradje (6).....		30	70
Alouya (7).....		40	100
Kerayche.....		60	100
Groselya.....		40	70
Beni-Lent.....		50	200
El-Mahazem (8).....		30	100
Oulad Hallail.....		40	100
Oulad bou Seliman (9).....		70	30
El Outda.....		40	»
Etahleb.....		80	»
Beni Messalem.....		50	200
Beni Ouragr.....		100	300
Beni Méida (10).....		40	80
Oulad Ayade (11).....		40	90
Oulad Yaya.....		40	60
Lehaumdor (12).....		60	20
Beni Bouqraled.....		60	»
Beni Tigrin (13).....		50	100
Oulad Qrelit (14).....		»	260
Désert. Hârrare	Oulad Ziane (15).....	»	200
	Oulad ben Haouar.....	»	200
	Kaâbra (16).....	»	200
		1.400	4.340

Ces quatre dernières tribus du désert payent l'impôt, mais ne fournissent aucun cavalier à l'Emir en temps de guerre

الملحق 5: مخطط لعين ماضي التي حاصرها الأمير عبد القادر بمساعدة قبائل الأحرار.



CORRESPONDANCE DU CAPITAINE DAUMAS CONSUL À MASCARA(1837-1839)PAR GEORG YVER ALGER 1912. P662.

الملحق 6: تعداد القوات التي تم حشدتها بقيادة العقيد جيرى (GERY) لمحاصرة ثوار صدامة 1845 بالقرب من سيبية.

10 Nov - Départ à 6 heures - arrivée à 9 heures - l'air -
 bon - le jour à la nuit. L'ennemi avait été
 repoussé vers le sud. Le Colonel Gery commandait le détachement.
 Il fut suivi le lendemain par un grand nombre
 de hommes à l'ambulance.

Situation au 10 Nov

Designation en capit ou fraction	Nombre en spécial 6 ^h 30 ^h	Effectif			
		hommes		chevaux mulets	
		fran	alg	fran	alg
44 ^e de ligne	2 ^e bataillon	6	161	5	0
"	1 ^e bataillon	9	261	8	0
31 ^e " "	1 ^e " "	11	320	19	0
8 ^e division d'infanterie	1 ^e bataillon	12	311	21	214
9 ^e division	2 ^e " "	14	378	16	149
artillerie	1 ^e bataillon	1	25	1	15
caisson	1 ^e " "	1	70	2	73
ambulance		2	17	4	0
service de troupe		1	6	1	0
Etat-major	officiers	1	0	6	0
	sous-officiers	1	0	3	0
	capitaines	1	0	3	0
	conducteurs	1	0	1	0
Total		62	1421	111	432

7H24 :CHEFS INDIGÈNES EN ORANIE.

جدول توضيحي للملحق رقم 6 .

DÉSIGNATION DES CORPS OU FRACTIONS	NOMBRE DE BATAILLONS	IFICTIVE			
		OFFICIERS	TROUPES	OFFICIERS	TROUPES
44ÈME DE LIGNE		6	162	5	-
4ÈME DE LIGNE	1BATAILLON	9	362	8	-
32 ÈME DE LIGNE		11	320	19	-
4ÈME CHASSEURS D'AFRIQUE	2 ESCADRONS	12	222	22	215
9ÈME CHASSEURS	3 ESCADRONS	14	234	26	249
ARTILLERIE	1 SECTION	1	25	1	15
TRAIN	1 COMPAGNIE	1	78	2	73
AMBULANCE	3	12	4	-
SERVICE DE VIVRES	1	6	1	-
	GÉNÉRAUX	1	6	
	COMMANDANTS	1	3	
	CAPITAINES	1	3	
	LIEUTENANTS	1	1	
TOTAUX		62	1421	101	552

7H24 :CHEFS INDIGÈNES EN ORANIE.

نسخة توضيحية للملحق رقم 7 .

LE GÉNÉRAL COMMANDANT LA DIVISION QUI ,APRÈS L'ATTAQUE DE FRENDA ,AVAIT RENFORCÉ CE POSTE DU 12ÈME DE LIGNE DE TIARET , PRIT DES DISPOSITIONS PLUS EFFICACES POUR FERMER À L'ENNEMI L'ACCÈS DU TELL.

LE GÉNÉRAL MARTINEAU REÇUT L'ORDRE DE PARTIR AVEC UNE COLONNE AINSI COMPOSÉE DE :

- 1 BATAILLON DU 67ÈME DE LIGNE ,
- 1 BATAILLON DE MARCHÉ FORMÉ DE TROIS COMPAGNIES DE ZOUAVES ,ET TROIS COMPAGNIES DE TIRAILLEURS ,
- 2 ESCADRONS DU 2ÈME DE CHASSEURS D'AFRIQUE (COMMANDANT BOUNOUST) ,
- 1 SECTION D'ARTILLERIE(LIEUTENANT PIRAUT) .

LA COLONNE DEVAIT ÊTRE APPUYÉE EN CAS DE BESOIN PAR UNE AUTRE COLONNE AUX ORDRES DU LIEUTENANT COLONEL DE COLOMB PLACÉE À BOUNOUAL (TAKHMARET) ET FORMÉE DE :

- 3 COMPAGNIES DE ZOUAVES ,
- 1 BATAILLON DE TIRAILLEURS ,
- 1 ESCADRON DE CHASSEURS D'AFRIQUE ,
- 1 SECTION D'ARTILLERIE.

LE COLONEL LAPASSET VINT SE PLACER À DJILALI BEN AMAR AVEC UNE COLONNE DE :

- 5 COMPAGNIES DU 6ÈME DE LIGNE ,
- 1 BATAILLON DU 82ÈME DE LIGNE ,
- 1 ESCADRON DU 11ÈME DE CHASSEURS D'AFRIQUE ,
- 1 SECTION D'ARTILLERIE .

IL Y JETA 15000 RATIONS DE VIVRES ET SE PORTA SUR LE PLATEAU DE MÉDRISSA POUR SURVEILLER LE TERRAIN ENTRE TIARET ET FRENDA

GR1H230BIS(S. H. D). JOURNAL DE MARCHÉ ET DES OPÉRATIONS MILITAIRES DU 1ER SEPTEMBRE AU 10 OCTOBRE 1864.

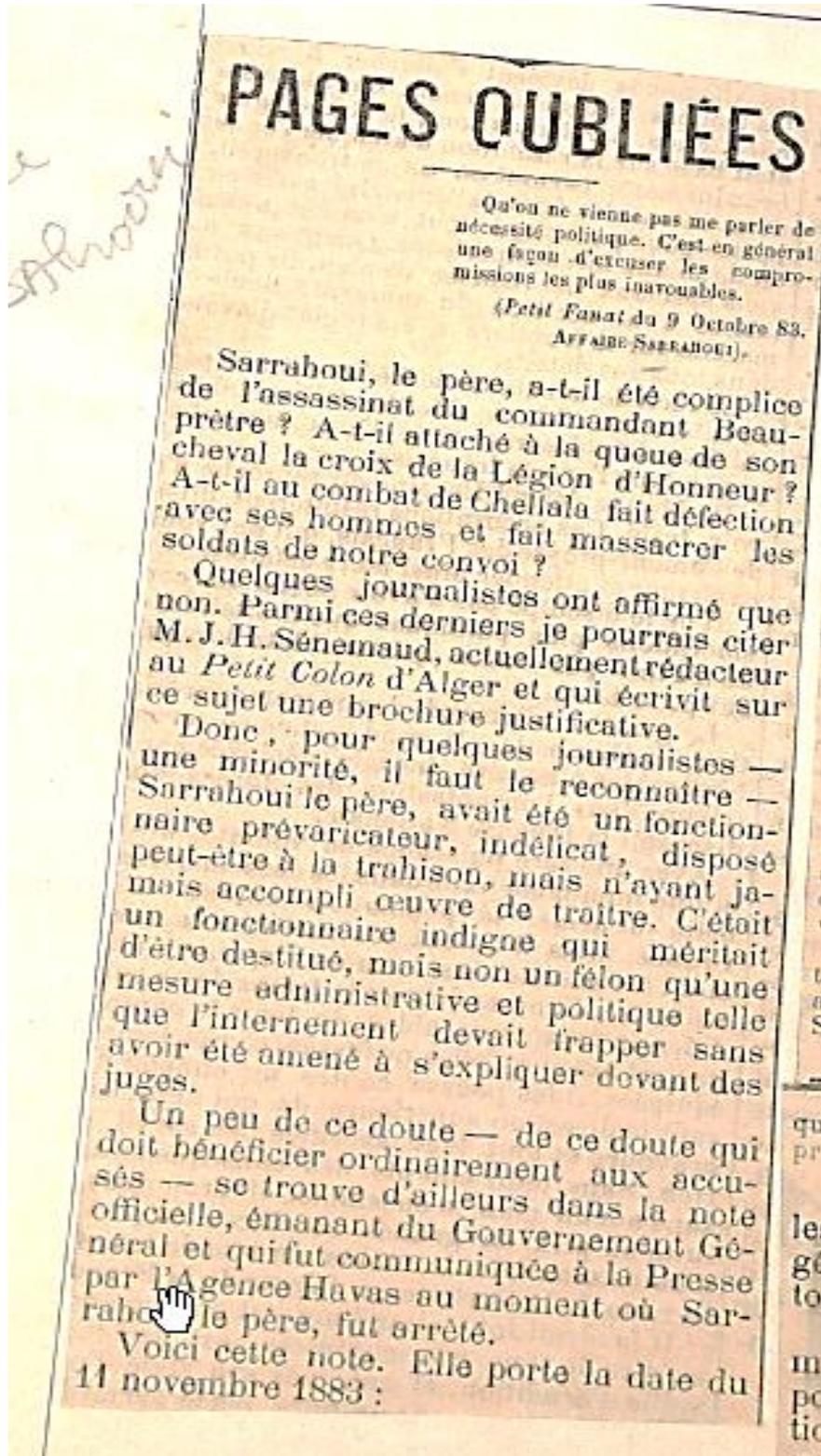
الملحق رقم 8: إحصاء عام للضرائب سنة 1863 المفروضة على القبائل الثائرة في سنة

1864

العشور	الزكاة	القبائل	تيارت
18716	34972	أولاد سيدي خالد	الأحرار
9299	21019	أولاد زيان الغرابية	
9398	24915	أولاد زيان الشراقة	
3797	10535	الكعابرة	
8835	21373	أولاد زوي	
3720	6591	مرابطين الغرابية	
5084	6790	الدهالسة	
7034	8810	الغوادي	
8099	15158	أولاد عزيز	
4104	12712	الشاوية	
3139	6210	أولاد بوعفيف	
4391	8603	أولاد بلحسين	

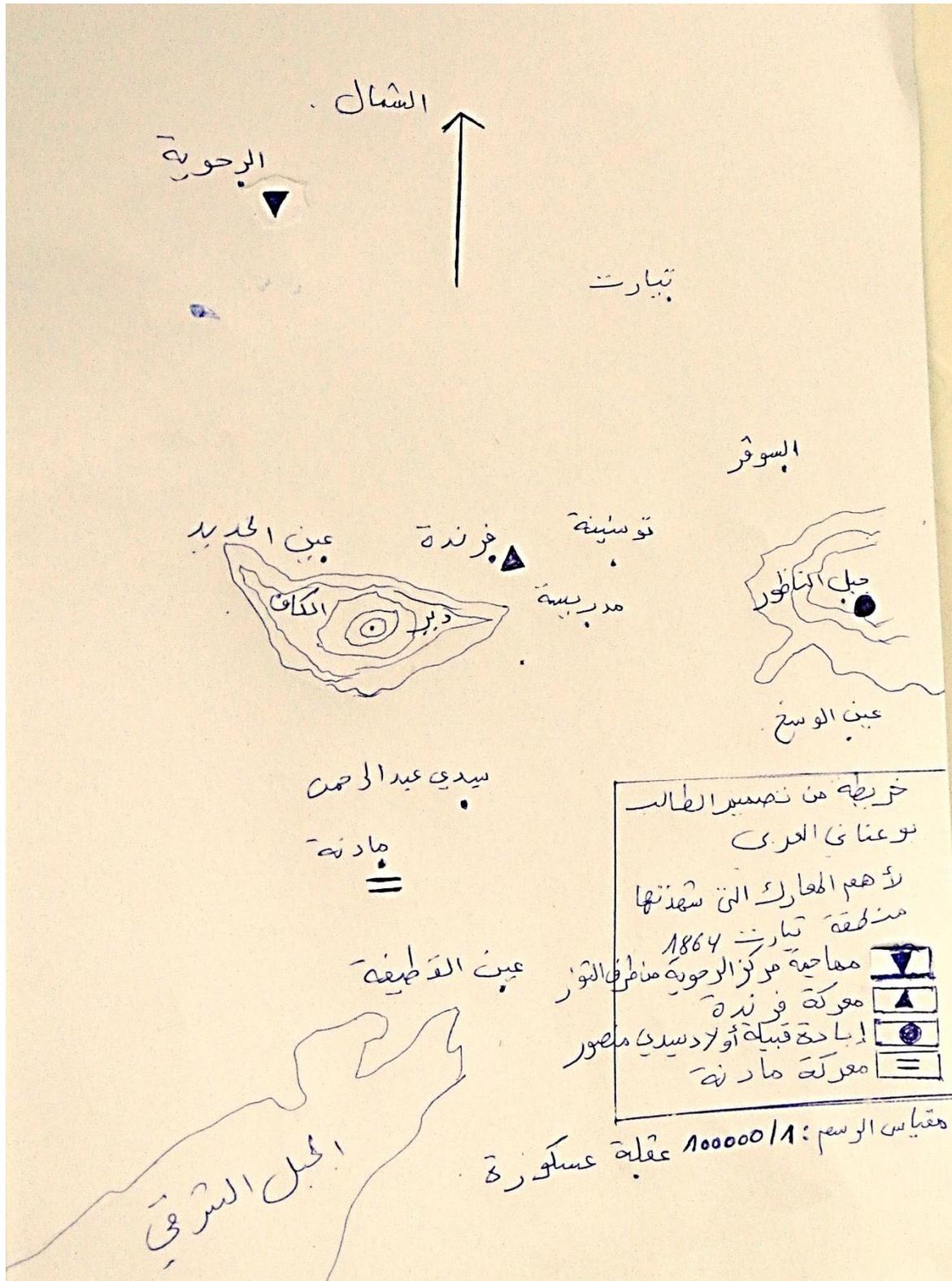
A.N.O. M. 2H52GGA.

الملحق رقم 9: يوضح قيام الحاج قدور بن صحراوي بوضع وسام الشرف الذي منحته إياه فرنسا على ذيل حصانه وإتهامه بالظلوع في مقتل بوبراتر.



7H24 (A. N. O. M)

الملحق رقم 10: يوضح أهم المعارك التي وقعت في منطقة تيارت



من تصميم الطالب بوعداني.

Elle s'adresse également à tout ceux qui ont
 ce bon sens facile de notre famille et qui
 ont le goût de nos lois les plus sages
 à la totalité des Arabes, Bédouins, Juifs,
 nos voisins les Libanais, les Kachas, les
 Bédouins, les Bédouins, les Bédouins, les Bédouins
 et tout cela ensemble et à quiconque est
 unie avec nous. — Que Dieu vous garde
 qu'il soit accordé dans la voie de la
 et de la justice et vous accorde toujours
 la justice.

Que le sultan de Rome soit une œuvre
 faite de la justice, de la justice
 et de la justice.

Et maintenant, cachez ce que vous
 voulez nous en dire. — Nous ne
 pouvons faire savoir la vérité de ce que
 vous nous avez dit (le sultan) qui est
 digne de votre confiance.

Comment, en effet, est-ce possible,

amantant sans aucun paiement et l'absence
 ou de faillite devant l'aspect de la situation
 qui a fini les revenus de Rome et de son
 empire, occupant dans l'ignorance et
 pendant dans l'affliction !

Mais non, (vous ne vous obtenez point)
 Tous ils en état de faire avec succès la guerre
 sainte -

Tous ils ont promis et votre bravoure
 est connue - D'ailleurs, en restant unie, je
 vous en aurais encore besoin à financer
 la guerre en nous avons appelé à comparaître
 devant le tribunal de Dieu -

Le honneur que j'attends pour vous
 la Mehad est arrivé conformément à
 vos desirs - Tous ne sont venus
 au très haut, et qu'il vous permette de
 songer à une manière solitaire votre force
 qui a conduit dans l'attente de la foi, Le
 Sultan de Rome Peter - l'il plat à Rome

vous infligeront aux méchants un châtiment
 beaucoup plus sévère que celui que nous leur
 avons fait éprouver hier.

Dieu a dit : aidez-vous mutuellement
 à pratiquer le bien et la justice. (Coran, chap.
 V - verset 31.)

C'est par ordre du sultan, par la
 grâce du Dieu Si. Mohamed ben Hanqa
 et de son oncle Si El Sale ben ben Pacha
 que Dieu le protège.

Erzincan, le 19 avril 1844.

Pour transmission uniforme
 Le chef & le commandant de l'armée
 Signé *Abdullah*

. نسخة توضيحية للملحق رقم 11 .

TRADUCTION D'UNE LETTRE ADRESSÉE LE LENDEMAIN DE L'AFFAIRE AOUINNET BOUBEKER, PAR SI MOHAMED BEN HAMZA À EL HADJ KADOUR BEN SAHRAOUI (DES OULED SIDI KHALED).

LOUANGE AU DIEU UNIQUE ,QUE DIEU RÉPANDE SES GRACES SUR NOTRE SEIGNEUR MOHAMED ET SUR SA FAMILLE.

1ER CACHET AYANT POUR LÉGENDE ABOU- BAKER BEN ELARBI BEN NAIMILE CACHET AYANT POUR LÉGENDE SI LALA BEN ABOU BAKER.

QUE DIEU LUI ACCORDE SES FAVEURS 1 L'AN 1246 DE L'HÉGIRE. AGHA D'OUARGLA.

CETTE LETTRES'ADRESSE À CELUI DONT LA FAMILLE DU QUEL ONT TOUJOURS RÉSIDÉ LES BÉNÉDICTIONS DIVINES À CELUI DONT LES PAROLES SONT INSPIRÉES PAR LA SAGESSE ET LA RAISON , À NOTRE COUSIN MATERNEL EL HADJ KADOUR FILS DE L'HOMME BÉNI DE DIEU FEU EL HADJ SAHRAOUI.

ELLE S'ADRESSE ÉGALEMENT À TOUS CEUX QUI ONT ÉTÉ LES AMIS FIDÈLES DE NOTRE FAMILLE ,ET QUI SONT L'OBJET DE NOS DÉSIRES ,ET À LA TOTALITÉ DES HARRARS ,DES OULED ZIANE, À NOS SERVITEURS LES CHAOUIA ,LES KAABRA ,LES OULED BEN MANSOUR ,LES OULED BOUAFIF,À TOUT NOTRE ENTOURAGE,ET À QUICONQUE EST CAMPÉ AVEC NOUS , QUE DIEU NOUS GARDE ,QU'IL VOUS CONDUISE DANS LA VOIE DU BIEN ET DE LA VICTOIRE ET NOUS ACCORDE TOUJOURS SA PROTECTION.

QUE TOUT LE SALUT DE DIEU SOIT SUR NOUS ACCOMPAGNÉ DE SA MISÉRICORDE, DE SES BÉNÉDICTIONS ET DE SES GRACES.

ET MAINTENANT ,SACHEZ QU'UN DEVOIR RIGoureux NOUS INCOMBE ,IL NOUS FAIT ENSEMBLE REVIVRE LA SOUNNA DU PROPHÈTE (SUR QUI SOIENT LA PAIX ET LE SALUT) , QUI S'EST ÉTEINTE AU CONTACT DES INFIDÈLES.

COMMENT EN EFFET RESTERIONS- NOUS IMPASSIBLES, COMMENT NOS COEURS POURRAIENT- ILS TOMBER EN DÉFAILLANCE DEVANT LE SPECTACLE DES MUSULMANS QUI AUPRÈS DES ENNEMIS DE DIEU ,DE SON ENVOYÉ ,CROUPISSENT DANS L'ÉGAREMENT ET GÉMISSENT DANS L'AFFLICTION.

MAIS NON (VOUS NE VOUS ABSTINEZ POINT) VOUS ETES EN ÉTAT DE FAIRE AVEC SUCCÈS LA GUERRE SAINTE.

VOUS ETES BIEN ARMÉS ET NOTRE BRAVOURE EST COMME D’AILLEURS, EN RESTANT INACTIFS , NOUS N’AURIONS AUCUNE EXCUSE À PRODUIRE LE JOUR OU NOUS SERONS APPELÉS À COMPARAITRE DEVANT LE TRIBUNAL DE DIEU.

L’HEURE QUE J’ATTENDAIS POUR OUVRIR LE DJIHAD EST ARRIVÉE, CONFORMÉMENT À MES DEVOIR. GRACES EN SOIENT RENDUES AU TRÈS HAUT ET QU’IL NOUS PERMETTE DE VENGER D’UNE MANIÈRE ÉCLATANTE NOTRE FRÈRE QUI A COMBATTU DANS LE SENTIER DE LA FOI ,SI SLIMAN BEN ABOU BEKER. S’IL PLAÎT À DIEU NOUS INFLIGERONS AUX MÉCRÉANTS UN CHATIMENT BEAUCOUP PLUS RUDE QUE CELUI QUE NOUS LEUR AVONS FAIT ÉPROUVER HIER.

DIEU A DIT : « AIDEZ – VOUS MUTUELLEMENT À PRATIQUER LE BIEN ET LA PIÉTÉ. » (CORAN – CHAP. 5 ,VERSET 3).

ECRIT PAR ORDRE DU VICTORIEUX, PAR LA GRACE DE DIEU ,SI MOHAMED BEN HAMZA ET DE SON ONCLE SI EL LALA BEN BOUBEKER QUE DIEU LE PROTÈGE.

CE CACHET VIENT DU PÈRE DE SI HAMZA NOTRE ANCIEN KHALIFA – SI MOHAMED EN EST AUJOURD’HUI DÉPOSITAIRE EN SA QUALITÉ DE REPRÉSENTANT DE LA FAMILLE.

FRENDIA, LE 29 AVRIL 1864

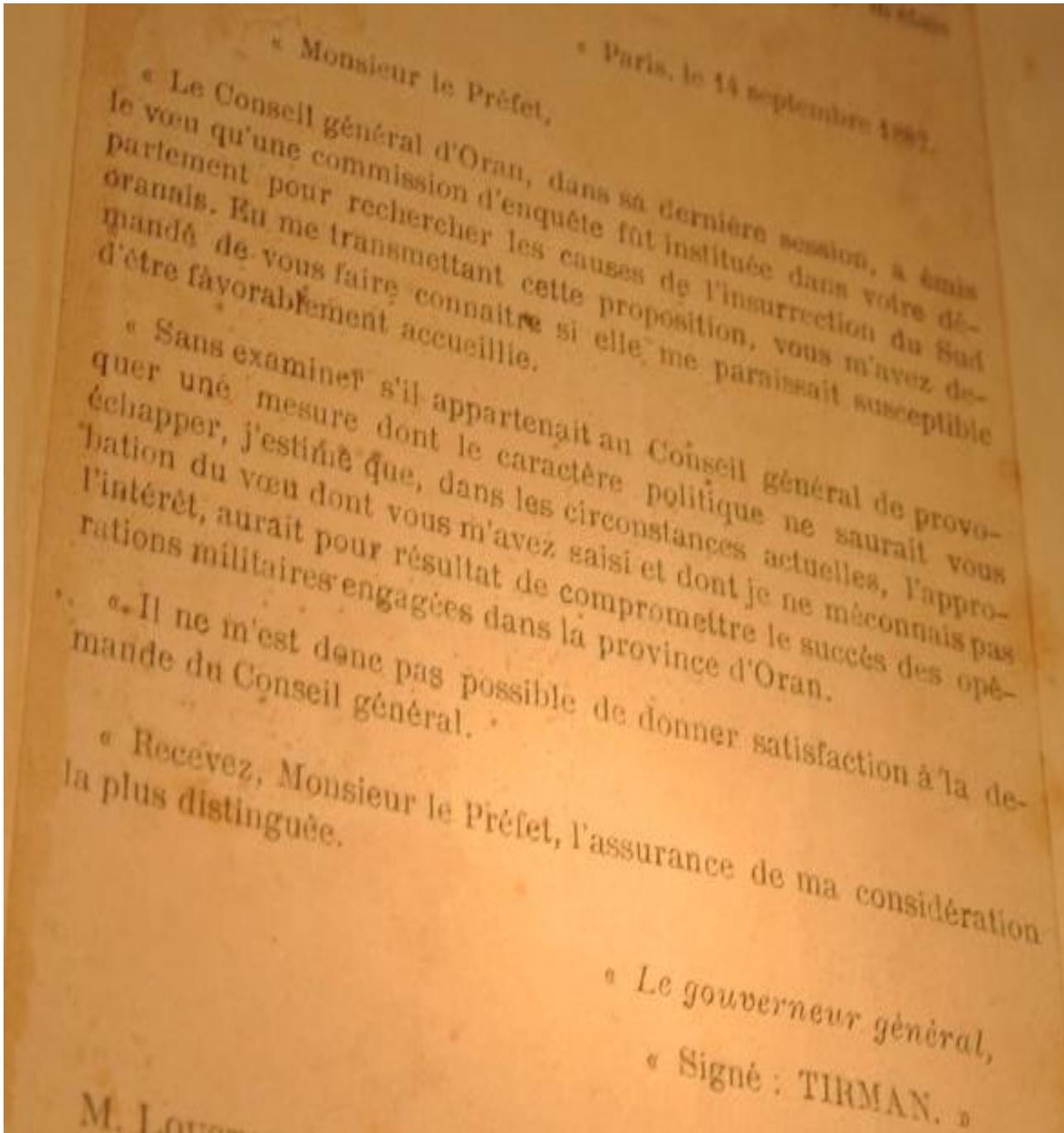
POUR TRADUCTION CONFORME.

LE CHEF D’ESCADRON, DIRECTEUR GÉNÉRAL DES AFFAIRES ARABES.

SIGNÉ : BASTINGUE.

GR1H 230 BIS- (S. H. D) SERVICE HISTORIQUE DE LA DÉFENCE ,CHATEAUX DE VINCENNES. PARIS.

الملحق رقم 12 : يوضح قيام مجلس وهران العام بتشكيل لجنة للتحقيق في أسباب قيام ثورة بوعمامة 1881. بطلب من الحاكم العام الجنرال تيرمان.



7H24 (A. N. O. M.)

نسخة توضيحية للملحق رقم 12.

PARIS ,LE 14 SEPTEMBRE 1882.

MONSIEUR LE PRÉFET ,

LE CONSEIL GÉNÉRAL D'ORAN ,DANS SA DERNIÈRE SESSION ,A ÉMIS LE VŒU QU'UNE COMMISSION D'ENQUETE FUT INSTITUÉE DANS VOTRE DÉPARTEMENT POUR RECHERCHER LES CAUSES DEL'INSURRECTION DU SUD ORANAIS. EN ME TRANSMETTANT CETTE PROPOSITION,VOUS M'AVEZ DEMANDÉ DE FAIRE CONNAITRE SI ELLE ME PARAISSAIT D'ETRE FAVORABLEMENT ACCUILLIE SANS EXAMINER S'IL APPARTENAIT AU CONSEILGÉNÉRAL DE PROVOQUER UNE MESURE DONT LE CARACTÈRE POLITIQUE NE SAURAIT VOUS ÉCHAPPER. J'ESTIME QUE,DANS LES CIRCONSTANCES ACTUELLES, L'APPROBATIONDU VŒU DONT VOUS M'AVEZ SAISI ET DONT JE NE MÉCONNAISSAIS PAS L'INTÉRÊT , AURAIT POUR RÉSULTAT DE COMPROMETTRE LE SUCCÈS DES OPÉRATIONS MILITAIRES ENGAGÉES DANS LA PROVINCE D'ORAN. IL NE M'EST DONC PASPOSSIBLE DE DONNER SATISFACTION À LA DEMANDE DU CONSEIL GÉNÉRAL

RECEVEZ,MONSIEUR LE PRÉFET,L'ASSURANCE DE MA CONSIDÉRATION LA PLUS DISTINGUÉE.

LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL.

SIGNÉ : TIRMAN.

7H24 (A. N. O. M.)

الملحق رقم 13: ملخص ماتم جمعه من معلومات حول مساهمة الحاج قدور بن صحرابي

في ثورة أولاد سيدي الشيخ وبوعمامة. وبناءا عليها تم إعتقاله.

J'ai passé en revue la vie et les œuvres
de l'ayha El Hadj Kaddour ben Sahraoui.
Au cours de cette vaste étude j'ai
Suis efforcé de rester en dehors des influences
hostiles et passionnées qui existent à son
endroit; je n'ai tenu compte ni des passions
aveugles de l'opinion publique, ni des
demandes d'enquêtes contre lui qui se
sont produites au sein du Conseil Général
d'Oran, ni de celle que des conseillers
municipaux de Tiaret ont adressée
sur place le 15 Février dernier à Monsieur
le Gouverneur Général.
Ne m'appuyant que sur des faits,
et ne m'inspirant que des appréciations
des autorités locales et des miennes propres,
j'ai acquis après un an environ d'examen,
une conviction que mon rapport a
pour but de faire partager à l'autorité
Supérieure.

Traître en 1864, El Hadj Badou
 ben Sahouani a eu une attitude doutante
 au mois de Juin 1869. En 1870, ses
propres et ses allures ont donné de
l'inquiétude. En 1879, il a
 volontairement jété le trouble dans
 son camp, pour servir ses intérêts personnels.
Traître en 1881, il a préparé et dirigé
l'insurrection. En 1882, il s'est efforcé
d'entraver la reconstitution
politique du Sud-Oranais.

En tout temps il est incertain
subissant, indiscipliné, enclin aux abus
 les plus excessifs, intolérable et hostile
 à notre domination.

D'une intelligence supérieure,
 d'une influence considérable, mais
 malheureusement secondé par une
combinaison de nos fautes et de
événements que nous avons beaucoup
 plus subis que dirigés, est apparu
 à tout expliqué en vue d'organiser
Souvent contre nous le désordre

et de se faire un marché pied
 à l'heure présente, il ourdit
nécessairement une nouvelle
machination, en vue du
renversement de l'édifice
politique que le Gouvernement a
 réussi à élever sur les ruines de 1881.

Dans son horreur nécessaire des
 situations tranquilles, El Hadj
 Kaddour est logique, car il a à
 craindre des révélations compromettantes
 et une diminution d'influence dans
 le Sud.

Ce chef indigène sera toujours
 un obstacle et un danger pour la
 tranquillité dans le Sud. Je considère
 son maintien au milieu et à proximité
 des populations aussi impressionnables
 que les nomades, comme une garantie
 et explosion soudaine à un moment
 donné, ce serait la troisième; et il y
 aurait grave imprudence à oublier
 qu'en 1864, comme en 1881, nous
 avons été surpris non par les symptômes,
 mais par l'accident.

Des bruits de guerre prochaine
 en Europe sont dans l'air. Le sort
 de la sécurité de la Colonie, pour laquelle
 El Hadj Haddou est une menace
 constante, impose, à mon avis, une
 mesure prompte et énergique. J'aurais
 l'heure venue de commettre, par son
 internement et celui de ses fils,
 un acte d'autorité qui fasse que dans
 le Sud nous soyons nous-mêmes
 sans atténuation.

Si j'avais pu fournir des preuves
d'ordre judiciaire, le Conseil de Guerre
 n'eût en aucun jugement trop rigoureux.
 Mais j'espère avoir donné des preuves
morales se rattachant à un intérêt
capital d'ordre politique et
même administratif.

Le droit à l'internement n'est pas basé
 sur d'autres considérations, et j'estime qu'il
 en aura été fait bien rarement une application
 plus utile et plus salutaire.

Oran le 20 octobre 1883
 Le Général de Division Comm. la Division.

O. Roumey

نسخة توضيحية للملحق رقم 13.

J'ai passé en revue la vie et les œuvres de l'agha El Hadj Kadour Ben Sahraoui. Au cours de cette vaste étude , je me suis forcé de rester en dehors des influences hostiles et passionnées qui existent à son endroit ; je n'ai tenu compte ni des pressions aveugles de l'opinion publique ,ni des demandes d'enquete contre lui qui se sont produites au sein du conseil général d'Oran, ni de celle que des conseillers municipaux de Tiaret ont adressée sur place le 15 février dernier à monsieur le gouverneur général.

Ne m'appuyant que sur des faits,et ne m'inspirant que des appréciations des autorités locales et des miennes propres ,j'ai acquis après un an environ d'examen une conviction que mon rapport a pour but de faire partager à l'autorité supérieure.

Je me résume :

Traître en 1864,El Hadj Kadour Ben Sahraoui a eu une attitude douteuse au mois de février 1869. En 1874,ses propos et ses allures ont donné de l'inquiétude. En1879,il a volontairement jeté le trouble dans son aghalik ,pour servir son intérêt personnel. Traître en 1881,il a préparé et dirigé l'insurrection.

En 1882 il s'est efforcé d'entraver la reconstitution politique du sud oranais.

En tout temps, il s'est montré intrigant ,indiscipliné ,enclin aux abus les plus excessifs, insatiable et hostile à notre domination.

D'une intelligence supérieure ,d'une influence considérable secondée par une combinaison de nos fautes et des événements que nous avons beaucoup plus subis que dirigés ,cet agha a tout exploité en vue d'organiser souvent contre nous le désordre et de s'en faire marchepied. A l'heure présente,il ourdit nécessairement une nouvelle machination ,en vue du renversement de l'édifice politique que le gouvernement a réussi à élever sur les ruines de1881

Dans son horreur nécessaire des situations tranquilles ,El Hadj Kadour est logique ,car il a à craindre des révélations compromettantes et une diminution d'influence dans le sud.

Ce chef indigène sera toujours un obstacle et un danger pour la tranquillité dans le sud. Je considère son maintien au milieu et à proximité des populations, aussi impressionnable que les nomades, comme une garantie d'explosion soudaine à un moment donné. Ce serait la troisième ,et il y aurait grave imprudence à oublier qu'en 1864, comme en 1881, nous avons été surpris non par les symptômes mais par l'accident. Des bruits de guerre prochaine en Europe sont dans l'air. Le service de la colonie, pour laquelle El Hadj Kadour est une menace constante, impose à mon avis une mesure prompte et énergique. Je crois l'heure venue de commettre ,par son internement et celui de ses fils, un acte d'autorité qui fasse que dans le sud nous soyons nous même sans atténuation.

Si j'avais pu fournir des preuves d'ordre judiciaire ,le conseil de guerre n'eut aucun jugement trop rigoureux. Mais j'espère avoir donné des preuves morales se rattachant à un intérêt capital d'ordre politique et même administratif.

Le droit à l'internement n'est pas basé sur d'autres considérations, et j'estime

qu'il en aura été fait bien rarement une application plus utile et plus salubre.

Oran, le 20 octobre 1883.

Le Général de division commandant la division.

7H24 A. N. O. M

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً- باللغة العربية :

1-المصادر :

1. ابن أبي زرع أبو الحسن الفاسي :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دارالمنصور للطباعة والوراقة -الرباط 1972.
2. ابن الصغير:أخبارالأئمة الرستميين، تح :محمد ناصروابراهيم بحاز، بيروت، دارالغرب الإسلامي، 1986
3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : العبروديون المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دارالفكر للطباعة والنشر، ج4، بيروت، لبنان، 2000م
- العبروديون المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دارالفكر للطباعة والنشر، ج6، بيروت، لبنان، 2000م
- العبروديون المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دارالفكر للطباعة والنشر، ج7، بيروت، لبنان، 2000م
4. أبو بكر بن علي المكنى بالبيدق:أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية دار المنصورللطباعة والوراقة - الرباط، 1971، ص، 19.
5. أبو زكريا بن أبي بكر:كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م
6. اسكوت (الكلونيل):مذكرة الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر، 1981، ص ص، 88 - 89.
7. الأغا المزاري بن عودة :طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق يحي بوعزيزج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

8. برونو إتيين :عبد القادر الجزائري، ترجمة المهندس ميشال الخوري، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر، 2001.
9. البكري أبو عبد الله :المسالك والممالك، حققه :جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 / 2003 م،
10. بيلمار أليكس :الأمير عبد القادرحياته السياسية والعسكرية، ترجمة الأستاذ بشير عليه، تقديم وتعليق، محرز أمين، دار ألف للنشر والتوزيع، 2013،
11. الحاج مصطفى بن التهامي :سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق د بوعزيز يحي، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009
12. الداعي إدريس عماد الدين :تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1985
13. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد : (ت حوالي 670هـ) : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م
14. الراشدي ابن سحنون :الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، دهر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2013
15. رفاعة الطهطاوي ، تخلص الإبريز في تخلص باريز، تح، تع، مهدي علام، أحمد أحمد بدوي، أنور لوقا، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1973.
16. الرقيق القيرواني:تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، تونس 1968.

17. الزياتي محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي ابو عبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ط1، الجزائر، 2013.
18. شارلز هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم، أبوالقاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011
19. شالر وليام: مذكرات، قنصل أمريكا في الجزائر، (1816-1824)، تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1882، ص 30.
20. الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد: (ت 928هـ): كتاب السير طبع حجري، قسنطينة الجزائر، 1301 هـ العلامة مقرين بن محمد اليفطوري، سيرة مشائخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2009.
21. عبد القادر الأمير: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح أيجون، أخرج أحاديث الطبعة، عبد المجيد بيرم، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، ط7، 2010.
22. الفاسي الحسن بن مجمل الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983م.
23. محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش با96. لإسكندرية، 1903
24. المقديسي شمس الدين أبو عبد الله محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط، 1906
25. ابن كردبوس: الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشر هذا الكتاب محمد بن أبي شنب، طبع بطبعة جول كربوتل، الجزائر، 1920م.

26. مؤلف مجهول :مفاخرالبربر، ، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دارأبي قراق للطباعة والنشر، ط1، 2005، الرباط.
27. ولد قاضي أحمد، الرحلة الفادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية، 1878، الجزائر.
28. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح : (ت 284هـ) كتاب البلدان، ط3، النجف، 1377هـ / 1957م.

2- المراجع :

1. إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية - نشرجمعية التراث، القرارة، ط1، 1985.
2. أحمد مختار عمر:النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصرالتركي، ط1، دارالكتب، بيروت، 1391هـ / 1971م.
3. الأحمر المولدي: الجذورالإجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا، الفردوالمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية، مركزدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص 123.
4. أسامة أنور النور عبد الرحمن:مجتمعات الإشتراكية الطبيعية دراسة تحليلية لتطورالتقنية والإقتصاد والثقافة في مراحل ما قبل التاريخ. أورينتال للنشروالطباعة والتوزيع. مدريدالطبعة2، 1956.
5. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، الترجمة من الفرنسية، د، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،
6. أمين أحمد ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د، ت
7. الباروني (سليمان بن عبد الله النفوسي): الأزهارالرياضية في أئمة وملوك الإباضية مطبعة الأزهارالبارونية، مصر، (بدون تاريخ).

8. **بن الشيخ حكيم:** محاضرات ونصوص في ما قبل التاريخ، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر 2013.
9. **بن عميرة ومحمد:** دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
10. **بوطالب عبد القادر:** الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
11. **البوعبد لي المهدي:** تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، طبعة خاصة، 2013.
12. **بونار رابح:** المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981.
13. **الجابري محمد عابد** فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، 2001.
14. **الجابري محمد عابد:** المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 1996.
15. **جمال الدين عبد :** الدولة الفاطمية ببلاد المغرب وإنتقالها إلى مصر، إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ / 1991م
16. **جودت عبد الكريم يوسف:** العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
17. **جوليان شارل أندري** تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي. البشير سلامة مؤسسة تاولت الثقافية. 2011
- تاريخ الجزائر المعاصر، الغزوبدايات الإستعمار، 1871_1827 المجلد الأول، ج1 شركة دار الأمة للطباعة والنشر، ط 2013.

18. **الحاجري محمد طه**: ابن خلدونيين حياة العلم ودنيا السياسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
19. **حرب أديب**، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، دار الرائد للكتاب، ج2، ط3، 2007،
20. **الحريري محمد عيسى**: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم، الكويت، ط3، 1987/1408م،
21. **داروين تشارلز**: أصل الأنواع نظرية النشوء والإرتقاء، ترجمة إسماعيل مظهر، دارالطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2008.
22. **الداعي إدريس عماد الدين**: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1985، ط1، 1406 / 1985 م.
23. **الدباغ تقي**: الوطن العربي في العصور الحجرية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988.
24. **دحدوح عبد القادر** إمارة بني توجين بمنطقة الونشريس بين مواجهة الصغار وتحدي الكبار، أبحاث اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ وشواهدا الأثرية، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت 2012.
25. **دحدوح عبد القادر**: المرشد الأنيس إلى تاريخ وآثار عاصمة الونشريس، دار أبجديات للإتصال والنشر والإشهار، برج بوعريريج، 2011.
26. **الدشراوي فرحات**: الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994.
27. **الدقي نور الدين**: تونس من الإيالة الى الجمهورية، 1814 - 2014، المنشورات الجامعية بمندوبية، ط1، 2016.

- عالم القرن التاسع عشرعصر الأمير عبد القادروليه في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2012.
35. سيدي صالح حياة: اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين (1871-1895) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012.
36. سينثيا ستوكس براون: تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبيرإلى الزمن الحاضر، ترجمة وتقديم أيمن توفيق، شارع الأوبرا الجزيرة القاهرة الطبعة الأولى. 2010.
37. شنيتي محمد البشير: أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة الجزائر، 2003م.
- موريطانيا القيصرية دراسة حول الليمس ومقاومة المور، اطروحة دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، معهد الآثار، ج2، جامعة الجزائر، 1991-1992.
38. صاري جيلالي: انتفاضة 1881-1882 ملحمة الشيخ بوعمامة، ترجمة بن تركي نصيرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2013.
39. صحراوي عبد القادر: التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الإحتلال الروماني، 46ق. م-284م دارالهدى للطباعة والنشر، عين مليلة.
40. الطمار محمد: المغرب لأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، الجزائر.
41. الطيبي محمد: الجزائر عرشية الغزو والإحتلال دراسة في الدهنيات والمآلات، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009.
42. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514.1830 م، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007.

43. عبدالرازق محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، في منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، 1406هـ/1985، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب.
44. العربي إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
45. العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م.
46. عشراتي سليمان: الأمير عبد القادر السياسي، قراءة في فرادة الرموز والريادة، دارالقدس العربي للنشر والتوزيع وهران - الجزائر، ط1، 2011.
47. علي دبوز محمد: تاريخ المغرب الكبير، ج 2 الطبعة الأولى مؤسسة تاواليث الثقافية 2010
48. عوض خليفات:النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، عمان، الأردن، 1982م
49. غانم محمد الصغير: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011.
50. ف، بانانتي: مغامرات وملاحظات فوق شاطئ برباريا، 3مج، ط2، (ميلانو) الترجمة الفرنسية، تقرير عن اقامة في الجزائر باريس: 1820.
51. الفيلاي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص، 193.
52. قداش محفوظ:جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر، 1830 - 1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، 2008.
53. كبريت علي: مقاومة أولاد سيدي منصور في جبل الناظور وإبادة جبل سكونة جنوب تيارت 1864، وهران، دار القدس العربي، ط1، 2014.

54. **مخالفة عمر: دراسة إجتماعية في العصور الإسلامية،** المطبعة التعاونية، دمشق 1393هـ/1973.
55. **الكعك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر،** دارالغرب الإسلامي، ط1، 2003
56. **لحسن رابح: أضرحة الملوك النوميديين والمور،** دار الهومة، الجزائر، 2007.
57. **مالكي امحمد تاريخ المغرب الكبير،** ج3، مطبعة عيس البابي الحلبي، مصر، 1383هـ/1963م.
- الحركة الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 بيروت، 1994.
58. **مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث،** ج2، مكتبة النهضة الجزائرية 2004.
59. **مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث،** ج1، مكتبة النهضة الجزائرية، 2004.
60. **المدني أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية،** المطبعة العربية، الجزائر 1948.
61. **مطر محمد العيد: الجانب العسكري في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1874)** حول ثورة 2، 1864/9/1996.
62. **مهدي إبراهيم: الأرسطراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن التاسع عشر والرأسمانية** إشكالية الإندماج الإجتماعي، المجلة الجزائرية في الأنتربولوجية والعلوم الإجتماعية، عدد 4، جانفي - أفريل 1998، (مجلد ii، 1)
- القطاع الوهراني ما بين 1850-1919 م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية منشورات دار الأديب.

63. مياسي إبراهيم: الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م- 1934م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
64. الناضوري رشيد المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالث ق. م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
- تاريخ المغرب الكبير العصور القديمة. دار العربية بيروت. 1981.
65. هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دارالهدى عين مليلة، الجزائر، ط1، 1429هـ / 2008.
- 3- الدراسات والأبحاث :**
1. أوكيل مصطفى باديس : أثر الرستمييين في إزدهار الحضارة، مجلة الخلدونية، عدد خاص أكتوبر 2009. ص213- 216.
2. بن عبد المؤمن محمد: قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسة، مجلة كان التاريخية، العدد العاشر، 2010 / 1431هـ، ص38- 41.
3. بودواية مبخوت : دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية، مجلة المواقف، عدد خاص أبريل 2008م. ص351- 362.
4. حسيني عائشة : تاقدمت عاصمة الأمير، «مجلة الخلدونية»، عدد خاص أكتوبر 2009م جامعة ابن خلدون تيارت ص239- 246.
5. خير فارس محمد :الحياة السياسية والعلمية في الدولة العثمانية، مجلة الطريق، العدد الرابع 1995. ص127- 147.
6. عبد القادر دحدوح : إمارة بني توجين بمنطقة الونشريس بين مواجهة الصغار وتحدي الكبار، مجلة أبحاث العدد الأول ماي 2012، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت ص 37- 41.

7. قلماوي عمر: لمحة على فترة ما قبل التاريخ، بولاية تيارت (الغرب الجزائري)بحوث - جامعة الجزائررقم 3.
 8. محمد بن عميرة: موقف التيهريين من حملة عقبة بن نافع على بلاد المغرب في كتابات الفرنسيين، مجلة الخلدونية، عدد خاص أكتوبر، 2009، ص 17-22.
 9. محمد بوشنافي:صناعة الخبزومقوماته في الجزائرخلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد العاشر، ديسمبر 2015. 41- 57العدد10ديسمبر 2015. ص 42.
 10. مناصرية يوسف: ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة السنة 5، العدد 9/8، ربيع الأول 1404 - ديسمبر 1983. ص 5- 20.
- 4- الرسائل الجامعية :
1. آيت حبوش حميد :المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1519 - 1830على ضوء المصادر الأوربية، نقلا ع عن كتاب ل:حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، نوقشت بتاريخ 2008 - 2009، بقسم التاريخ بلعباس.
 2. بختة وابل : الإستيطان الفرنسي في منطقة تيارت من 1840 - 1890رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2013.
 3. بن صحراوي كمال: أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث. 2014 - 2015.
 4. حباش فاطمة:المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1870/1844) تيارت، سعيدة، جيرفيل - البيض - نموذجا. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2015.

5. محمد مهدي :مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الآثار الوقائي بعنوان،
جرد مواقع ومعالم منطقة فرنده، نوقشت بتاريخ (1212-1213)قسم التاريخ
والآثارجامعة تلمسان.

ثانيا المصااار الأآنبية :

1-المصااار الأرشيفية.

1-1 - أرشيف ماوراء البحار آكس أون بروفنس.

Archives Nationales :

SérieH :Affaires indigènes.

1H :Correspondances politiques :

1H75 :

2H :Opérations Militaires :

2H52 :Total principal des impots de 1863pour chacune des tribus révoltées au25/9/1864.

7H :Chefs indigènes d'Oran :

7H1 :Sub. Mascara. Renseignements sur les chefs indigènes et leurs familles influentes du cercle de Tiaret.

7H24 :Chefs indigènes en Oranie.

10H :Etudes ,notices :

10H40 : Notices biographiques sur les chefs indigènes de la subdivision d'Oran.

10H53 :Notices historiques et géographiques sur les tribus de la province d'Oran1856.

10H56 :Notices sur les chefs indigènes et les grandes familles(49-68).

11H :Situations politiques :

11H12 : Rapports insurrection (1864-1865)

22H :Territoires du sud « Questions militaires ,pénétration saharienne » :

22H9 :Pénétrations militaires et sahariennes(1842-1860).

30H :Correspondances politiques :

30H78 :Correspondances politiques et diverses(1842-1869).

H209 :Opérations militaires(1842-1854) :

2M :Dossiers des villages de colonisation :

2M70 :Cartes et agrandissement de Frenda.

2M71 :Tribus de Frenda.

2M181 :Tiaret.

66 Miom 118 /1 : Opérations militaires(1864).

66Miom125 /1 :Insurrection de1881.

1-2- أرشيف قصر فانسان :

S. H. D/GR/H :

GR1H212 :Journaux des marches (1837-1846).

GR1H217 : Journaux des marches :extraits historiques.

GR1H230 BIS :Insurrection dans la subdivision de Mascara. 1864.

1-2- الجرائد :

- جريدة الأطلس بدون تاريخ ولا رقم العدد، عثرت عليها ممزقة في العلبة 7H24،
أرشيف أكس أون بروفنس.

- جريدة البرهان، عدد 14 الصادرة بتاريخ 4 أوت 1881، العلبة 30H78، أرشيف
أكس آن بروفنس

2- المصادر المطبوعة :

Officiel du Gouvernement Général de L'Algérie. 1891. 31eme année.

Bulletin Officiel du Gouvernement Général de L'Algérie. 1892. 32eme année.

Bulletin Officiel du Gouvernement Général de L'Algérie. 1894. 34eme année.

Bulletin Officiel du Gouvernement Général de L'Algérie. 1895. 34eme année.

Bulletin Officiel du Gouvernement Général de L'Algérie. 1897. 37eme année.

1. **André Casset.** Dans le sud oranais, souvenir d'un médecin militaire : « Le réveil médical », Bruxelles(1911).
2. **Bezy (Le citoyen).** Insurrection du sud oranais. Oran,collet,1884.
3. **Camille Rousset.** La conquête de l'Algérie,1841-1857. T. 1. Paris, 1889.
4. **Capitaine Armengaud.** Le sud oranais. Journal d'un légionnaire,treize mois de colonne pendant l'insurrection des Ouled Sidi Cheik soulevés par le marabout Boumama(1881-1882). Paris,1893.
5. **Capitaine Daumas.** Consul à Mascara,1837-1839,par George Yve, collection de document inédit sur l'histoire de l'Algérie après 1830 ,publié sous les auspices du gouvernement général de l'Algérie, imprimeur libraire de L'université ,place du gouvernement(1912).
6. **Colonieu.** Voyage dans le sahara algérien de Géryville à Ouargla « extrait du tour du monde ». Paris ,1862.
7. **E. Graille.** Insurrection de Bouamama (Avril 1881). Paris. Charles – Lavauzelle,1905.
8. **E. Pellissier de Reynaud.** Annales algériennes. T. 3. Paris ,1854.

9. **F ,Accardo.** Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie. Alger ,1979.
10. **Guy De Maupassant.** Œuvres complètes illustrées : «Au soleil ». Paris. 1902.
11. **Innocenti.** Insurrection au sud oranais en 1881 :(Bouamama et le Colonel). Paris , 1893.
12. **J. H. Sénemaud.** Les affaires du sud oranais. Bouamama : «un scandale algérien ». Alger, 1887.
13. **Jules Oget.** «Une expédition Algérienne. Episode de l'insurrection de 1864. »1871.
14. **Le Général Lapasset :** « Un ancien officier de l'armée du Rhin »1817. T. 1. Paris ,1864.
15. **Lettres du Maréchal de Saint-Arneau.** 1832-1854. 2^{eme} édition. T. 1. 16. Paris1858.
17. **Mrozet.** Voyage dans la régence d'Alger ,ou description de pays occupé par l'armée française. T. 3. Paris,1830.
18. **Narcisse Faucon.** Le livre d'or de l'Algérie :histoire politique, militaire, administrative, événements et faits principaux, biographie des hommes ayant marqué dans l'armée ,les sciences,les lettres,etc ...de 1830 à1889. Vol. 1. Paris ,1889.
19. **P. Clavenard.** Une mission dans le sud Oranais. Paris , 1888.
20. **René de Saint-Félix.** Le voyage de S. M. l'Empereur ,Napoléon III ,en Algérie et la régence de M^{me} l'Impératrice ,mai- juin 1865. Paris,1865.
21. **Victor Bérard.** Indication générale de l'Algérie, ou description géographique statistique et historique, et toutes les localités comprises dans ses trois provinces. 2^{eme} édition ,1858.

3-المراجع:

1. **Aguila Clément.** « Tiaret, ma jeunesse ». Nice. Edition :Jacques Gandini. Paris,2002.
2. **Antoine Héron de Villefosse.** Inscriptions militaires des environs de Tagmaret, Algérie. N° 2.
3. **August Ducat.** La guerre en Afrique. Paris,1846.
4. **Bernard et Stephanegzell.** Collection des Guide-Joanne,Algérie et Tunisie. Paris. Librairie Hachette ,1909.
5. **Cadénat Pierre.** Découverte d'un militaire à Martimprey (Oranie).
6. **Cadénat Pierre.** « Atlas préhistorique de L'Algérie », feuille N°33. Tiaret ,In Libycat. T. 14 ,1956.

7. **Canal J.** « Tiaret ,monographie ancienne et moderne ». Bulletin de la
8. société de géographie et d'archéologie d'Oran. Alger. T. 20 ,1900.
9. **Charles-André Julien.** Histoire de l'Algérie contemporaine : « La conquête et les débuts de la colonisation(1827-1871).
10. **Charles Diehl.** L'Afrique byzantine ,histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709). Paris,1896.
11. **Christian Courtois.** Les vandales et l'Afrique. Paris ,A. M. G,1959.
12. **De-Bayle. RD. H. R.** « Les gravures rupestres de l'Oued Seffalou , région de Tiaret ». In Libya. T. 3 ,1955.
13. **E. Carette,** Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie. Paris. Imprimerie impériale ,sans date.
14. **Fabre Marc André.** « Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret –Aflou». B. S. G. A de la Province d'Oran. T. 22,1902.
15. **Fatma Kadaria Kadra,** « les Djedars,monuments funéraires berbères de la région de Frenda. OPU ,1983.
16. **Gabriel Camps :**« Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara ». Doin. Paris, 1974.
17. **Gabriel Camps :**L'Homme de Mechta El arbi et sa civilisation contribution à l'étude des origines guanches. P257.
18. **Général Du Jonchay.** Insurrection des Ouled Sidi Cheikh. 1864. S. G. A. de la province d'Oran.
19. **Henri Barlette.** Monographie de la région de Tiaret. B. S. G. A. A. N. 17^{ème} année ,1912.
20. **L. Balout.** Préhistorique de l' Afrique du nord :arts et métiers graphiques. Paris , 1966.
21. **M. C. Chamala.** L'évolution du type Mechta-Afalou ,en Algérie Occidentale. Comptes- rendus de l'académie des sciences de Paris.
22. **M. R. De La Blanchère.** « Les Souama de Machera Sfa ». In mélange d'archéologie et d'histoire. T. 2. 1882.
23. **M. R. De La Blanchère.** Voyage d'étude dans une partie de la Mauritanie césarienne. T. 2. Imprimerie nationale. Paris.
24. **Michel Antar.** Chevauchées d'un futur St-Cyrien à travers les Ksour et Oasis Oranais. Illustration par L. BENETT.
25. **O-niel.** Géographie de L'Algérie,T. 1. Bone,1876.
26. **Perrin. René.** Le Sersou :étude de géographie humaine. In méditerranée. 1^{ère} année. N°2-3,1960.

27. **R. Peyronnet.** Livre d'or des officiers des affaires indigènes(1830-1930)T. 2. Imprimerie algérienne. Alger ,1930.
28. **Walsin. Esterhazy.** Notice historique sur le maghzen d'Oran ,1849-1851.

4- الأبحاث والدراسات :

1. **Charles Féraud.** « Les Ben-Djellab ,sultan de Tougourt ». Notes historiques sur la province de Constantine. In revue africaine ,N°-30 ,1886. P419-439.
2. **C. Trumelet.** « Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger de 1864-1869 ». Revue africaine , seconde partie. Vol. N°23 ,1879. p(241-261) ,(321-342),(401-408).
3. **-C. Trumelet.** « Notes pour servir à l'histoire de L'insurrection dans le sud de la Province d'Alger de 1864- 1869 ». Revue africaine ,seconde partie. Vol. 24,1880. P(5-21),(161-176).
4. **Commandant P –Wachi.** « Notes,itinéraires et souvenirs,pour servir à l'histoire de la province d'Oran ». Insurrection de Bouamama(1881-1882) »In revue tunisienne,1901.
5. **-Kiva.** En Algérie(souvenir)«Une excursion du Kreider àGéryvil. » Extrait de la revue militaire universelle. Paris,1894. pp17-34.
6. **-H. Tournade.** . Souvenirs d'Algérie«L'Insurrectiondu sud Oranais de 1881. »La Nouvelle Revue 46^{ème} année. T. 68. Novembre-Décembre 1923. PP153 – 163.
7. **La Tafna.** Journal de l'arrondissement de Tlemcen. Mercredi 14 novembre1883. 1^{ère} année. N°21.
8. **-L'Echo d'Oran.** 30/5/1846. N°86.
9. **Le Courrier d'Oran.** Mercredi 1^{er} juin 1881,22^{ème} année,2^{ème} série. N°3181.
10. **Le Gaulois.** 3^{ème} année , 2^{ème} série. N° 732,mercredi 14 septembre 1881.
11. **Le Monde illustré.** « Insurrection du Sahara oranais. »Journal hebdomadaire, 25^{ème}année. N°1265,25juin1881.
12. **Le Moniteur de la Gendarmerie.** Dimanche 16octobre1881,2^{ème}année. N°59.
13. **Le Petit Fanal.** 2^{ème} année. N°332. Oran ,jeudi 27avril 1882.
14. **Le Rappel.** Vendredi 17 juin 1881. N°4116.
15. **Marcais et Lamar.** « Recherches d'archéologie musulmane :Tihert-Tagdempt ». In revue africaine. T. 10.

الفهارس العامة

فهرس الأسماء والأعلام.

فهرس القبائل والجماعات.

فهرس الأماكن.

فهرس محتويات الكتاب

1- فهرس الأسماء والأعلام

-أ-	
.198 ، 197 ، 188 ، 187	آرشينار (جنرال):
.115 ، 114 ، 113 ، 112 ، 111	أحمد التيجاني
.211	أحمد بن سالم (قايد عين ماضي)
.166	أحمد بن رويلة
،81 ، 80 ، 74 ، 73 ، 70 ، 69 ، 68 ، 38 ، 30 ، 12 ،94 ، 93 ، 92 ، 91 ، 90 ، 89 ، 87 ، 86 ، 83 ، 82 ،104 ، 103 ، 102 ، 101 ، 100 ، 99 ، 98 ، 97 ، 96 ،112 ، 111 ، 110 ، 109 ، 108 ، 107 ، 106 ، 105 ،121 ، 120 ، 119 ، 117 ، 116 ، 115 ، 114 ، 113 ،129 ، 128 ، 127 ، 126 ، 125 ، 124 ، 123 ، 122 ،139 ، 138 ، 135 ، 134 ، 133 ، 132 ، 131 ، 130 .245 ، 244 ، 204 ، 149 ، 144 ، 141 ، 140	الأمير عبد القادر
.17	الأنثروبويد (السلف الأول للإنسان)
.54	أبو البهار
.43	أبو الحسن الأبدلاني
.32	أبو الخطاب المعافري
.53	أبو الفتح المنصور
.51 ، 50	أبو القاسم الأحذب بن مصالة بن حبوس
.48 ، 46	أبو اليقظان
.46	أبوبكر بن أفلح
.49	أبو عبد الله الشيعي (المؤسس)
.64	أبو عبد الله محمد الغزلاوي: (كاتب)

أبو عبدة	.44
أبوزيان بن عثمان (سلطان)	.57
أبومسلم بن أبي كريمة	.42
أبويغمراسن بن أبي شحمة اللهيصي	.51
أبو يزيد بن كيدار اليفراني	.51
أبوعقوب (المريني)	.57، 44
سي بوبكر بن حمزة	
إينوسونتي (جنرال)	.223، 224، 225، 226، 227، 228، 241، 242
أحمد بن أحمد (قايد أولاد علوش)	.297
أحمد باي	
أحمد توفيق المدني	.58
الشيخ أحمد بوزيان (زعيم ثورة الزعاطشة)	.106
إدريس (آغا تيارت)	.218
ابن تومرت	.56
ابن عراش الميلود	.133
ابن عذاري المراكشي	.32، 37
ابن الشريف الدرقاوي	.64، 65، 92
ابن الصغير	.44، 47
-ب-	
البركاني محمد بن عيسى (شيخ زاوية)	.104، 105
البركاني خليفة الأمير	.106
البشير الونشريسي	.65
البكري	.34، 35

البوحميدي	.121
باديس بن المنصور	.55
براقى دو هيلي (جنرال)	.117
باريس (نقيب)	. 250، 218، 214
برونوتيار (عقيد)	. 229، 227
برينقارد (ضابط)	. 231، 230، 229
بلقاسم ولد لزغم	. 238، 236، 214
بلقاسم بن محمد	.211
بلعروسي الصافي	.217، 186، 185، 175
بيليسي (الحاكم العام)	.246، 152
بن باديس المكي	.248، 246
بن بريهمات حسان	.248، 246
بن الصافي أحمد	
بن عودة (آغا تيارت)	185، 175
بن عيسى الحاج العربي	.112
بن منصور سيدي علي (مرابط)	.76
بلينوس الكبير	.14
بلكين بن مناد	. 54، 53، 52
بوبراتر (القائد الأعلى لتيارت)	،161، 160، 159، 158، 157، 156، 155، 154 ،162، 163، 192، 203، 210، 217.
بوثلجة	.125، 99
بورجولي (جنرال)	.138، 130، 129
بوعمامة	،204، 203، 200، 163، 91، 90، 88، 86 ،218، 216، 215، 214، 213، 211، 210، 206 ،228، 227، 226، 225، 224، 223، 220، 219 ،237، 236، 235، 234، 233، 232، 231، 229

238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 252.	
147، 148، 149، 150.	سي بوبكر
75، 81، 103، 110، 115، 117، 119، 120، 121، 126، 130، 134، 166، 168، 196.	بيجو (ماريشال)
121، 123.	بيدو (جنرال)
186، 182، 194، 195، 196.	بيشو (جنرال)
-ت-	
121.	تامبور (عقيد)
102.	تريزل (جنرال)
192، 195، 196، 199.	تروملي (عقيد)
30، 109.	تشرشل
242.	توماسان (جنرال)
245، 250.	تيرمان
111، 280.	التيجاني محمد الصغير
-ج-	
29.	ج-مارسي
18.	جمال الدين الأفغاني
51، 52.	جعفر بن علي (والي الزاب)
51.	حمزة بن محمد بن خزر
185، 193.	جوليفي (جنرال)
251.	جول فيري
120، 127.	جيربي (مقدم)
-ح-	
64.	الحاج أحمد بن هطال التلمساني (كاتب البايع العمي)

167، 170، 178، 179، 180، 181.	الحاج البشير (قاضي فرندة)
90.	حارث بن وارث
101، 112.	حسن بن موسى (باي)
87، 90، 146، 148، 149، 153، 156.	سي حمزة
211.	حمزة بن المجدوب
51.	حميد بن يصل
54، 55.	حمادبن بلكين
52.	الحكم الثاني (خليفة أموي)
-خ-	
51، 52.	الخير بن محمد بن الخزر
53.	خلوف بن أبي بكر
-د-	
183، 188، 189.	الدين بن يحيى (آغا جبل عمور)
123.	داربوفيل (جنرال)
51.	داودبن ابراهيم العجيسي
16، 107، 114، 168.	دوماس (قنصل)
136، 137.	دوكوت (مقدم)
122، 152، 153، 155، 175، 176، 179، 180، 197، 198، 199.	دليني (جنرال)
235.	ديلبيك (جنرال)
132، 134.	الدوق دومال
118.	الدوق نمور
50.	دواس
210.	دوسوني (القائد الأعلى للأغواط)
185، 186، 194، 218.	دوكولومب (رائد)

ديتري (جنرال)	.227، 228.
دي-لامار	.29.
ديريو (عقيد)	.146.
ديمون (عقيد)	.187، 188.
ديميشل	.108.
-ر-	
راندون (ماريشال)	.84، 248.
رنو (مقدم)	.125.
روز (جنرال)	.172، 174، 175، 176.
-ز-	
سي الزوبير	.148، 151.
زيري بن عطية	.53، 54.
زيري بن مناد	.51، 52.
-س-	
سبتيموس سيفيروس (إمبراطور روماني)	.27، 29، 107، 186.
سكوت (كولونيل)	.110، 118، 119.
سلامة بن علي بن نصر (شيخ يدالطن)	.28.
سليمان السردغوس	.31.
سي الفضيل (مستشار سي سليمان)	.150، 151، 162.
سي سليمان بن حمزة	.147، 148، 150، 151، 152، 153، 155، 156، .158، 159، 162، 164، 179، 192.
سويني	.223.
سيريز (جنرال)	.222، 237، 238، 239.
سيدي بلمرسلي	.89.

86.	سيدي عبد الجبار
43.	سهل الفارسي
-ش-	
110، 249.	شارل أندري جوليان
17.	شارل داروين
150.	شارل فيرو
170.	شارلمان (مقدم)
250.	شانزي (جنرال)
82.	شعبان - باي
80، 81، 82، 83، 89، 131، 134، 135، 137، 138، 139، 140، 141، 151.	الشريف بومعزة
-ط-	
228، 231.	الطيب بن حمو (قائد المرابطين)
213، 214، 236.	الطيب الجرمانى
-ع-	
152، 218.	العربي بلعرج (قائد)
226، 230.	عيسى بن محمد: (قائد الحسينات)
32، 33، 36، 37، 49.	عبد الرحمن بن خلدون
11، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 41، 43، 44، 46، 48.	عبد الرحمن بن رستم
215.	عبد الرحمن الشيتوني
43.	عبد العزيز بن الأوز
146.	عبد القادر بن خالد (قائد تيارت)
57، 79.	عبد القوي محمد (أمير بني توجين)
28، 56.	عبد القوي بن العباس (أمير بني جين)

40، 41، 45، 46، 48.	عبد الوهاب (بن عبد الرحمن بن رستم)
.39	عبد الله عروي
.79	عامر بن قندوز
.58	عروج
15، 82.	عثمان - باي
	الباي علي
.95	علي بن أبي طالب بن مصطفى
55، 56.	علي بن يوسف بن تاشفين
.56	العباس بن عطية الونشريسي
-غ-	
108، 110.	غارسن
.224	غرول (رائد)
-ف-	
.227	فار (وزير الحربية):
115، 116.	فالي (ماريشال):
-ق-	
.100	قدور بن عبد الباقي البصري (خليفة)
114، 116، 146، 162، 163، 167، 175، 177، 184، 185، 186، 188، 202، 203، 206، 208، 209، 210، 211، 212، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 227، 229، 232، 234، 235، 239، 244، 245، 252.	قدور بن صحراوي
.104	قدور بن المخفي
-ك-	
.76	الكبريت سيدي منصور

23.	كاميل أرمبورغ (باحث في علم الآثار)
.19	كرومانيون (إنسان قديم)
.114	كلوزيل (جنرال)
.130	كورت (جنرال)
.185، 182	كولونيو: (جنرال)
-ل-	
،198، 189، 184، 181، 180، 155، 151، 148، .217	سي لعلا-
،189، 186، 175، 174، 172، 179، 169، 168، .196، 195، 194	لاباسي (جنرال)
.151، 140، 139، 138، 83	لاكوت (ملازم)
-125-124-123-119-118-103-86-73 -137-136-134-132-131-130-128-127 246-245-18-167-150-139-138	لاموريسيار (جنرال)
.174، 173، 168	سي لزرق بلحاج
.119	لويس فليب
.196، 175، 174، 166	ليبر (جنرال)
.114، 111	ليون روش
-م-	
.57	المستنصر بالله الحفصي
.53، 52، 51	المعز لدين الله
.56، 50	المهدي
،183، 179، 178، 177، 176، 174، 173، 172، ،197، 196، 195، 194، 193، 189، 187، 185، .198	مارتينو (جنرال)
248	ماك ماهون

38.	مارك كارتى (مستشرق فرنسي)
31.	ماستيغاس
227، 228.	مالارى (عقيد)
38.	محمد بن أفح
37.	محمد بن الأشعث
108.	محمد بن الأمير
50، 51.	محمد بن خزر
133.	محمد بن علال
51.	محمد بن الخير (أمير مغراوة)
40.	محمد الميلي
70، 95، 98، 104،	محي الدين (والد الأمير)
50، 51.	مصالة بن حبوس المكناسي
146، 147، 149.	محمد بن عبد الله (شريف ورقلة)
211.	محمد بن ناصر (من قبيلة الشاوية)
64، 118.	مصطفى العجمي (باي)
101، 102، 118، 124، 127، 245.	مصطفى بن إسماعيل
105.	مصطفى بن محي الدين (شقيق الأمير)
64-119.	مصطفى العجمي (باي وهران)
104، 105، 106.	الحاج موسى (بوحمار)
62، 64، 65، 77، 101، 104، 105، 114، 129.	المزاري (آغا)
35، 39، 41.	المقديسي
56.	المنصور يعقوب بن يوسف
78.	المولى إسماعيل
89، 135.	مولاي أحمد (زعيم قبيلة الكسالنة)

127، 130، 131.	ميسيا (عقيد)
218، 152.	سي محمد بن النعيمي (قائد)
151، 166، 170، 174، 178، 179، 192.	سي محمد بن حمزة
-ن-	
246، 247.	نابليون الثالث
74.	نابليون بونابرت
109.	نابليون ماري دو فرنس: (سجين فرنسي)
242.	نقريي (عقيد)
18، 19.	نيادرتال (إنسان قديم)
-ه-	
14.	هيروودوت
-و-	
188.	ولد بن عودة (آغا الألباع)
223، 224، 242.	ولد عدة قدور (آغا الجعافرة)
84، 90، 96، 101، 102، 105، 153، 154، 156، 158، 159، 164، 165، 167، 173، 179، 181، 183، 185، 197، 206، 207، 209، 211، 218، 219، 221، 237، 238، 239، 241، 243، 244، 245، 246، 248، 249، 250، 251، 252، 253.	ولد قاضي أحمد
101	ولد قاضي محمد: (والد سي أحمد ولد قاضي)
240، 242.	ولد قاضي بلحضري (ابن أحمد ولد قاضي)
14، 71.	وليام شالر (قنصل)

واينبرونر: (ملازم)	.219، 218
-ي-	
اليعقوبي	.41، 40، 38، 37
يحي بن راشد	.76، 75
يحي بن علي	.52
يطوفت (والي تيهرت):	.54
يغمراسن بن زيان	.83
يوسف بن تاشفين	.57، 56، 55
يوسف (جنرال)	.197، 177، 175، 140، 131، 86، 80
يعقوب بن سيلوس (قاضي ورجلان)	.43

فهرس القبائل والجماعات.

-أ-	
أزداجية	.50
الأتراك	،82 ،80 ،73 ،64 ،63 ،62 ،61 ،60 ،59 ،58 ،57 ،12 ،83 ،86 ،89 ،92 ،99 ،100 ،101 .
الأحرار	،83 ،82 ،81 ،77 ،75 ،74 ،73 ،68 ،64 ،63 ،61 ،60 ،84 ،91 ،92 ،97 ،99 ،112 ،113 ،120 ،124 ،125 ،128 ،129 ،139 ،143 ،146 ،148 ،151 ،157 ،158 ،159 ،163 ،164 ،165 ،167 ،169 ،173 ،175 ،176 ،177 ،178 ،180 ،181 ،183 ،185 ،186 ،192 ،193 ،194 ،195 ،200 ،203 ،204 ،205 ،206 ،207 ،209 ،210 ،211 ،213 ،214 ،215 ،216 ،217 ،218 ،221 ،222 ،223 ،226 ،227 ،228 ،229 ،230 ،231 ،232 ،234 ،236 ،237 ،239 ،240 ،241 ،242 ،245 ،247 .
الأحرار الغربية	،214 ،212 ،210 ،209 ،207 ،206 ،204 ،84 ،77 ،62 ،237 ،240 ،241 .
الأحرار الشراقة	،237 ،222 ،215 ،214 ،209 ،207 ،206 ،204 ،77 ،238 ،239 ،240 .
الأرباع	.217 ،195 ،190 ،189 ،188 ،146 ،115 ،60
الأعور	.79
الأغواط الكسل	.234 ،233 ،232 ،230 ،178
أولاد براهيم	.233 ،88 ،78
أولاد بركات	.170
أولاد بلحسين	.205 ،164 ،77
أولاد بليل	.63

أولاد بن رزيق	.78
أولاد بورنان	.78 ، 75
أولاد بوزيري	.182 ، 125 ، 123 ، 122 ، 112 ، 89 ، 86 ، 85 ، 60
أولاد بوعفيف	.269 ، 205 ، 164 ، 162 ، 77
أولاد بوغدو	.190 ، 84 ، 80 ، 79
أولاد ثابت	.82
أولاد حدو	.238 ، 237 ، 221 ، 214 ، 213 ، 208 ، 156 ، 91 ، 88 ، 77 .258 ، 241 ، 239
أولاد خروبي	.162 ، 78
أولاد خروف	.79
أولادخليف	.125 ، 117 ، 79 ، 78 ، 76 ، 75 ، 74 ، 73 ، 68 ، 60 ، 59 .182 ، 167 ، 162 ، 159 ، 158 ، 148 ، 135 ، 132 ، 131 .232 ، 221 ، 205 ، 192
أولاد داود	.90 ، 86
أولاد زياد	.236 ، 214 ، 162
أولاد زيان الشراقة	.231 ، 21 ، 213 ، 208 ، 206 ، 205 ، 156 ، 155 ، 88 ، 77 .269 ، 258 ، 241 ، 239 ، 237
أولاد زيان الغرابة	.269 ، 240 ، 239 ، 236 ، 228 ، 226 ، 205 ، 155 ، 77 ، 91
أولاد الزوي	.199 ، 165
أولاد سالم الإيمان	.76 ، 75
أولاد سرور	.236 ، 152
أولاد سيدي بلحليمة	.89
أولاد سيدي الجيلالي	.86
أولاد سيدي خالد	.269 ، 234 ، 208 ، 162 ، 100 ، 90 ، 78
أولاد سيدي خالد الغرابة	.77
أولاد سيدي خالد الشراقة	.77

أولاد سيدي سعيد	.76 ، 75
أولاد سيد الشيخ	،199 ،167 ،163 ،152 ،151 ،150 ،148 ،146 ،145 ،200 ،203 ،204 ،207 ،208 ،209 ،211 ،212 ،218 ،219 ،257 ،258 .
أولاد سيدي الشيخ الغرابية	.152
أولاد سيدي الشيخ الشراقة	.243 ، 235 ، 152
أولاد سيدي طيفور	.177 ، 153
أولاد سيدي محمد بن يعقوب	.75
أولاد سيدي الناصر	.233 ، 232 ، 113
أولاد شايب	.194 ، 190 ، 182 ، 177 ، 166 ، 165 ، 148 ، 75
أولاد شعيب	.178 ، 132 ، 115
أولاد الشريف	. 191 ، 190
أولاد الشريف الغرابية	.170 ، 124 ، 84 ، 82 ، 81 ، 79
أولاد الشريف الشراقة	.167 ، 124 ، 82 ، 79
أولاد عريف	.29
أولاد عزيز	.269 ، 234 ، 211 ، 205 ، 164 ، 77
أولاد عامر	.170
أولاد عمر	.79
أولاد عمور	.167 ، 84
أولاد عوف	.88
أولاد عيسى	.239 ، 157 ، 78
أولاد فارس	.79 ، 82
أولاد قاضي	. 102 ، 101
أولاد لكرد	192 ، 191 ، 190 ، 167 ، 135 ، 131 ، 112 ، 109 ، 93 ، 79

أولاد ماضي	.150
أولاد مسعود	.117، 84، 83، 82، 81
أولاد سيدي منصور	.290، 261، 202، 199، 198، 197، 195، 169
أولاد مومن	.243، 155، 78
أولاد ميمون	.169، 158
أولاد نايل	.198، 146، 82، 75
أولاد يحيى	.172
أولاد يعقوب	.233، 232، 154، 153، 113، 60
-ب-	
بلحاية	.180، 170
بن عفان	.173، 167، 131، 125، 87، 81، 79، 77
عائلة بن قانة	.147
بوعكاز بن عاشور	.147
البحاثية	.105، 101
البهيلات	.79
بني الأنصار	.186، 112، 89، 88
بني توجين	.89، 83، 79، 57، 56، 55
بني راشد	.86
بني سويد	.83
بني غيس	.79
بني عامر	.105، 89، 81، 62
بني عبد الواد	.80
بني لانت	.190، 75
بني مدين	.125، 124، 117، 112، 109، 84، 83، 82، 81، 79، 77 .256، 182، 167، 165، 151، 140، 139، 132، 131

41.	بني مزغنة
.171، 168، 129	بني مسلم
.172، 171، 129	بني وراغ
.112، 91، 90، 86، 85، 77	بني ونجل
.65	بني يزناسن
.50، 40	مزاتة
-ت-	
.111، 98، 70	التيجاني(عائلة)
152	التوارق
-ج-	
.191، 181، 148، 124، 89، 33، 12	الجبلية
.233، 221، 128، 78	الجعافرة
-ح-	
.91، 183، 78	الحساسنة
.230، 228، 226، 207، 205، 91، 90	الحسينات
.79	الحماید
.238، 218، 212، 91، 81	حمیان
.152، 78	حمیان الشراقة
.191، 190، 171، 138، 129، 84، 82، 80، 79	حلوية
.196، 183، 132، 128، 124، 123، 105	الحشم
.125	الحشم الشراقة
.123	الحشم الغرابية
.186، 144، 112، 90، 88، 86، 85، 77	الحوارث
-خ-	
.125، 124، 117، 112، 99، 89، 87، 86، 81، 77، 65	خلافة

.186 ، 132، 181 ، 129 ، 128 ، 126	
.90 ، 88 ، 87 ، 85	خلافة الغرابية
.88 ، 87 ، 85	خلافة الشراقة
- د -	
.88 ، 87	دوار بورمان
.87	دوار لوهو
.269 ، 236 ، 228 ، 205. ، 91 ، 77	الدهالسة
.100	الدوائر
- ر -	
.79	الرحاحلة
.236 ، 234 ، 225 ، 222 ، 212 ، 198	الرزابينة
.239 ، 157 ، 153	الرزاقات
- ز -	
.89 ، 86 ، 83 ، 55 ، 54 ، 53 ، 52 ، 51 ، 50 ، 38	زناطة
.134 ، 133 ، 132 ، 131 ، 100، 129 ، 96 ، 82 ، 80 ، 12، 71	الزماله
.113	الزناركة
- س -	
.167 ، 153	ستيتين
- ش -	
.212 ، 180 ، 155 ، 151 ، 147	الشعانية
.82	شكالة
.104	الشاذلية
.269 ، 237 ، 234 ، 213 ، 211 ، 205 ، 156 ، 155 ، 77	الشاوية
.174 ، 173 ، 88 ، 86	الشلوغ

-ص-	
الصحاري	159، 190، 191، 205، 232.
الصحاري الشراقة	75، 76.
صدامة	81، 84، 86، 88، 90، 99، 109، 112، 123، 128، 132، 135، 136، 138، 164، 181، 182، 183، 186، 196.
صنهاجة	34، 52، 54.
-ط-	
الطرافي	152، 198، 212، 236، 238.
-ع-	
عرب زغبة	83.
عكرمة	78، 79، 81، 82، 83، 86، 109، 123، 135، 173، 174.
العويسات	75، 79، 80، 84، 135، 155، 190، 191.
-غ-	
الغواذي	60، 77، 85، 86، 91، 205، 208، 228، 236، 269.
-ف-	
فليتة	81، 82، 84، 109، 123، 127، 129، 130، 135، 140، 143، 150، 168، 172، 173، 174، 176، 179، 180، 181، 183، 233.
-ق-	
القادرية	98.
القراريح	153، 157، 164، 239.
القرشة (قبيلة)	86، 88، 90، 91.
القنادزة	68، 75، 79، 168.
-ك-	
الكرائش	79، 109، 112، 113، 129، 138، 166، 168، 171، 172، 190، 195.

الكعبرة	77، 155، 156، 164، 205، 269.
الكسالنة	85، 86، 88، 89، 135، 148، 182، 183.
-ل-	
لماية	33، 50، 80.
لواتة (قبيلة):	31، 33، 50.
-م-	
مراسة	34.
مزاتة	50.
مغراوة	51، 52، 79.
مطماطة	50، 80، 166، 191، 194.
مكناسة	50، 80.
المحاميد	88.
المخادمة	151، 180.
المرابطين (دولة):	56.
المرابطين (قبيلة):	58، 80، 11، 236، 139.
المرنيين	57، 58، 80.
المهاودية	85، 86، 88، 90، 91.
-ن-	
نفوسة (قبيلة):	38، 40، 42، 45.
-ه-	
هواره	33، 40، 50.

فهرس الأماكن والبلدان

-أ-	
آربة	.31
آسيا	.20، 19
آسيا الصغرى	.20
آشير	.54، 32
أولمبيس	.31
إسلي	.57
الأبيض سيدي الشيخ	.216، 175
الأجدار	.31، 30
الأغواط	.212، 178، 155، 147، 140، 111، 105، 104، 40، 12، .232، 230
الأندلس	.57، 48، 41، 35
أستراليا	.20
أم القطوطة	.164
أمريكا	.72، 20
أوربا	.74، 71، 62، 23، 22، 20، 19
إفريقيا	.115، 103، 53، 52، 38، 24، 21، 20، 19، 18، 16، 14، .223، 197، 164، 137، 127
إفريقية	.54، 52، 51، 49، 43، 38، 32، 14
-ب-	
البرج	.124
البرواغية	.106
البصرة	.46، 45، 43، 42
البليدة	.248، 104
البويرة	.106

البيض	12، 58، 146، 147، 150، 151، 152، 153، 154، 156، 157، 158، 160، 161، 164، 176، 178، 179، 207، 210، 215، 216، 219، 220، 221، 222، 223، 229، 230، 231، 232، 236، 238.
باليكاو	24.
باغاية	31، 32.
بجاية	56.
بريزينة	151، 152، 176، 239.
بغداد	45، 135، 213.
بسكرة	108.
بكين	18.
بوغار	13، 107، 108، 117، 134، 139، 154، 156، 166، 183، 187، 189، 193.
بوزولي	212، 238، 229.
بوقزول	190.
-ت-	
التات	14، 15، 28، 85، 86، 90، 127، 138، 144، 184، 185، 186.
التيطري	58، 110.
تاجرونة	147، 153، 154، 175، 177، 232.
تازة	107.
تاقدمت	29، 30، 34، 56، 68، 80، 81، 82، 83، 84، 86، 100، 106، 107، 108، 109، 113، 117، 118، 119، 120، 123، 124، 125، 127، 131، 141، 174، 192.
تافنة	110، 116.
تامدة	80، 140.

32.	تاورغا
27، 28، 29، 75.	تاوغزوت (قلعة بني سلامة)
24.	تلبالة
27، 28، 88، 184.	تخمارت
83.	تغيغست
87.	تشكوكوديان (قرية في جنوب الصين):
24.	تغنيف
40، 54.	تقرت
188، 189، 198.	تكرية
42، 56، 57، 64، 68، 81، 83، 106.	تلمسان
87.	تنزانيا
41، 136.	تنس
177.	توسنية
56، 57، 221، 239، 246.	تونس
9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 24، 25، 26، 27، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 45، 47، 48، 49، 50، 58، 60، 61، 64، 65، 66، 68، 69، 70، 73، 74، 75، 77، 79، 80، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 90، 92، 93، 96، 98، 99، 107، 108، 109، 110، 115، 117، 123، 126، 127، 128، 130، 131، 134، 135، 137، 139، 141، 140، 143، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 157، 159، 161، 162، 163، 164، 165، 167، 168، 169، 170، 173، 175، 176، 177، 179، 182، 183، 186، 187.	تيهت (تيارت):

190، 192، 194، 196، 199، 200، 202، 203، 204، 205، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 215، 218، 221، 222، 223، 227، 229، 230، 231، 232، 233، 236، 238، 239، 252.	
106.	تيزي وزو
40.	تيسمسيلات
28، 126.	تيغارنتيا (بقايا آثار رومانية):
146، 149.	توات
-ث-	
131، 187، 188، 194.	ثنية الأحد
-ج-	
134، 135، 137، 143، 144، 145، 146، 147، 150، 151، 154، 155، 156، 162، 168، 169، 170، 175، 180، 188، 189، 190، 195، 198، 200، 220، 238، 242، 245، 246، 247.	الجزائر
85.	الجبل الكبير
12، 188، 193.	الجلفة
85.	جبال القعدة
12، 104.	جبال الونشريس
157، 192، 193، 194، 195.	جبال الناظور
26.	جبل عزوانية
40، 86، 154، 156، 157، 158، 159.	جبال عمور
81-109-167	جبال قزول
30.	جبل العروي
85.	جبل بوغشوة

26.	جبل سفالو
.12	جبل سيدي العابد
.30	جبل لخضر
.45، 42، 41، 40	جبل نفوسة
.18	جاوة (جزيرة في أندونيسيا):
-ح-	
.43، 36	الحجاز
.47	الحرم
.150	الحضنة
-خ-	
.228، 198	الخيثر
.24، 23	عين الحنش
.169	خنقة العازر
.230، 227، 220، 214، 178	خنق السوق
-د-	
.25	الدحموني
.230	دفالي
.186، 144، 126	دير الكاف
.45، 36، 35	دمشق
.18	دوسلروف (مدينة ألمانية)
-ر-	
.200، 172، 171، 170	الرحوية
.50، 49	رقادة
-ز-	
.51، 37، 33، 31	الزباب

104.	زاوية الشيخ محمد بن جعفر بن حمزة
172، 176.	زمورة
40.	زويلة
-س-	
26.	السبت (بلدية):
12، 14، 16، 40، 55، 58، 77، 78، 81، 83، 87، 88، 124، 125، 131، 167، 175، 182، 187، 220، 233.	السرسو
33، 143، 157، 192، 233.	السوقر
177.	سيدي الناصر
172.	سيدي أحمد بن عودة
138.	سيدي براهيم
136، 137.	سيدي بلعباس
189.	سيدي بوزيد
118، 127، 128، 186.	سيدي الجيلالي بن عمار
27.	سيد الحسني
163، 87، 200، 228.	سيدي عبد الرحمن
186.	سيدي منصور
107، 138، 153، 155، 218، 221.	سبدو
51.	سبتة
27، 29، 76، 137، 185، 186.	سببية
233.	سبع عيون
38، 49، 52.	سجلماسة
24.	سطيف
29، 156، 179، 183، 207، 221، 223، 230، 231، 234، 236، 238، 242.	سعيدة

سوفجج	33، 37.
سفيشيفة	162، 194، 221، 231.
سيباو	24، 106.
-ش-	
الشلالة	13، 33، 166، 187، 190، 197، 202، 223.
الشلف	14، 40، 126، 129، 138، 175، 187، 233.
الشام	36.
الشهبونية	13، 14.
شواله	172.
-ص-	
الصوامع	26.
الصين	20.
-ط-	
طاقين	79، 82، 124، 134، 154، 155، 166، 188، 189، 192.
طافراوة	194.
طبنة	37.
طرابلس	33، 38، 40، 104.
طنجة	51.
-ظ-	
الظهرة	134، 137، 138، 150، 171، 172.
-ع-	
العراق	43، 48.
العمامرة	174.
عمي موسى	174، 193، 195.
عين الحديد	28، 87، 138، 139، 188.

عين الدرهم	.76 ، 29
عين الذهب	.230 ، 218 ، 197 ، 196 ، 167 ، 166 ، 159 ، 76
عين القطا	.179
عين اللوحة	.60
عين كرمس	.60
عين تموشنت	.136
عين صالح	.151
عين قдал	.157
عين عسكورة	.236 ، 217 ، 138
عين ماضي	.211 ، 115 ، 114 ، 113 ، 112 ، 111 ، 100
عين وسارة	.191
عواجة	.212 ، 98
عوينات بوبكر	.144 ، 155 ، 159 ، 160 ، 163 ، 164 ، 168 ، 180 ، 193 ، .218 ، 201
-غ-	
العصني	.201 ، 194 ، 168
غدامس	.40
غريس	.129 ، 112
غليزان	.171 ، 169 ، 163 ، 40 ، 14 ، 12
-ف-	
فارس (بلاد فارس):	.38
فاس	.113 ، 53
فرطاسة	.127 ، 123 ، 120 ، 118 ، 88 ، 64 ، 14
فرندة	.12 ، 15 ، 28 ، 29 ، 30 ، 40 ، 60 ، 63 ، 68 ، 75 ، 84 ، 85 ، .87 ، 89 ، 90 ، 91 ، 96 ، 101 ، 102 ، 122 ، 124 ، 127 ، .128 ، 138 ، 143 ، 163 ، 164 ، 165 ، 169 ، 170 ، 173

،185 ،184 ،182 ،181 ،180 ،179 ،178 ،177 ،176 ،214 ،209،211 ،208 ،206 ،198 ،197 ،187 ،186 ،230 ،229 ،228 ،227 ،223 ،221 ،219 ،218 ،216 ،242 ،241 ،240 ،239 ،238 ،237 ،235 ،233 ،231 .253 ،252 ،246 ،244 ،243	
،102 ،100 ،91 ،89 ،84 ،80 ،74 ،72 ،71 ،70 ،68 ،135 ،129 ،128 ،126 ،125 ،120 ،115 ،114 ،104 ،150 ،149 ،148 ،147 ،146 ،145 ،144 ،143 ،140 ،162 ،161 ،157 ،156 ،155 ،154 ،153 ،152 ،151 ،176 ،175 ،174 ،173 ،169 ،167 ،165 ،164 ،163 ،189 ،188 ،187 ،186 ،184 ،183 ،182 ،179 ،177 ،203 ،200 ،198 ،195 ،194 ،193 ،192 ،191 ،190 ،215 ،214 ،213 ،211 ،210 ،209 ،208 ،206 ،204 ،226 ،224 ،223 ،222 ،221 ،220 ،218 ،217 ،216 ،243 ،240 ،239 ،238 ،235 ،232 ،231 ،229 ،227 .،252 ،251 ،250 ،249 ،248 ،247 ،245 ،244	فرنسا
.40	فزان
-ق-	
.155	القرارة
.91 ،90 ،88 ،86	القرشة
.230 ،218 ،210 ،197 ،194 ،192 ،187 ،185 ،177	القطيفة
.54 ،30	القلعة
.54 ،49 ،48 ،36 ،32 ،31	القيروان
.36 ،35	قرطبة
.191 ،175 ،27	قرطوفة
.248 ،108 ،54	قسطنطينة

40.	قصر البخاري
147، 219.	قورارة
-ك-	
47.	الكعبة
25، 26.	كاف بوبكر
75، 79، 124.	كوجيلا
25.	كولومناطة (موقع أثري):
-ل-	
145.	لالة مغنية
31.	لميس (مدينة):
-م-	
24، 104، 105، 109، 111، 117، 121، 126، 187، 232.	المدية
43.	المغرب الأدنى
20، 38، 145.	المغرب الأقصى
40.	المغرب العربي
32، 33، 36، 37، 38، 39، 42، 49، 5، 83، 97.	المغرب الأوسط
240.	المغرار
54.	المسيلة
91، 202، 223، 233.	مادنة
31، 32.	مجانة
56.	مراكش
146، 151، 155.	متليلي
135، 140.	متيجة
14، 186، 197، 227، 228.	مدريسة

مدغوسة	65، 123، 125، 129، 186.
مستغانم	14، 110، 118، 121، 123، 126، 131، 136، 170.
مشرع الصفا	26، 118، 131.
مصر	43، 104.
مغيلة	55.
مكة	179.
منداس	40.
ميزاب	146.
مرسى الدجاج	41.
مرسى فروخ	38، 41.
مرسى الكبير	41.
معسكر	12، 27، 28، 30، 55، 64، 68، 74، 81، 82، 83، 86، 89، 93، 98، 99، 100، 106، 107، 109، 110، 114، 117، 118، 120، 121، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 133، 136، 151، 153، 155، 158، 159، 164، 165، 169، 172، 178، 179، 182، 184، 190، 193، 208، 213، 223، 224، 228، 230، 231، 236.
مليانة	109، 117، 121، 126، 137.
-ن-	
ندرومة	131.
نهر ملوية	42.
نهر واصل	14، 25، 187.
-ه-	
الهند	20.

-و-	
.54	وجدة
.86 ، 60	وادي الحمام
.91 ، 88 ، 25 ، 14	واد العبد
.130	واد رهيو
.194	واد سوسلم
.40	واد الشلف
،185 ،176 ،173 ،172 ،167 ،136 ،89 ،60 ،26 ،14 .233	وادي مينا
.105	وادي وامري
.40،43	ورجلان(ورقلة):
،100 ،98 ،92 ،91 ،89 ،78 ،73 ،65 ،64 ،61 ،41 ،15 ،133 ،131 ،122 ،121 ،118 ،117 ،110 ،109 ،101 ،169 ،159 ،156 ،154 ،153 ،151 ،150 ،145 ،136 ،220 ،206 ،202 ،195 ،193 ،180 ،178 ،175 ،174 ،244 ،243 ،241 ،238 ،237 ،231 ،230 ،223 ،222 .248	وهران
-ي-	
.184 ،181 ،123 ،62	اليقوبية

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

أ

مقدمة

الفصل الأول التمهيدي

تيارت منذ ما قبل التاريخ إلى نهاية الوجود العثماني

- 13 أولاً- الإطار الجغرافي للمنطقة
- 13 1. الموقع الجغرافي
- 13 2. مظاهر السطح
- 14 3. المناخ
- 14 4. المجاري المائية
- 15 5. الإمكانيات الزراعية والحيوانية للمنطقة
- 15 5-1- الزراعة
- 16 5-2- الثروة الحيوانية
- 17 ثانياً- ظهور الإنسان
- 19 1. إنسان نياندرتال
- 20 2. الإنسان العاقل
- 22 3. الإنسان الأول بالجزائر
- 24 4. المواقع الأثرية في الجزائر
- 26 5. المعالم التاريخية والمواقع الأثرية في تيارت
- 26 5-1- آثار ما قبل التاريخ
- 28 5-2- مواقع الآثار القديمة
- 32 ثالثاً - تيارت في العهد الإسلامي
- 32 1. حملة عقبة بن نافع الثانية وفتح تيهرت 62 / 681 م

- 33 2. تيهرت الرستمية
- 33 1-2- السياق التاريخي لبناء مدينة تيهرت
- 38 2-2- الموقع وأهميته لتيهت الرستمية
- 39 2-3- أصل تسمية تيهرت
- 40 2-4- حدود الدولة الرستمية
- 43 2-5- الحياة الفكرية
- 49 3. تيهرت في عهد الدولة الفاطمية
- 57 4. تيهرت في عهد الموحدين
- 59 رابعا- تيارت في عهد الأتراك
- 60 1. علاقة الأتراك بالزعامات القبلية والدينية
- 64 2. ثورة درقاوة في بليليك الغرب الجزائري 1802- 1828

الفصل الثاني

منطقة تيارت أثناء الإحتلال الفرنسي (1830 - 1847)

- 72 1. المجتمع والقبيلة من منظور دعاة الإستعمار
- 74 2. التنظيم القبلي ودوره في منطقة تيارت
- 75 3. الإتحادات القبلية في منطقة تيارت
- 81 4. آغوية تيارت
- 87 5. منطقة فرندة
- 87 5-1- أصل تسمية مدينة فرندة
- 87 5-2- الموقع الجغرافي
- 88 5-3- قبائل فرندة
- 94 6. الواقع السياسي لمنطقة تيارت قبيل إندلاع المقاومة تحت قيادة الأمير عبد القادر

- 99 7. موقف قبائل تيارت من مبايعة الأمير عبد القادر
- 100 7-1-جماعات الرعية
- 103 7-2-عشائر المخزن
- 106 8. إنهزام الحاج موسى الأغواطي على يد الأمير وقبائل المخزن
- 108 9. الأمير عبد القادر من معسكر وتلمسان الى تاقدمت
- 109 9-1- تاقدمت عاصمة الأمير الجديدة
- 112 9-2- إعادة بناء مدينة تاقدمت
- 113 10. قبائل تيارت تسند هجوم الأمير عبد القادري عين ماضي
- 118 11. جيش الإحتلال يسيطر على مناطق نفوذ الأمير في تيارت
- 120 11-1- إحراق مدينة تاقدمت
- 123 11-2- الإستراتيجية العسكرية الفرنسية لإجبار الأمير على توقيف القتال
- 125 12. معركة فرنده 25 فيفري 1842
- 126 13. التوسع الفرنسي في منطقة تيارت 1842
- 129 14. تيارت سنة 1843 بين الولاء للأمير عبد القادر وتزايد الضغط الفرنسي
- 134 15. زمالة الأمير عبد القادر بين النشأة والسقوط
- 137 16. إنضمام قبائل تيارت لثورة بومعزة 1845
- 141 16-1- حادثة مقتل الملازم لاكوت la Cotte
- 143 16-2- موقعة تامدة 23 ديسمبر 1845
- الفصل الثالث
- إسهامات قبائل تيارت في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864.
- 148 1. ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م
- 148 1-1- إبرام معاهدة لالة مغنية 1845 وترسيم الحدود بين الوجود

الفرنسي بالجزائر والمغرب الأقصى

- 150 1-2- ثورة سي سليمان بن حمزة وانضمام قبائل تيارت إليها
- 152 2. أسباب الثورة
- 155 3. الباش آغا سي سليمان يرسل القيادة الفرنسية لإحتواء الموقف
- 157 4. معركة عوينات بوبكر يوم 8 أفريل ومشاركة قبائل الأحرار فيها
- 164 4-1- نتائجها
- 165 5. تخلي قبائل تيارت عن فرنسا دعما لثورة أولاد سيدي الشيخ
- 171 6. ثورة فليطة وتداعياتها على منطقة تيارت
- 173 6-1- حادثة الرحوية 21 ماي 1864م
- 175 6-2- إستراتيجية الإستعمار في القضاء على ثورة لزرق بلحاج
- 178 7. الإستعدادات الفرنسية العسكرية لتطويق ثورة أولاد سيدي الشيخ وإجهاضها
- 179 8. تحركات الجنرال مارتينو العسكرية في منطقة تيارت
- 181 8-1- توقيف الحاج البشير قاضي فرندة السابق
- 183 8-2- الثورة تستهدف مدينة فرندة 12 جويلية 1864
- 190 9. المقاومة في جنوب شرق وشرق تيارت
- 195 9-1- المقاومة في جبل الناظور (السوقر)
- 196 9-2- الحصار والإبادة

الفصل الرابع

التفاعل الثوري والسياسي للزعامات المحلية مع ثورة بوعمامة 1881

- 207 1. إعادة رسم خريطة التوزيع القبلي في تيارت و بداية إنفجار الثورة
- 209 2. أسباب إنضمام قبيلة الأحرار إلى الثورة
- 213 3. موقف الزعامات الدينية والقبلية من ثورة بوعمامة 1881
- 213 أولا- موقف الحاج قدور بن صحراوي من الثورة

222	1. الإستعدادات الفرنسية لمواجهة الثورة
228	2. معركة الشلالة 19 ماي 1881
228	3. نتائجها
230	4. تقدم بوعمامة بإتجاه المناطق التالية
232	5. مقتل الضابط برينقارد
234	6. المقاومة في شرق تيارت
236	7. معركة مادنة 14 جوان 1881
238	ثانيا - موقف الباش آغا سي أحمد ولد قاضي
246	1. إنعقاد جلسات إستثنائية بوهران لمناقشة عدة الملفات أبرزها ثورة بوعمامة
249	2. المقاومة السياسية
258	خاتمة
265	الملاحق
292	قائمة المصادر والمراجع
296	فهرس الأعلام
308	فهرس القبائل
316	فهرس الأماكن
329	فهرس المحتويات

الملخص:

تتضمن المذكرة مساهمة قبائل منطقة تيارت في مقاومة الإحتلال الفرنسي، وذلك من خلال تقديم الدعم والمساندة لكل من الأمير عبد القادر، ثورة أولاد سيدي الشيخ وبوعمامة، فتحول فضاء منطقة تيارت إلى مسرح لكثير من العمليات العسكرية التي إستهدفت قوات الإحتلال والمتعاونين معها، إيماناً منها بأن الدفاع عن حريتها واجب مقدس يستوجب ضم جهودها إلى كل مقاومة شريفة تهدف إلى تحرير البلاد والعباد، فتحمّلت بذلك عبء المشاركة فيها وتعرضت لكل أنواع البطش والتتكيل والتشريد، فدفعت بذلك ثمناً باهظاً كباقي السكان على مشاركتها في المقاومة.

Resumé :

Cette recherche traite du rôle joué par les tribus de la région de Tiaret dans la résistance contre l'occupation française. Celles-ci avaient soutenu l'Emir EAbdel Kader, la révolte des Ouled Sidi Chikh et Bouammama. Ainsi, la région de Tiaret était devenue un théâtre de de plusieurs opérations militaires qui avaient visé les forces de l'occupation française et leurs collaborateurs étant donné qu'elles étaient convaincues que la lutte pour l'indépendance était un devoir sacré. En conséquence, elles avaient été sévèrement infligées et avaient payé un prix cher.

Abstract :

This research deals with the role played by the tribes which were living in the region of Tiaret in the resistance against the French occupation. They were backing up both of Emir Abdel Kader, the revolt led by Ouled Sidi Cheikh and Bouammama. Thus the region of Tiaret had become the field of many military operations which targeted the French occupation forces and their allies since these tribes were convinced that the war for independence was a sacred duty which required the unification of efforts to liberate the country and its people. As a result these tribes had been severely punished and paid a high price.